جامعة أم درمان الإسلامية
كلية أصول الدين والتربية .
الدراسات العليا
قسم التفسير وعلوم القرءان

# الإحسان

## في ضوء القرءان الكريم والسنة المطهرة

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير



إعداد
رياض محمود جابر قاسم



إشراف
الدكتور / الطاهر أحمد عبد القادر



١٩٩٠م - ١٤١٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

# الإهـــــداء

إلى والدتـــى الحبيبـــة

إلى زوجتى الفاضلـــــــة

إلـــى أبنائـــى وبنـــاتـــى

أهدى ثمرة هـــذا الجهـــد وأســـأل الله
حســـن الثواب وجـــزيل العطـــــاء

# شكـــــر وتقديـــــر

إنطلاقا من قول الرسول صلى الله عليه وسلم ( من لايشكر الناس لايشكر الله )* فإننـــي أتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى إدارة الجامعة الإسلامية بقطاع غزة التى سهلت لى فرصـة إكمال الدراسة فى جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان .

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى الدكتور أحمد على الإمام مدير جامعة القرآن الكريـــم والعلوم الإسلامية لاستفادتى من إرشاداته القيمة.

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى الدكتور يوسف أحمد على المشرف الأول على هـــذه الرسالة الذى أولانى برعايته وتوجيهاته السديدة.

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى أستاذى الدكتور الطاهر أحمد عبدالقادر رئيس قســم التفسير وعلوم القرآن الذى حفنى برعياته وكرمه .

والشكر موصول إلى القائمين على جامعة أم درمان الإسلامية من أكاديميين وإدارييـــن ومستخدمين .

كما أتقدم بالشكر إلى الأخ خالد محمد أحمد الخطاط وإلى الأخت سميه دفع اللـــه التى قامت بطباعة هذه الرسالة.

ولايفوتنى فى هذا المقام تقديم الشكر والتقدير إلى كل من أعاننى فى دراستى معنويـا وماديا ، وأخص بالذكر الأستاذين محمد نصوح المراد ومحمد عبدالفتاح اللذين شاركانى عنـاء تصحيح هذه الرسالة.

---

*) سنن الترمذى ، كتاب البر والصلة ، باب ماجاء فى الشكر لمن أحسن إليك ، حديث ١٩٥٤ ، جـ٤ ، ص ٢٩٩ ، قال الترمذى ( هذا الحديث حسن صحيح).

# المقدِّمة

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد .

فإن علم التفسير من أجل العلوم على الإطلاق وذلك لأن موضوع هذا العلم هو كلام الله عز وجل وهو أفضل الكلام على الإطلاق وبه سعادة المسلمين فى الدنيا والآخرة وبعد .

فإننى بعد أن فرغت من إتمام السنة التمهيدية وقع اختيارى على موضوع الإحسان فى ضوء القرآن الكريم والسنة المطهرة .

### أسباب إختيار هذا الموضوع:

هناك أسباب كثيرة دفعتنى إلى اختيار هذا الموضوع ويمكن تلخيص هذه الأسباب فيما يلى :-

١) إعتناء القرآن الكريم بموضوع الإحسان فلا تكاد تخلو سورة من سوره من الإشارة إلى الإحسان . فقد ترددت مادة الإحسان فى القرآن الكريم فى أكثر من مائة وتسعين موضعا بألفاظ مختلفة ومعان متعددة .

٢) الإحسان أعلى درجات الإسلام ... كما جاء فى حديث جبريل عليه السلام . فقد سأل جبريل عليه السلام الرسول صلى الله عليه وسلم أولا عن الإسلام ثم عن الإيمان ثم عن الإحسان . ومن خلال هذا التدرج فى السؤال ذهب شراح الحديث إلى أن الإحسان هو أعلى درجات الإسلام .

٣) للإحسان آثار طيبة على المجتمع الإسلامى ، فبالإحسان تشاد الحضارات ويمكن للمسلمين فى الأرض ، وتصان الحرمات ويعم الأمن ، وبه أيضا تسود روح التكافل والمحبة والتعاون بين الناس .

٤) يريد الباحث إعطاء صورة واضحة عن مفهوم الإحسان الذى بهتت صورته عند كثير من الناس ... فظنوا أن الإحسان قاصر على العطاء المادى للفقراء والمحتاجين . وفى الحقيقة فإن مفهوم الإحسان أكبر من ذلك بكثير إنه إخلاص فى العبادة لله تعالى وتهذيب للسلوك الإنسانى فى الفعل والقول والمنطق والوجدان .

منهجي في البحث:

- قمت بجمع الآيات التى وردت فيها لفظة الاحسان ومشتقاتها ، وقد أعاننى فى ذلك المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .
- ثم قمت بفرز كل مجموعة من الآيات تتحدث عن جزئية واحدة من البحث .
- تتبعت تفسير هذه الآيات من كتب التفسير القديمة كتفسير الطبرى وابن كثير والزمخشرى والرازى والقرطبى والنيسابورى .... كما استعنت ببعض التفاسير الحديثة مثل تفسير فى ظلال القرآن والمنار وتفسير ابن باديس وتفسير التحرير والتنوير .... .
- قبل خوضى فى التفسير أذكر مناسبة الآية إن وجدت وذلك كمدخل للتفسير ، فإن معرفة قصة الآية أو سبب النزول يعين على فهم الآية .
- ذكرت أقوال المفسرين المختلفة فى بعض الآيات ثم قمت بتوجيه هذه الأقوال وبينت الراجح من الضعيف معتمدا على الدليل .
- إذا كان للباحث رأى فى مسألة ما فإنه يذكر هذا الرأى والدليل الذى حمله على هذا الرأى . ولايقطع فيما ذهب إليه ويعقب بقوله - والله أعلم - .
- تتبعت الأحاديث التى تتعلق بالإحسان من الصحاح والسنن .

فقد قرأت صحيح البخارى وصحيح مسلم ، كما قرأت بعض السنن والمسانيد مثل سنن الدارمى ومسند الحميدى . كما قرأت بعض الكتب - التى كنت أظن أنها

مظان لأحاديث الإحسان- من سنن الترمذى وأبى داود والنسائى وابن ماجة والموطأ والمستدرك ... ولم أعتمد على المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف إعتمادا كليا من أجل استخراج أحاديث الإحسان ٠

- لم أستوعب جميع الأحاديث التى تتعلق بالإحسان من المصادر السابق ذكرها ولكنى نقلت منها ما يتناسب مع المقام ٠ كما قمت بتخريج هذه الأحاديث ٠
- ترجمت للأعلام غير المشهورين الذين ورد ذكرهم في الرسالة ٠ أما الاعـــــلام المشهورون كأبى بكر وعمر وعائشة وأبى هريرة وابن مسعود ونحوهم فلم أترجـــم لهم لشهرتهم ٠
- أسندت كل قول إلى قائله مع الإختصار والتصرف وفى هذه الحالة فإنى أثبت فـــى الهامش لفظ " انظر " دلالة على النقل بالمعنى أو دلالة على الإختصار أو التصرف أما اذا كان المنقول نصا فإننى أضع هذا النص بين قوسين وأكتفى بذكر المصـدر والجزء والصفحة فى الهامش ٠
- التزمت جانب الإيضاح والاختصار وذلك لأن الموضوع طويل جدا وله جوانب متعددة
- تطرقت فى هذه الرسالة إلى بعض المشاكل والأوضاع الإجتماعية التى لمستها أثنـــاء إقامتى فى قطاع غزة والتى تتعلق بموضوع الإحسان ثم ذكرت العلاج الإسلامى لهذه المشاكل ٠
- رجعت إلى كتب اللغة الأصلية من أجل الوقوف على معانى الألفاظ الغامضة ٠
- الألفاظ الغريبة التى وردت فى بعض الأحاديث والتى أثبت شرحها فى الهامش دون إشارة إلى مصدرها مأخوذة من نفس المصدر الذى نقلت منه الحديث ، ولقـــد فعلت ذلك تفاديا للتكرار فى ذكر المصدر ٠
- الألفاظ التى نقلتها من مصادرها والتى كنت أظن أن بها تصحيفا او تحريفـــا أثبتها كما هى فى صلب الرسالة ... ثم أشرت فى الهامش إلى هذا الخطأ ٠
- ذيلت كل صحيفة باسم السورة ورقم الآية / أو تخريج الحديث أو ذكر المرجـــع

والجزء والصفحة والمؤلف والطبعة وتاريخها ، هذا إذا ذكرت المصدر فى المـــرة الأولى ، وفى حالة اعتمادى على طبعة أخرى لكتاب فإننى أشير إلى هذه الطبعـــة فى الهامش .

- ذيلت الرسالة بخمسة فهارس الأول للآيات القرآنية والثانى للأحاديث النبويـــة والثالث للأعلام والرابع للمصادر والمراجع والخامس لمواضيع الرسالة .

وقد جاء البحث مشتملا على تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة .

* أما التمهيد : فقد تحدثت فيه عن :

- مفهوم الإحسان ودلالاته .

- معنى الإحسان فى اللغة والإصطلاح .

- مكانة الإحسان بين سائر الأخلاق .

- صفات المحسنين .

* وأما الفصل الأول : إحسان الله إلى الإنسان :
ويشتمل على تمهيد وأربعة مباحث :

- التمهيد : تحدثت فيه عن أن الإحسان فى صورته العليا صفة رب العالمين. وذلك لأن الإساءة تنتج عن الجهل والعجز والقصور وما إلى ذلك من أوصـــاف مستحيلة على الله .

- المبحث الأول : خلق الإنسان فى أحسن صورة :

وضمنته ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الإنسان أفضل المخلوقات وأشرفها .

المطلب الثانى : أصل الانسان .

المطلب الثالث: الإنسان مخلوق منذ النشأة الأولى فى أتم مظهر وأحسن تقويم.

- المبحث الثانى : منح الإنسان القدرة على الإنتفاع بما فى الكون وتجاوب الكون معـه .

وضمنته ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الإنسان وحقيقة دوره فى الأرض ٠

المطلب الثانى: تجاوب الكون مع الإنسان ٠

المطلب الثالث: نعم الله على الإنسان ٠

- المبحث الثالث : إرسال الرسل وإنزال الكتب ٠

وضمنته تمهيدا وثلاثة مطالب :

التمهيـد : تحدثت فيه عن حاجة الإنسان إلى الدين ٠

المطلب الأول: إرسال الرسل ٠

المطلب الثانى: إنزال الكتب ٠

المطلب الثالث: سماحة الشريعة الإسلامية ٠

- المبحث الرابع : العفو عن كل تائب مقبل على الله ومضاعفة الحسنات دون السيئات ٠

وضمنته مطلبين :

المطلب الأول : العفو عن كل تائب مقبل على الله ٠

المطلب الثانى: مضاعفة الحسنات دون السيئات ٠

* وأما الفصل الثانى : مجالات الاحسان ٠ وهو لب الرسالة ٠

ويشتمل على أربعة مباحث :

- المبحث الاول : الإحسان فى مجال العبادات ٠

- المبحث الثانى: الإحسان فى مجال الدعوة إلى الله ٠

- المبحث الثالث: الإحسان فى مجال البر والصلة ٠

وضمنته تمهيدا وعشرة مطالب :

التمهيد : تحدثت فيه عن الحقوق العامة التى يفرضها حق الأخوة فى الإسلام ٠٠

المطلب الأول : الإحسان إلى الوالدين • والثانى : الإحسان إلى الزوجة والثالث : الإحسان إلى الأبناء • والرابع : الإحسان إلى ذى القربى• والخامس الإحسان إلى اليتامى والسادس : الإحسان إلى الفقراء والمساكين• والسابع: الإحسان إلى الجيران • والثامن: الإحسان إلى الضيوف • والتاسع: الإحسان إلى الخدم • والعاشر : الإحسان إلى ابن السبيل •

- المبحث الرابع : الإحسان فى مجال المعاملات •

وضمنته خمسة مطالب :

المطلب الأول : الإحسان فى القضاء وأداء الحقوق •

المطلب الثانى : الإحسان فى البيع والشراء •

المطلب الثالث: الإحسان إلى أهل الكتاب •

المطلب الرابع : الإحسان فى الحرب •

المطلب الخامس: الإحسان إلى الحيوان •

* وأما الفصل الثالث : ثمار الإحسان •

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : الثمار الدنيوية •

وضمنته خمسة مطالب :

المطلب الأول : الرضا والسعادة•

المطلب الثانى: شيوع التكافل والمحبة بين الناس •

المطلب الثالث: العلم والحكمة •

المطلب الرابع : النجاة وتفريج الكربات •

المطلب الخامس: الأجر العظيم •

- المبحث الثانى : الثمار الأخروية •

وضمنته ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الأمن يوم يفزع الناس ·

المطلب الثانى : الخلود فى الجنة والتمتع بنعيمها ·

المطلب الثالث: النظر إلى الله سبحانه وتعالى ·

- المبحث الثالث : الثمار الدنيوية والأخروية :
وضمنته ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : محبة الله تعالى للمحسنين ·

المطلب الثانى : معية الله تعالى للمحسنين ·

المطلب الثالث: رحمة الله تعالى للمحسنين ·

* وأما الخاتمة : فقد ذكرت فيها أهم النتائج التى توصلت إليها من خلال البحث ثم ذكرت بعدها التوصيات · ثم أوردت بعد ذلك الفهارس ·

وأخيرا فإننى استشعر بقلة بضاعتى وقصورى· أبى الله الكمال إلا لكتابه فإذا اصبت فيما قدمت من عمل فذلك من فضل الله تعالى علىّ · وإن كانت الأخرى فحسبى أننى حاولت ·

وفى الختام فإننى أتوجه إلى الله سبحانه وتعالى بالحمد والشكر على إنعامه علىّ بالتوفيق لإنجاز هذا البحث · وإننى لأرجو من كل إنسان يطلع على هذا البحث فيدرك فيه هفوات أو زلات أن يرشدنى إلى هذه الهفوات ·

(رَبَّنَا لَاتُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَاتَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَاتُحَمِّلْنَا مَا لَاطَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِيْن )(١).

(سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُون وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِيْن وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين )(٢).

١) سورة البقرة· ٢٨٦·
٢) سورة الصافات · ١٨٠ ـ ١٨٢·

# التمهيد

## مفهوم الإحسان ودلالاته

بسم الله الرحمن الرحيم

## تمهيـــــــــــد

يروج بين كثير من المسلمين فى معنى الإحسان أنه مجرد إعطاء المال للعاجز أو ذى العاهة أو المحتاج.

غير أن هذا المفهوم قاصر ... فالإحسان يتعدى هذا المجال إلى مجالات معنوية ومادية متعددة يصعب حصرها . ولقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك قال تعالى مخاطبا المؤمنين .

١- ( وَلاتَرْكَنُوا إِلى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُون ).(1)

٢- (وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ ، إِنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى للذَّاكِرِين ).(2)

٣) ( واصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لايُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِين )(3).

هذه الآيات الثلاث تصف موقف المؤمنين من أعدائهم بما يجب عليهم:

- من عدم الركون إليهم والثقة بهم .
- ومن مباشرة الصلاة فى أوقات مختلفة من النهار الليل .
- ومن الصبر والتحمل على مناوشة الأعداء إلى أن يتمكنوا من دفعهم ... تصف هذا الموقف بالإحسان . فعدم الركون إلى الأعداء وعدم الثقة بهم إحسان ومباشرة الصلاة إحسان وكذلك الصبر والتحمل على مناوشة الأعداء إحسان . ومن الواضح أن هذه الآيات لم تتطرق إلى إعطاء المال للمحتاجين .

" فالإحسان المطلوب من المؤمنين فى القرآن الكريم يتعدى عطاء المال إلى التهذيب في المعاملة وفى النطق وفى المخاصمة وفى المواقف التى تتخذ قبل

---

١) سورة هود . ١١٣ .
٢) سورة هود . ١١٤ .
٣) سورة هود . ١١٥ .

الآخرين "[١] .

ولم تقل عناية السنة المطهرة بالإحسان عن عناية القرآن الكريم . فزيادة على تخلق النبى صلى الله عليه وسلم بأخلاق المحسنين التى بينها القرآن فى مواضع متفرقة - وهو القدوة الحسنة - فقد رويت عنه أحاديث تحث على التخلق بهذه الخليقة الطيبة وتبين مفهوم الإحسان الواسع ، وسنكتفى هنا بإيراد مايتناسب مع المقام من الأحاديث :

عن شداد بن أوس[٢] قال : ثنتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : " إن الله كتب الإحسان على كل شىء . فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة[٣] وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح . وليحد[٤] أحدكم شفرته ، فليرح ذبيحته "[٥] .

ففى هذا الحديث بيان أن الله تعالى أمر بالإحسان فى الأمور كلها وفى الأشياء جميعها وعلى كل مايمكن أن يسمى شيئا حيث حذف المكتوب عليه الإحسان . ومعنى الكتابة الوجوب أو الفرض ، قال تعالى : ( كُتِبَ عليكم الصِّيَامُ )[٦] أى فرض .

الإحسان فى اللغة

الإحسان مشتق من الحسن والحسن عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه وذلك ثلاثة أضراب : مستحسن من جهة العقل ، ومستحسن من جهة الهوى ومستحسن من جهة الحس "[٧] .

---

١) من مفاهيم القرآن فى العقيدة والسلوك . د /محمد البهى ، ص ٢٠٥ ، مكتبة وهبة ، ١٩٧٣م .

٢) شداد بن أوس بن ثابت الخزرجى صحابى جليل ، توفى سنة ثمان وخمسين ودفن فى بيت المقدس وهو ابن خمس وسبعين سنة وقيل غير ذلك . انظر : الإصابة فى تمييز الصحابة لأحمد بن حجر العسقلانى ، جـ٣ ، ص ١٩٦ ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ ، كتاب تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى ، جـ٤ ، ص ٢٧٦ ، ط دار الفكر ، بيروت .

٣) القِتلة : وهى الهيئة والحالة .

٤) وليحد : أحدَّ السكين بمعنى شحذها .

٥) صحيح مسلم ، كتاب الصيد والذبائح جـ٣ ، ص ١٥٤٨ ، وقف على طبعه وتحقيق نصوصه وتصحيحه وترقيمه خادم الكتاب والسنة محمد فؤاد عبدالباقى ، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م .

٦) سورة البقرة . ١٨٣ .

٧) المفردات فى غريب القرآن للأصفهانى ، ص١١٨ ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ .

ومادة الحسن تدور فى اللغة حول الجمال (١) فى كل شيء ، وهو ضد القبيح ونقيضه (٢) ، وحسنت الشيء تحسينا زينته (٣) والمحاسن المواضع الحسنة من البدن (٤) .

والإحسان: مصدر أحسن ، يحسن ، إحسانا ، وهو ضد الإساءة (٥) .

والإحسان ينتظم معان عدة منها :

الأول: الإتقان والإجادة (٦) يقال : " حسّن فلان عمله إذا أتقنه وأجاده ومنه قوله تعالى: ( ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ) (٧) أى أتقن كل شيء . قال تعالى : ( صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَىۡءٍ ) (٨) .

الثانى : الإنعام على الغير (٩) : يقال " أحسنت إلى فلان أو أحسنت به إذا أوصلت إليه ما ينتفع به . قال تعالى : ( وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِىٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجۡنِ ) (١٠) أى قد أحسن إلىّ .

ومنه قول الشاعر :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم *** فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ (١١)

---

١) القاموس المحيط ، للفيروزأبادى ، جـ٤ ، ص ٢١٣ ، دار الفكر ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م.

٢) لسان العرب ، لابن منظور ، جـ٢ ، ص ٨٧٧ ، دار المعارف ، تحقيق الأساتذة عبد الله على الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلى ، بدون تاريخ ، مختار الصحاح للشيخ الإمام محمد بن أبى بكر عبدالقادر الرازى ، ص ١٣٦ ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، بدون تاريخ.

٣) لسان العرب ، جـ٢ ، ص ٨٧٧ ، مختار الصحاح ، ص ١٣٧ .

٤) القاموس المحيط ، جـ٤ ، ص ٢١٤ .

٥) لسان العرب ، جـ٢ ، ص ٨٧٨ ، القاموس المحيط ، ٤ ، ص٢١٤ .

٦) إسلامنا ، سيد سابق ، ص ١٥٠ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م.

٧) سورة السجدة. ٧ .

٨) سورة النمل. ٨٨ .

٩) المفردات فى غريب القرآن ، للراغب الأصفهانى ، ص ١١٩ .

١٠) سورة يوسف. ١٠٠ .

١١) بحث الباحث عن قائل هذا البيت فى المصادر القديمة فلم يجده ، والباحث يظن أن هذا البيت لأحد المعاصرين .

والإحسان أعم من الإنعام(١) قال تعالى : ( إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُم )(٢) ، والإنعام لايكون إلا لغيره .

الثالث : الإيمان: قال تعالى : ( وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِما مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِين )(٣) فالإحسان هنا بمعنى الإيمان(٤) . والظلم الشرك ، قال تعالى :( إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم )(٥) .

الرابع : الصبر : قال تعالى : ( وَلانُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِين )(٦) قال ابن عباس يعني الصابرين(٧) .

الخامس: العلم : " يقال قيمة المرء مايحسن " أى يحسن معرفته ، أى يعرفه معرفة حسنة بتحقيق وإيقان "(٨) .

يقال "فلان لايحسن الكتابة ولايحسن الفاتحة أى لايعلمها "(٩)

ويقال : " وهو يحسن الشيء إحسانا أى يعلمه "(١٠) .

---

١) لسان العرب ، جـ٢ ، ص ٨٧٩ ، المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ، ص ١١٩ .
٢) سورة الإسراء . ٠٧
٣) سورة الصافات . ١١٣ .
٤) مراح لبيد ، التفسير المنير لمعالم التنزيل ، المسمى مراح لبيد ، للشيخ محمد نووى الجاوى سيد علماء الحجاز ،جـ٢ ، ص٢٢٢ ، دار إحياء الكتب العربية لأصحابها عيسى البابى الحلبى وشركاه ، بدون تاريخ .
٥) سورة لقمان . ١٣ .
٦) يوسف . ٥٦ .
٧) مختصر تفسير القرآن الكريم للخازن ، جـ٢ ، ص ٩٩٨، المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل ، إختصار محمد على قطب ، دار المسيرة ، بيروت ، ط الاولى ١٩٨٧م ، روح المعانى للألوسى ، جـ١٣ ، ص ٠٧
٨) تفسير أبى السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، جـ٤ ، ص ٢٩٨ ، دار الفكر ، بدون تاريخ .
٩) تفسير الفخر الرازى المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب للإمام محمد الرازى فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الرى ، جـ٢٩ ، ص ١٣٢ ، دار الفكر ، ط٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
١٠) لسان العرب ، جـ٢ ، ص ٨٧٩ ، القاموس المحيط ، جـ٤ ، ص ٢١٤ .

قال تعالى : ( إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِين )[1] يعنى من العالمين بعبارة الرؤيـــا والإحسان هنا بمعنى العلم[2] ٠

الحسنة والسيئة: تفسر الحسنة على أربعة وجوه وهى :

الأول: الحسنة " هى كل مايسر من نعمة تنال الإنسان فى نفسه وبدنه وأحواله والسيئة تضادها "[3] ٠

فالحسنة قد تطلق ويراد منها النصر والغنيمة أو الخصب أو العافية قال تعالى: (إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وإِنْ تَصْبِرُوا وتَتَّقُوا لايَضُرُّكُـــمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيط)[4] ٠ " والمراد من الحسنة ههنا منفعة الدنيا على اختلاف أحوالها فمنها صحة البدن وحصول الخصب والفوز بالغنيمة والإستيـــلاء على الأعداء وحصول المحبة والألفة بين الأحباب والمراد بالسيئة أضدادها وهـــى المرض والفقر والهزيمة والإنهزام من العدو وحصول التفرق بين الأقارب والقتـــل والنهب والغارة "[5] ٠

فبين سبحانه وتعالى أن المنافقين يحزنون ويغتمون بحصول نوع من أنواع الحسنـــة للمسلمين ويفرحون بحصول نوع من أنواع السيئة لهم ٠

ولقد كان أكثر دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم " اللهم آتنا فى الدنيا حسنـــة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار "[6] ٠

---

١) سورة يوسف، ٣٦٠

٢) مختصر تفسير القرآن الكريم للخازن ، جـ٢ ، ص ٦٣٨٠

٣) المفردات فى غريب القرآن ، للراغب الأصفهانى ، ص ١١٨ ٠

٤) سورة آل عمران ، ١٢٠٠

٥) تفسير الرازى ، جـ٨ ، ص ٢٢١ ، انظر : تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى ، جـ٤ ، ص ٥٥، المطبوع بهامش تفسير الطبرى ٥ - دار المعرفة بيروت ، لبنان ، ط٤ ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، الكشاف عن حقائـــق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ، تأليف أبى القاسم جار الله محمود بن عمـــر الزمخشرى الخوارزمى ، جـ١ ، ص ٤٥٩٠

٦) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الدعاء بـ اللهم آتنا فى الدنيا حسنة .. ، حديث ٢٦ ، جـ٤ ، ص٢٠٧٠٠

ومعنى قوله " آتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً " أى العافية والطاعة ، "وَفِى الآخِرَةِ حَسَنَـةً " أى العفو والجنـة٠

الثانى : الحسنة التوحيد والسيئة الشرك :

قال تعالى : ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ومَنْ جَـاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَاكُنْتُمْ تَعْمَلُون )[١]٠

" فالحسنة فى هذه الآية توحيد الله والإيمان به ، والسيئة الشرك بالله وجحـود وحدانيته "[٢]٠

الثالث : الحسنة العفو والقول المعروف والسيئة الأذى وقول الفحش :

قال تعالى : ( وَيَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ )[٣] أى " يدفعون بالقول المعروف والعفـو الأذى والأمر القبيح "[٤]٠

وقال تعالى : ( وَلا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ ولَا السَّيِّئَة )[٥] وقال : ( ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ السَّيِّئَة)[٦]

---

١) سورة النمل٠ ٨٩ ، ٩٠٠

٢) أنظر : جامع البيان فى تفسير القرآن ، تأليف أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، جـ٢٠ ،ص١٥، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، ط٤ ، ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م ، التصاريف ، تفسير القرآن بما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه ، يحيى بن سلام ، ص ١٢٥ ، قدمت له وحققته هند شبلى ، الشركـة التونسية للتوزيع ، ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٩م ، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر فى القـرآن الكريم للفقيه المفسر الجامع الحسين بن محمد الدامغانى ، ص ١٣٢ ، دار العلم للملايين، حققه ورتبه وأكمله وأصلحه عبدالعزيز سيد الأهل ، ط٥ ، ١٩٨٥م٠

٣) سورة القصص٠ ٥٤٠

٤) أنظر : التصاريف ، ص١٢٧ ، قاموس القرآن ، ص ١١٣ ، الطبرى ، جـ١٨ ، ص ٤٠ ، مختصـر الخازن ، جـ٢ ، ص ٨٥٢ ، مراح لبيد ، جـ٢ ، ص٧١ ، فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير ، تأليف محمد بن على الشوكانى ، جـ٣، ص ٤٩٧ ، دار الفكر ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، تفسير أبى السعود ، جـ٤ ، ص ٦٣٠

٥) سورة فصلت٠ ٣٤٠

٦) سورة المؤمنون٠ ٩٦٠

الرابع : الحسنة العلم والسيئة الجهل.

قال ابن تيمية : " وأما السيئات فمنشؤها الجهل والظلم فإن أحدا لايفعل سيئة إلا لعدم علمه بكونها سيئة قبيحة أولهواه وميل نفسه إليها . ولايترك حسنة واجبة إلا لعدم علمه بوجوبها أو لبغض نفسه لها "[1].

قال مجاهد : " من عمل ذنبا من شيخ أو شاب فهو بجهالة وقال من عصى ربه فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته "[2].

ولما كانت السيئة تقابل الحسنة فى المعنى اللغوى جاز أن نقول إن الحسنةهى العلم وذلك لأن منشأ الحسنات هو العلم ومما يبين ذلك قول الله تعالى : ( إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء )[3]، فكل من خشيه وأطاعه وترك معصيته فهو عالم كما قال تعالى : ( أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ ويَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّه قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ والَّذِينَ لايَعْلَمُون )[4].

فأصل السيئات الجهل والظلم وأصل الحسنات العلم ... لأن العلم يوجب الخشية ثم إن الخشية هى التى تحمل على فعل الحسنات .

## الإحسان في الإصطلاح:

والإحسان فى الإصطلاح هو كما وضحه الرسول صلى الله عليه وسلم حينما سأله جبريل عن الإحسان" قال : ما الاحسان ؟ قال : "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن

---

١) الحسنة والسيئة للإمام العلامة تقى الدين بن تيمية ، ص٥٧ ، تحقيق د /محمد جميل غازى، دار الكتب العلمية ، بدون تاريخ.
٢) الحسنة والسيئة ، ص٦٠.
٣) سورة فاطر . ٢٨.
٤) سورة الزمر . ٩.

تراه فإنه يراك "[١] .

فالإحسان كما يفهم من الحديث هو الإخلاص لله تعالى ، وهو شرط فى صحة الإيمان والإسلام معا . وذلك لأن من تلفظ بكلمة التوحيد وجاء بالعمل من غير إخلاص لم يكن محسنا .

قال ابن حجر : " وإحسان العبادة هو الإخلاص فيها والخشوع وفراغ البال حال التلبس بها ومراقبة المعبود "[٢] .

وقال القرطبى : " الإحسان هو إتقان العبادة ومراعاتها بآدابها المصححة والمكملة ومراقبة الحق فيها واستحضار عظمته وجلاله حالة الشروع وحالة الإستمرار "[٣] .

وقال أبوالسعود : " الإحسان الإتيان بما أمر به على الوجه اللائق "[٤] . وذهب إلى مثل هذا القول محمد قطب حيث قال : " الإحسان هو الأداء الحسن ، الأداء الكامل الأداء المتقن ، الأداء الجميل "[٥] .

إن الإسلام لايكتفى من الإنسان بمجرد الأداء ولكن يطلب منه الأداء المتقن الجميل الذى يتناسب مع إنسانية الإنسان وكرامته ، إنه الأداء المصحوب بمشاعر الإنسانية وبالإحساس بالله فى قرارة الضمير .

قال ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : ( إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ)[٦]

---

١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، الإمام أبى عبدالله محمد بن إسماعيل البخارى للإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى ، كتاب الإيمان ، باب ٣٧ ، جـ١ ، ص ١٤٠ ، حققه محب الدين الخطيب ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبدالباقى ، دار الريان للتراث المكتبة السلفية ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ .

٢) المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٤٦ .

٣) تفسير القرطبى المسمى الجامع لأحكام القرآن الكريم ، لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى ، جـ٦ ، ص ٣٧٨٣ ، دار الريان للتراث ، بدون تاريخ . انظر : التفسير القرآنى للقرآن ، عبد الكريم الخطيب ، جـ٤ ، ص ٣٥٠ ، دار الفكر العربى ، بدون تاريخ .

٤) تفسير أبى السعود ، جـ٣ ، ص ٢٨٨ .

٥) قبسات من الرسول ، محمد قطب ، ص ١٠٤ ، مكتبة وهبة ، ط٢ ، ١٩٦٢م .

٦) النحل . ١٢٨ .

أى فعلوا الطاعات وتركوا المنكرات وأكثروا من الحسنات وقللوا من السيئات "(١) ، فهو يفسر الإحسان بفعل الطاعات وترك المنكرات .

وإلى قريب من هذا القول ذهب الرازى ومحمد نووى الجاوى : فالإحسان عندهما هو "المبالغة فى أداء الطاعات إما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل وإما بحسب الكيفية كالإستغراق فى شهود مقامات الربوبية "(٢).

وقال سفيان الثورى فى معنى قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَانِ﴾(٣) "والعدل هو استواء السريرة بالعلانية من كل عامل لله عملا والإحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته والفحشاء والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريرته "(٤) فالإحسان عنده أن تكون سريرة الإنسان أحسن من علانيته .

وقيل الإحسان أن يعطى الإنسان أكثر مما عليه وأن يأخذ أقل مما له(٥). وقيل الإحسان التفضل بما لم يجب كصدقة التطوع(٦).

والإحسان عند الصوفية : "هو درجة المراقبة وهى الدرجة التى يشعر فيها المريد أن الله يراقبه فى كل شئ ويراه فى كل تصرفاته ويطّلع عليه فى كل عمل يعمل ، أو يدع أو أنه يرى الله ويشاهده ويتجه إليه بكل جوارحه وأعماله وسلوكه حتى لم يعد يود أن ينفلت عن الإتجاه إليه ، جذب قلبه ونوازعه ، فاتجهت إليه وشاهدت أنواره فلا يروم بعدا ولايبغى حولا وهذه مرتبة أسمى فى الحب والقرب"(٧).

---

١) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، جـ٢ ، ص ٥٩٣ ، طبعة دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٢) انظر : تفسير الفخر الرازى ، جـ٢٠ ، ص ١٠٦ ، مراح لبيد ، جـ١ ، ص ٤٦٣.

٣) النحل. ٩٠.

٤) تفسير ابن كثير ، جـ٢ ، ص ٥٨٢.

٥) المفردات فى غريب القرآن ، للراغب الأصفهانى ، ص ١١٩.

٦) فتح القدير للشوكانى ، جـ٣ ، ص ١٨٨.

٧) أنظر : تفسير القرآن الكريم ، للشيخ الأكبر العارف بالله العلامة محى الدين بن عربى ، تحقيق وتقديم د /مصطفى غالب ، جـ١ ، ص ٧٧-٧٨ ، جـ١ ، ص ٧٠٣ ، جـ٢ ، ص ٢٦٩ ، دار الأندلس ، ط٢ ، ١٩٧٨م ، مجلة منار الإسلام ، ص٦ ، العدد الخامس ، السنة الحادية عشرة ، جماد الأول ١٤٠٦هـ ، ١١ يناير ١٩٨٦م ، مقال " الإحسان فى القرآن الكريم" د /سعد ظلام عميد كلية اللغة العربية بالأزهر .

" كما يطلق الإحسان على مقابلة الخير بأحسن منه ومقابلة الشر بالعفو والصفح والمحسن هو المخلص فى عمله المرضى لربه المتقن لصنعته ، الباذل للمعروف والخير يدفع السيئة بالحسنة ولايظهر منه إلا كل حسن وطيب "(١) .

قال القرطبى : " المحسن من صح عقد توحيده ، وأحسن سياسة نفسه وأقبل على أداء فرائضه ، وكفى المسلمين شره "(٢) .

مما تقدم يتضح لنا أن الاحسان خلق حسن ... يخلق لدى المؤمن ضميرا يقظا ويجعل عليه من نفسه رقيبا يدفعه لملاقات كل خلق بأحسن منه ، وكل معروف بأجمل منه .

## مكانة الإحسان بين سائر الأخلاق

ترددت مادة الإحسان فى القرآن الكريم فى أكثر من مائة وتسعين موضعا بألفاظ مختلفة ومعان متعددة(٣) ...فلا تكاد تخلو سورة من الإشارة إلى الإحسان وهذا يدلل على عظيم مكانة الإحسان فى الإسلام .

ثم إن السنة المطهرة أولت هذا الموضوع إهتماما كبيرا فقد كان إحسان النبى صلى الله عليه وسلم مضرب الأمثال .

والمتتبع للمواضع التى ذكر فيها الإحسان والمحسنون فى القرآن والسنة يتضح له بجلاء لايقبل الشك أن الإحسان مقام من أرفع مقامات الدين وخلق من أعظم أخلاق المؤمنين ومنزلة من أجل منازل السالكين والدليل على ذلك عدة أمور منها :

---

١) مجلة الوعى الإسلامى ، ص ٣٩ ، العدد ٢٥٧ ، جمادى الأول ١٤٠٦هـ ، يناير /فبراير ١٩٨٦م، مقال " الإحسان من قيم المجتمع المسلم " ، للأستاذ عاطف شحادة زهران .
٢) تفسير القرطبى ، جـ١ ، ص ٣٥٤.
٣) مكارم الأخلاق فى القرآن الكريم ، للفريق يحى المعلمى ، ص ٩٧ ، دار الإعتصام ، ط٣ ، بدون تاريخ .

١) إن الإحسان شرط فى صحة العبادة ... "فإحسان العبادة مقامات وأدنى هذه المقامات أن يفعلها على الوجه الذى يسقط معه التكليف أى مستوفاة الشرائط والأركان "[(١)].

"عن عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، لايرى عليه أثر السفر ، ولايعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبى فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه وقال : يامحمد أخبرنى عن الإسلام ، فقال رسول الله " الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا " قال صدقت . قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه قال : فأخبرنى عن الإيمان ، قال : " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره "قال صدقت . قال : فأخبرنى عن الإحسان. قال: " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " قال : فأخبرنى عن الساعة . قال : " ما المسئول عنها بأعلم من السائل " قال: فأخبرنى عن أماراتها . قال: "أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة ، العالة رعاء الشاة يتطاولون فى البنيان" قال ثم انطلقت فلبثت مليا . ثم قال لى ياعمر أتدرى من السائل؟ قلت : الله ورسوله أعلم. قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم "[(٢)].

فحينما جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ جبريل بالسؤال عن الإسلام ثم عن الإيمان ثم عن الإحسان ، ولقد أخر جبريل السؤال عن الإحسان لأنه صفة الفعل ، أو شرط فى صحته ، والصفة وضعها بعد الموصوف .

ثم إن الإحسان جاء فى القرآن الكريم مرة مقرونا بالإيمان وثانية بالإسلام وثالثة بالتقوى والعمل الصالح ... وهذا يدلل على عظيم مكانته ، فمن الأول : قوله تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لانُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلا )[(٣)]

---

١) فتح المنعم ، شرح صحيح مسلم ، د /موسى شاهين لاشين ، جـ١ ، ص٤٠ ، دار التراث العربى ، ط ٢ ، بدون تاريخ.

٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ، حديث١ ، جـ١ ، ص٣٧ ، وأخرجه البخارى بنحوه ، فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبى عن الإيمان والإسلام والإحسان ، جـ١ ، ص ١٤٠.

٣) سورة الكهف . ٣٠.

ومن الثانى : قوله تعالى : ( بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ )[١] . وقوله ( وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ )[٢] .
ومن الثالث : قوله تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ )[٣] .

٢) إقتران الإحسان بالقيم الروحية العليا :

ثم إن الإحسان جاء مقرونا بالقيم الروحية العليا فى القرآن والسنة. مثل التقوى والعدل والصبر ... وهذا الإقتران يدلل على عظيم مكانة الإحسان .

أ) التقوى : والمدار اللغوى للتقوى يدور حول الوقاية[٤] من كل ما يضر أى تجنب الإساءة .

" ومن تجنب السيء من الأمور يكون على إحدى منزلتين : إما أن يفعل الحسن وإما أن لايفعل شيئا ، وحسبه فى هذه الحالة أن يكون قد احتفظ بفطرته على السلامة والبراءة . ولاشك أن هذه المنزلة دون الأولى ، منزلة المحسنين العاملين"[٥]

فالمحسن هو الآتى بالإيمان والمتقى هو التارك للكفر كما قال تعالى: ( إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ )[٦] ومن جانب الكفر كان متقيا وله الجنة ومن أتى بحقيقة الإيمان كان محسنا وله الزيادة[٧].
قال تعالى : ( لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ )[٨].

ب) العدل : قال تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ

---

١) سورة البقرة. ١١٢.
٢) سورة لقمان. ٢٢.
٣) سورة النحل. ١٢٨.
٤) التسهيل لعلوم التنزيل ، محمد بن أحمد بن جزى الكلبى ، جـ١ ، ص١٧ ، دار الكتاب العربى ، بيروت لبنان ، ط٢ ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
٥) التفسير القرآنى للقرآن ، عبدالكريم الخطيب ، جـ٦ ، ص ٥٥٥.
٦) سورة النحل. ١٢٨.
٧) انظر : تفسير الرازى ، جـ٢٥ ، ص ١٤١.
٨) سورة يونس. ٢٦.

عَنِ الْفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ والْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون )(١) .

قال ابن عطية : " العدل هو كل مفروض من عقائد وشرائع فى أداء الأمانات وترك الظلم والإنصاف وإعطاء الحق. والإحسان هو فعل كل مندوب إليه ، فمن الأشياء ما هو كله مندوب إليه ومنها ما هو فرض ، إلا أن حد الإجزاء منه داخل فى العدل والتكميل الزائد على الإجزاء داخل فى الإحسان "(٢) .

وقال الأصفهانى : " الإحسان فوق العدل وذاك أن العدل هو أن يعطى ما عليه ويأخذ ماله ، والإحسان أن يعطى أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له ، فالإحسان زائد على العدل ، فتحرى العدل واجب ، وتحرى الإحسان ندب وتطوع "(٣) .

فالإحسان منزلة أعظم من منزلة العدل وذلك لأن المحسن هو الذى قام بالواجب أو الفرض ولم يقتصر على ذلك بل تجاوز الفرض إلى فعل الحسنات المندوبة والمبالغة فى أداء الطاعات مثل قيام الليل وصدقة التطوع وصوم التطوع والعفو عن المسيء .

ج) الصبر : قال تعالى : ( واصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لايُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِين )(٤) وقال : ( إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لايُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنين )(٥) .والصبر فى القرآن : هو حمل النفس على ما تكره ابتغاء مرضاة الله .

قال تعالى : ( والَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِم )(٦) .

وقوله تعالى : ( والذين صبروا ) إشارة إلى منزلة الصبر ، وقوله : ( ابتغاء وجه ربهم ) إشارة إلى منزلة الإحسان . فلا يعتد بالصبر بدون الإخلاص أى الإحسان (٧) .

---

١) سورة النحل. ٩٠ .
٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم ، جـ٦ ، ص ٣٧٨٢ ، انظر : تفسير النسفى المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل ، جـ٢ ، ص ٢٢٢ .
٣) مفردات غريب القرآن ، ص ١١٩ .
٤) سورة هود . ١١٥ .
٥) سورة يوسف. ٩٠ .
٦) سورة الرعد . ٢٢ .
٧) انظر : تفسير البيضاوى المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تأليف الإمام ناصر الدين أبوالخير عبدالله الشيرازى البيضاوى ، ص ٣٠٨ ، دار الفكر ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.

٣) ترتيب خيرات الدنيا والآخرة على الإحسان .

ولقد رتب القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة خيرات الدنيا والآخرة على فضيلة الإحسان فسعادة الدارين تتحقق بالإحسان، وسوف نتحدث عن هذه الخيرات في الفصل الثالث "ثمار الإحسان" وحسبنا في هذا المقام الإشارة .

قال تعالى : ( لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْر )(١)

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيونٍ آخِذِينَ ما آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِين )(٢) .

## حكم الإحسان:

والإحسان المأمور به نوعان :

أحدهما : فرض أو واجب : وهو إخلاص العبادة لله عز وجل - لأن الله تعالى لايقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه - وإتقان العمل والإنصاف والقيام بما يجب على الإنسان نحو الخالق والخلق بحسب ما توجه عليه من الحقوق(٣) .

قال تعالى: ( وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْك )(٤) وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : " إن الله كتب الإحسان على كل شيء ...."(٥) . " حتى أن الطائر في سجنك والسنور في دارك لاينبغي أن تقصر في تعهده "(٦) ، فقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "عذبت امرأة في هرة ربطتها حتى ماتت فدخلت فيها النار لاهي

---

١) النحل. ٣٠.

٢) الذاريات. ١٥ ، ١٦.

٣) انظر : بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخبار في شرح جوامع الأخبار ، تأليف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، ص ١١٦ ، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ١٤٠٥هـ .

٤) القصص. ٧٧.

٥) صحيح مسلم ، كتاب الصيد والذبائح ، باب الأمر باحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة ، جـ٣ ، ص ١٥٤٨.

٦) أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ، تحقيق علي محمد البيجاوي، جـ٣ ، ص ١١٧٢ ، دار الفكر ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

أطعمتها ولاسقتها إذ حبستها ولاهى تركتها تأكل من خشاش[١] الأرض"[٢].

والثانى: إحسان مستحب وهو مازاد على الواجب مثل إحسان الإنسان إلى نفسه بتزكيتها ، وذلك بدوام الذكر والتسبيح وكثرة صلاة الليل وصيام والتطوع وصدقة التطوع ، وإحسان الإنسان إلى غيره وذلك ببذل أى نفع بدنى أو مالى أو علمى ، أو توجيه لخير دينى أو مصلحة دنيوية ، فكل معروف صدقة ، وكل ما أدخل السرور على الخلق صدقة وإحسان وكل ما أزال عنهم مايكرهون ، ودفع عنهم ما لايرتضون من قليل أو كثير صدقة وإحسان[٣].

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ..."[٤].

<u>صفات المحسنين</u>

مما تقدم يتضح لنا أن المحسنين هم الذين أدوا الفرائض التى فرضها الله تعالى وقاموا بالواجبات ، ولم يقتصروا على ذلك بل جاهدوا أنفسهم فى طاعة الله وبذلوا للناس ما بوسعهم من نفع معنوى ومادى ... إنهم السابقون إلى الخيرات .

قال تعالى : ( ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ

---

١) خشاش الأرض : هوام الأرض وحشراتها .

٢) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب رقم ٥٤ ، جـ٦ ، ص ٥٩١.

٣) انظر : بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخبار ، ص ١١٦.

٤) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، للإمام المحدث الحافظ محى الدين أبى زكريا يحيى بن شرف النووى الشافعى ، ص ١٠٩ ، تحقيق عبد الله أحمد أبوزينة ، المكتبة العلمية ، بدون تاريخ . صحيح مسلم ، كتاب الذكر ، باب فضل الإجتماع على تلاوة القرآن ، حديث ٣٨ ، جـ٤ ، ص ٢٠٧٤ ، وأخرجه أبوداود فى كتاب الأدب ، باب المعونة للمسلم ، جـ٥ ، ص٢٣٥ ، والترمذى فى القراءات ، حديث ٢٩٤٦ ، باب فضل مدارسة القرآن .

مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّه )[١].

" فالظالم لنفسه يتناول المضيع للواجبات والمنتهك للحرمات .والمقتصد يتناول فاعل الواجبات ، وتارك المحرمات . والسابق يتناول من تقرب بالحسنات مع الواجبات"[٢] وسوف يتعرض الباحث إلى صفات المحسنين وهو لايدعى حصرا ولكنه سيتعرض لأشهر هذه الصفات المعهودة لهم .

## الصفة الأولى : قيام الليل :

قال تعالى : ( ...إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُون )[٣].

"والهجوع : النوم ، والمعنى إنهم كانوا ينامون قليلا من الليل ويحيون أكثر الليل بالسهر فى الصلاة والتضرع والدعاء "[٤].

عن المغيرة رضى الله عنه : " إن كان النبى صلى الله عليه وسلم ليقوم ، أو ليصلى حتى ترم قدماه - أو ساقاه - فيقال له ، فيقول : أفلا أكون عبدا شكورا "[٥].

وقول الراوى : " فيقال له " حذف المقول والقائل ... والمراد فيقال للرسول صلى الله عليه وسلم هون عليك ، أو أتفعل هذا وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر . عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر[٦] قدماه ، فقلت له : لم تصنع هذا يارسول الله وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر : قال : أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا ؟ "[٧].

---

١) سورة فاطر . ٣٢.
٢) التفسير والمفسرون ، د /محمد حسين الذهبى ، جـ١ ، ص ١٣٥ ، دار الكتب الحديثة ، ط٢ ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
٣) سورة الذاريات. ١٦ ، ١٧.
٤) التسهيل لعلوم التنزيل ، جـ٤ ، ص ٦٨ .
٥) فتح البارى ، كتاب التهجد ، باب قيام النبى صلى الله عليه وسلم الليل ، جـ٣ ، ص١٩.
٦) تتفطر : أى تتشقق من كثرة الوقوف فى الصلاة.
٧) رياض الصالحين ، باب فى المجاهدة ، ص ٥٧.

فكان لايمل من العبادة ـ شكرا لله على نعمائه ـ وإن أضرت العبادة ببدنه ٠ بل صح أنه قال : " وجعلت قرة عينى فى الصلاة "[(١)]٠

الصفة الثانية: الذكر والإستغفار

قال تعالى : ( وبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُون )[(٢)] والسحر آخر الليل والمعنى " أنهم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم إذا أسحروا أخذوا فى الإستغفار كأنهم أسلفوا فى ليلهم الجرائم "[(٣)]٠

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم دائم الإستغفار فإذا فتر أو غفل عن الإستغفار عد ذلك ذنبا ، جاء فى الصحيح أنه قال : " إنه ليغان[(٤)] على قلبى ، وإنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة "[(٥)]٠

وقال مرغبا فى الإستغفار " والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة "[(٦)]٠

الصفة الثالثة: بذل المال فى وجوه الخير

قال تعالى : ( وفِى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ والْمَحْرُوم )[(٧)]٠

والحق هنا نوافل الصدقات[(٨)] وليس المراد منه الزكاة وذلك لأن الآية مكية ثم إن

---

١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، جـ٣ ، ص ١٢٨ ، ص ١٩٩ ، ص ٢٨٥ ، دار الفكر ، ط٢ ، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م ، سنن النسائى بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى وحاشية النووى ٠ كتاب عشرة النساء باب حب النساء ، جـ٧ ، ص٦١ ، دار البشائر الإسلامية ، ط٣ ، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م٠
٢) سورة الذاريات٠ ١٨٠
٣) تفسير البيضاوى ، ص ٦٩٠، انظر : تفسير أبى السعود ، جـ٥ ، ص ٦٢٨ ـ ٦٢٩٠
٤) ليغان على قلبى : هى الفترات والغفلات عن الذكر الذى كان شأنه الدوام عليه ٠
٥) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب استحباب الإستغفار والإستكثار منه ،حديث ٤١ ، جـ٤ ، ص ٢٠٧٥٠
٦) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الدعوات ، باب استغفار النبى ، جـ١١ ، ص١٠٤٠
٧) سورة الذاريات ١٩٠
٨) التسهيل لعلوم التنزيل ، جـ٤ ، ص ٦٨٠

الزكاة قد فرضت بعد الهجرة .

وقد جانب الصواب من قال إن الآية منسوخة بالزكاة وذلك لأن النسخ إنما يكون عند التعارض ولا تعارض بين الزكاة والنوافل . والمعنى وفى أموال المحسنين حق أى نصيب وافر يستوجبونه على أنفسهم تقربا إلى الله تعالى وإشفاقا على الناس[(١)].

وهذا النصيب من أموالهم يقدم للسائل أى المستجدى والمحروم أى المتعفف الذى يحسبه الناس غنيا فيحرم الصدقة .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أعظم الناس صدقة بما ملكت يده ، ولايستكثر شيئا أعطاه لله ، ولايستقله ، وكان إذا عرض له محتاج آثره على نفسه ، تارة بطعامه ، وتارة بلباسه[(٢)].

عن عدى بن حاتم رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إتقوا النار ولو بشق تمرة "[(٣)].

<u>الصفة الرابعة : صيام التطوع:</u>

وللصيام أثر كبير فى تهذيب النفس والسلوك فالجوع والظمأ يكسر من حدة الشهوة ، ويذكر الإنسان بحال الأكباد الجائعة من المساكين ، ويضيق مجارى الشيطان "فهو لجام المتقين وجنة المحاربين ورياضة الأبرار المقربين"[(٤)].

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم صواما قواما وحث على الصيام ورغب فيه فقال : " ما من عبد يصوم يوما فى سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن

---

١) انظر : تفسير أبى السعود ، جـ٥ ، ص ٦٢٩.
٢) انظر : مختصر زاد المعاد للإمام إبن القيم ، ص ٧٦ ، تأليف محمد بن عبدالوهاب ، صححه وقابله على أصوله الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين والشيخ محمد بن عبدالله السمهرى نشر المطابع الأهلية للأوفست بالرياض ، بدون تاريخ .
٣) رياض الصالحين ، باب الكرم والجود والإنفاق فى الخير ، ص ٢٠٧.
٤) مختصر زاد المعاد للإمام إبن القيم ، ص ٧٨.

النار سبعين خريفا"[١][٢].

الصفة الخامسة : إجتناب كبائر الإثم:

قال تعالى : ( ... لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللمم ...)[٣].

وكبائر الإثم : هى مايكبر عقابه من الذنوب وهو مارتب الوعيد عليه بخصوصه[٤] والفواحش ، كل ماعظم قبحه من الذنوب ، وأغلب ماتطلق على الزنا لشدة قبحه . قال تعالى : ( وَلاتَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلا )[٥].

واللمم : هى صغائر الذنوب ، أو الإلمام بالذنوب على وجه الفلتة والسقطة دون دوام عليها . أو أنه الهم بالذنوب وحديث النفس به دون أن يفعل[٦].

والمعنى أن المحسنين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش ، وإذا أصابوا صغيرة ، أو إذا جال فى نفوسهم خاطر السوء ، أو إذا ألمُّوا بكبيرة أو فاحشة على وجه الفلتة والسقطة ، سرعان مايعودوا إلى الله ويستغفروا ويندموا .

قال تعالى : ( والَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِم ، ومَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ، ولَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُون )[٧].

الصفة السادسة: اليقين بالآخرة:

قال تعالى : ( هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِين الَّذينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ ويُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُون )[٨].

---

١) سبعين خريفا : الخريف السنة والمراد مسيرة سبعين سنة.
٢) صحيح مسلم ، كتاب الصوم ، باب فضل الصيام فى سبيل الله ، حديث ١٦٧ ، جـ٢ ، ص٨٠٨.
٣) سورة النجم. ٣١ ، ٣٢.
٤) تفسير البيضاوى ، ص ٦٩٩ ، تفسير أبى السعود ، جـ٥ ، ص ٦٤٨.
٥) سورة الإسراء . ٣٢.
٦) انظر : التسهيل لعلوم التنزيل ، جـ٤ ، ص ٧٧.
٧) سورة آل عمران. ١٣٥.
٨) سورة لقمان. ٣ ، ٤.

إنهم يصلون ويزكون ويتقربون إلى الله تعالى بالطاعات ‥ يفعلون ذلك وهم بجزاء الله وثوابه لمن فعل ذلك فى الآخرة يوقنون ٠

الصفة السابعة : كظم الغيظ:

قال تعالى : ( الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِى السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ والْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ والْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ واللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِين )[١]٠

وكظم الغيظ رده فى الجوف ٠ يقال كظم غيظه أى سكت عليه ولم يظهره مع قدرته على إيقاعه بعدوه ٠ والفرق بين الغيظ والغضب أن الغيظ لايظهرعلى الجوارح بخلاف الغضب فإنه يظهر على الجوارح [٢]٠

وكظم الغيظ من أقسام الصبر والحلم وهو كقوله تعالى : ( وإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُون )[٣]٠ فليس من الإحسان أن يشتغل الإنسان بمقابلة الإساءة بإساءة أخرى ٠ قال النبى صلى الله عليه وسلم : " من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفذه زوجه الله من الحور العين حيث يشاء "[٤]٠ وقال عليه السلام : " ليس الشديد بالصرعة ولكنه الذى يملك نفسه عند الغضب "[٥]٠

روى عن ميمون بن مهران[٦]، أن جاريته جاءت ذات يوم بصحيفة فيها مرقة

---

١) سورة آل عمران، ١٣٤٠

٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبى ، جـ٣ ، ص ١٤٤٩٠

٣) سورة الشورى، ٣٧٠

٤) سنن أبى داود للحافظ أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى ، كتاب الأدب ، باب من كظم غيظا ، جـ٥ ، ص ١٣٧ ، وأخرجه الترمذى فى كتاب البر والصلة ، باب كظم الغيظ ، حديث ٢٠٣٢ ، وابن ماجة فى كتاب الزهد ، باب الحلم ، جـ٢ ، ص ١٤٠٠ ، وأحمد فى مسنده ، جـ٣ ، ص ٤٤٠٠

٥) صحيح مسلم كتاب البر والصلة ، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب ، جـ٤ ، ص ٢٠١٤ ، وأخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الأدب ، باب الحذر من الغضب ٠

٦) ميمون بن مهران الجزرى الفقيه ، تابعى جليل نشأ فى الكوفة ثم نزل الرمة ـ ثقة قليل الحديث ـ ولد سنة سبع عشرة ، ومات سنة ست عشرة ومائة بالجزيرة وقيل غير ذلك ٠ انظر : تهذيب التهذيب ، جـ١٠ ، ص ٣٩٠ ـ ٣٩٢٠

حارة وعنده أضياف فصبت المرقة عليه ، فأراد ميمون أن يضربها فقالت الجارية يا مولاى إستعمل قول الله تعالى : ( والْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ) .. قال لها قد فعلت . فقالت: إعمل بما بعده (والْعَافِينَ عَنِ النَّاس) . فقال قد عفوت عنك . فقالت الجارية . (واللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِين ) . قال ميمون قد أحسنت إليك فأنت حرة لوجه الله تعالى "(١).

الصفة الثامنة: العفو عن الناس:

قال تعالى : ( والْعَافِينَ عَنِ النَّاس )(٢) . أى العافين عن الناس عقوبة ذنوبهم وهم على الإنتقام منهم قادرون(٣) .

ويحتمل أن يكون المراد العفو عن المعسرين لأنه ورد عقب قصة الربا ، كما قال تعالى : ( وإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلىٰ مَيْسَرَةٍ وأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُم )(٤) .

والاولى : أن العفو عام لجميع المكلفين فى الأحوال إذا جنى عليهم أحد لم يؤاخذوه . عن عيسى بن مريم عليه السلام : " ليس الإحسان أن تحسن إلى من أحسن إليك ذاك مكافأة ، وإنما الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك "(٥).

أورد بن كثير فى تفسيره أنه لما نزل قوله تعالى :"( خُذِ الْعَفْوَ) سأل النبى صلى الله عليه وسلم جبريل عن تأويلها فقال له حتى أسأل العالم : فأتاه فقال : يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك "(٦).

---

١) الجامع لأحكام القرآن الكريم ، جـ٣ ، ص ١٤٤٩ .
٢) آل عمران . ١٣٤ .
٣) انظر : تفسير الطبرى ، جـ٤ ، ص ٦١ .
٤) البقرة . ٢٨٠ .
٥) انظر : تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، جـ٤ ، ص ٧٦ .
٦) تفسير ابن كثير ، جـ٢ ، ص ٢٧٧ .

# الفصل الأوّل

## إحسان الله إلى الإنسان

ويشتمل على تمهيد وأربعة مباحث :

المبحث الأوّل : خلق الإنسان في أحسن صورة .

المبحث الثاني : منح الإنسان القدرة على الإنتفاع بما في الكون وتجاوب الكون معه .

المبحث الثالث : إرسال الرسل وإنزال الكتب .

المبحث الرابع : العفو عن كل تائب مقبل على الله ومضاعفة الحسنات دون السيئات .

## إحسان الله إلى الإنسان

**تمهيد :**

" الإحسان فى صورته العليا صفة رب العالمين . لأن الإساءة تنتج عن الجهل والعجز والقصور وما إلى ذلك من أوصاف مستحيلة على الله "(١).

ولقد جاء فى الصحيح " إن الله جميل يحب الجمال "(٢).

" وجماله سبحانه على أربع مراتب : جمال الذات وجمال الصفات وجمال الأفعال وجمال الأسماء "(٣).

أما جمال الذات فأمر لايدركه سواه ولايعلمه غيره " لاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ "(٤).

فكل جمال ظاهر وباطن فى الدنيا والآخرة من آثار صنعته، فما الظن بمن صدر عنه هذا الجمال.

وأما جمال الأسماء والصفات فأسماؤه كلها حسنى، وصفاته كلها صفات كمال.

قال تعالى : (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ )(٥).

مناسبة الآية : عن ابن عباس قال : " صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ذات يوم فدعا فقال فى دعائه : يا الله يارحمن ، فقال المشركون : أنظروا إلى هذا الصابىء ينهانا أن ندعو إلهين وهو يدعو إلهين فأنزل الله (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ) "(٦).

---

١) المحاور الخمسة للقرآن الكريم - الشيخ محمد الغزالى ، ص ١٩٤ ، دار الصحوة للنشر ، ط الأولى سنة ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب تحريم الكبر وبيانه ، حديث ١٤٧ ، جـ١ ، ص٩٣.

٣) الفوائد تأليف ابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ ، ٢٣٥ ، تخريج وحواشى أحمد راتب عرموش ، دار النفائس ط الأولى سنة ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩م.

٤) سورة الأنعام ١٠٣.

٥) سورة الإسراء ١١٠.

٦) لباب النقول فى أسباب النزول ، تأليف جلال الدين السيوطى ، ص١٤٢ ، دار إحياء العلوم بيروت ، ط٣ ، سنة ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م.

أى إن شئتم قولوا يا الله وإن شئتم قولوا يا رحمن فأى هذين الإسمين سميتم فهو حسن .

" ومعنى حسن أسماء الله كونها مفيدة لمعانى التحميد والتقديس والتمجيد والتعظيم وعلى صفات الجلال والكمال "(١).

قال النيسابورى : " ومعنى حسن الأسماء حسن معانيها ومفهوماتها لأنها أسماء دالة على معانى الكمال ونعوت الجلال وهى محصورة فى نوعين : عدم إفتقاره تعالى إلى غيره ، وثبوت افتقار غيره إليه "(٢).

قال تعالى : (وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فادْعُوهُ بِها وَذَرُوا الَّذين يُلْحِدُونَ فِيْ أسْمائِهِ سَيُجْزَونَ مَاكانوا يَعْمَلُونْ)(٣). والإلحاد فى أسماء الله يقع على ثلاثة أوجه:(٤)

الوجه الأول : بالتغيير فيها كما فعل المشركون فأطلقوا أسمائه المقدسة على الأصنام ، فاشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان .

الوجه الثانى: بالزيادة فيها ، أى بتسميته بما لايجوز عليه كما سُمع عن البدو أنهم قالوا بجهلهم يا أبا المكارم ، يا أبيض الوجه يا نحىّ بناء على أن النخوة مدح .

الوجه الثالث : بالنقص منها بأن يأبوا تسميته ببعض أسمائه الحسنى كالرحمن مثلا .

قال القرطبى " ومعنى الزيادة فى الأسماء التشبيه ، والنقصان التعطيل فإن المشبهه وصفوه بمالم يأذن فيه ، والمعطلة سلبوه ما اتصف به ولذلك قال أهل الحق : إن ديننا طريق بين طريقين لابتشبيه ولابتعطيل "(٥).

وأما جمال الأفعال : فأفعاله كلها حكمة ومصلحة وعدل ورحمة .

---

١) تفسير مراح لبيد ، جـ١ ، ص ٤٩١.
٢) تفسير النيسابورى ، جـ٩ ، ص ٨٣.
٣) سورة الأعراف ، ١٨٠.
٤) انظر : تفسير النيسابورى ، جـ٩ ، ص٨٤ ، الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبى ، جـ٤ ، ص٢٧٦٤ فتح القدير للشوكانى ، جـ٢ ، ص ٢٦٨.
٥) الجامع لأحكام القرآن الكريم ، جـ٤ ، ص ٢٧٦٤.

قال تعالى : (صُنْعَ اللَّهِ الَّذي أَتْقَنَ كُلَّ شَيءٍ إِنَّهُ خَبيرٌ بما يَفْعَلُون )[١].
( الَّذي أَحْسَنَ كُلَّ شَيءٍ خَلَقَه )[٢].
( ما تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمٰنِ مِنْ تَفَاوُت )[٣].

والباحث فى هذا الفصل سيتعرض إلى شيء من أفعال الله وإحسانه على الإنسان. إنه لامحسن على الحقيقة بأصناف النعم الظاهرة والباطنة إلا الله .
" فكل أفعاله حسن محبوب وإن كان فى مفعولاته " مخلوقاته " ما يبغضه ويكرهه ، فليس فى أفعاله ما هو مكروه مسخوط "[٤].

١) سورة النمل. ٨٨.
٢) سورة السجدة. ٧.
٣) سورة الملك. ٣.
٤) الفوائد ، تأليف ابن قيم الجوزية ، ص ٢٣٦.

## المبحث الأول

## خلق الإنسان فى أحسن صورة

ويشتمل هذا المبحث على ثلاثة مطالب :

الأول : الإنسان أفضل المخلوقات وأشرفها .

الثانى : أصل الإنسان .

الثالث : الإنسان مخلوق منذ النشأة الأولى فى أتم مظهر وأحسن تقويم .

### المطلب الأول

### الإنسان أفضل المخلوقات وأشرفها

"إن الإنسان بجنسه كريم على الله وإن كرامته ذاتية أصيلة لاتتبع جنسه ولالونه ولابلده ولاقومه ولاعشيرته ولابيته ولا عرضا من هذه الأعراض الزائلة الرخيصة . إنما تتبع كونه إنسانا "(١) .

قال تعالى : ( وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِى آدَمَ وحَمَلْناهُم فِى البَرِّ والبَحْرِ ورَزَقْناهُم مِنَ الطَّيِّباتِ وَفَضَّلْنَاهُم عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلا )(٢) .

وقال : ( وإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأرْضِ خَلِيفَة )(٣) .

وقال :( وإِذْ قُلْنَا لِلمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى واسْتَكْبَرَ وكانَ مِنَ الكَافِرِين )(٤) .

وقال : ( وَسَخَّرَ لَكُمْ ما فِى السَّمٰواتِ وَمَافِى الأرْضِ جَمِيعا مِنْهُ )(٥) .

---

١) هذا الدين ، سيد قطب ، ص٨٠ ، دار الشروق ، بدون تاريخ .

٢) سورة الإسراء . ٧٠ .

٣) سورة البقرة . ٣٠ .

٤) سورة البقرة. ٣٤ .

٥) سورة الجاثية. ١٣ .

فالإنسان أشرف المخلوقات وذلك لأن الله تعالى خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته ، وعلمه البيان ومسميات الأشياء ، واستخلفه لعمارة كوكب الأرض، وسخر له ما في السموات وما في الأرض ، وتعهده بإرسال الرسل كلما تعثر أو انحرف عن الطريق المستقيم ، وأوجب له حقوقا وأمر بصيانتها .

صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " أنه مرت به جنازة من غير المسلمين فقام لها فقيل : يارسول الله : إنها جنازة غير مسلم : فقال " أليست نفسا ؟ "[(١)] .

كما روى أن الصحابي الجليل ابن عمر نظر ذات يوم إلى الكعبة وأخذ يناجيها فكان مما حفظ من قوله : ما أعظمك وأعظم حرمتك . وما أطيبك وأطيب ريحك والمؤمن أعظم حرمة عندالله منك : حرمة ماله ودمه وعرضه "[(٢)] .

## المطلب الثاني

## أصل الإنسان

" الإنسان مخلوق - من حيث الجنس - من عنصر التراب ومتكاثر من حيث المصدر من الإنسان الأول آدم عليه السلام "[(٣)] .

أ) فأما كون الإنسان مخلوق - من حيث جنسه - من عنصر التراب فقد دلت على ذلك آيات كثيرة وصريحة منها :

قال تعالى : ( مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى )[(٤)] .

---

١) صحيح البخاري ضبطه ورقمه وذكر تكرار مواضعه وشرح ألفاظه وجمله د /مصطفى ديب البغا - كتاب الجنائز ، باب من قام لجنازة يهودي ، جـ١ ، ص ٤٤١ .

٢) مجلة رسالة الطالب المسلم ، ص١٥ ، مقال لفضيلة الشيخ السيد سابق بعنوان الإنسان في القرآن ، العدد الرابع سنة ١٤٠٠هـ ، ١٤٠١م .

٣) كبرى اليقينيات الكونية تأليف د /محمد سعيد رمضان البوطي ، ص ٢٠١ ، مطبعة مسودى ، القدس ، ط٦ ، سنة ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م .

٤) سورة طه . ٥٥ .

والمعنى أي من الأرض مبدؤكم . فإن أباكم آدم مخلوق من تراب من أديم الأرض "وفيها نعيدكم" أي وإليها تصيرون إذا متم وبليتم ومنها تخرجون تارة أخرى"(١).

وقال : ( وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ )(٢).

أي أنه تعالى خلق أبا البشر آدم من طين رطب منتن .

وقال : ( الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ )(٣). فالطين كان بداءة وكان في المرحلة الأولى .

"فأما كيف ارتقى هذا الطين من طبيعته العنصرية المعروفة إلى أفق الحياة العضوية أولا ، وإلى أفق الحياة الإنسانية أخيرا ؟ فهذا السر الذي يعجز عن تعليله البشر أجمعون ، وما يزال سر الحياة في الخلية الأولى خافيا لا يزعم أحد أنه اهتدى إليه "(٤).

وبعد أن خلق الله تعالى آدم من طين ... ميزه عن سائر الأحياء بالروح التي نفخها فيه .

قال تعالى : ( وإذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ )(٥).

" ولانملك أن نسأل كيف تلبست نفخة الله الأزلي الباقي بالصلصال المخلوق الفاني فالجدل على هذا النحو عبث عقلي وإقحام للعقل في غير ميدانه وهو سفه في إنفاق الطاقة العقلية "(٦).

---

١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، جـ٣ ، ص ١٥٦.
٢) سورة الحجر . ٢٦.
٣) سورة السجدة . ٧.
٤) في ظلال القرآن لسيد قطب ، جـ٤ ، ص ٢١٣٨ ، دار الشروق ، طـ٧ سنة ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م.
٥) سورة الحجر . ٢٨ ، ٢٩.
٦) انظر الظلال ، جـ٤ ، ص ٢١٤٠.

والروح ليست هى مجرد الحياة ، فالإنسان يشترك فى الحياة مع سائـــــر الأحياء ولكنها شئ آخر استأثر الله تعالى بعلمه .

( وَيسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلمِ إِلَّا قَلِيلا )(١).

والذى يبدو من خلال قصة خلق آدم أن هذه الروح لم تأت للإنسان بعد مراحل أو أطـــوار من نشأته كما تزعم الدارونية ولكنها جاءت مصاحبة لخلقه ونشأته .

ثم أسجد الله تعالى ملائكته لآدم إكراما له . ( وإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى واسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِين )(٢).

ثم علم الله آدم عليه السلام البيان ومسميات الأشياء ، هذا عصفور ، هذا نجم ، هذه شجرة ، هذه سحابة .. إلى آخر الأسماء .

قال تعالى : ( وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا )(٣). وقال : ( خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَان )(٤).

" وغرس الله فى نفس آدم العلم بأسباب استعمار الأرض وتغييرها والتحكم فيهـــا والسيادة عليها "(٥).

خلق حواء:

ثم خلق الله سبحانه حواء من ضلع فى صدر آدم وذلك ليسكن إليها ويأنس بها فى رحلته الشاقة فى هذه الحياة الدنيا .

قال تعالى : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَـــا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُما رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً ..)(٦).

---

١) سورة الإسراء . ٨٥ .
٢) سورة البقرة . ٣٤ .
٣) سورة البقرة . ٣١ .
٤) سورة الرحمن . ٣ ، ٤ .
٥) انظر : أنبياء الله ، أحمد بهجت ، ص ٣٩ ، دار الريان للتراث ، ط١٤ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .
٦) سورة النساء . ١ .

" أجمع المسلمون على أن المراد بالنفس الواحدة ههنا هو آدم عليه السلام "(١).

" والذى عليه الأكثرون أنه لما خلق الله آدم ألقى عليه النوم ثم خلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى فلما استيقظ رآها ومال إليها وألفها لأنها كانت مخلوقة من جزء من أجزائه "(٢).

ومما يؤيد هذا القول ما جاء فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: " فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج ، وإن أعوج شئ فى الضلع أعلاه . إن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، إستوصوا بالنساء خيرا "(٣).

ب) وأما كون الإنسان متكاثر من حيث المصدر من الإنسان الأول آدم عليه السلام فقد دلت على ذلك آيات صريحة وكثيرة فى كتاب الله تعالى ، نقرأ هذه الآيات فى قصة خلق آدم التى تكررت فى القرآن الكريم .

قال تعالى :( هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِين )(٤).

والمعنى : أن الله سبحانه وتعالى بعد أن خلق آدم عليه السلام من تراب ، خلق زوجته حواء من ضلع من صدره " ليسكن إليها " أى ليطمئن إليها ويميل ولاينفر ، لأن الجنس إلى الجنس أميل ، وبه آنس " فلما تغشاها " كناية عن الجماع " حملت حملا خفيفا " والحمل الخفيف المنى فى فرجها " فمرت به " أى قامت وقعدت " فلما أثقلت " أى صارت ذات ثقل لكبر الولد فى بطنها واشتد الكرب (٥).

---

١) تفسير الرازى ، جـ٩ ، ص ١٩٦.
٢) المصدر السابق ، جـ٩ ، ص ١٦٧.
٣) صحيح مسلم ، كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء ، جـ٢ ، ص ١٠٩١ ، وأخرجه البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء ، باب خلق آدم وذريته ، جـ٦ ، ص٤١٨ من فتح البارى .
٤) سورة الأعراف ، ١٨٩.
٥) انظر : تفسير أبى السعود ، جـ٢ ، ص ٣٣١ ، التسهيل ، جـ٢ ، ص ٥٧.

وقال تعالى :( ... وبَدَأَ خَلْقَ الإنْسَانِ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ )(١).

أى خلق الله آدم من طين ثم جعل ذريته من ماء مهين لا خطر له عند الناس وهو المنى (٢).

## أطوار خلق الإنسان في بطن أمه

قال تعالى : ( وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِين.ثُمَّ جَعَلْنَاه نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَكِين.ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فخَلَقْنا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِين )(٣).

فهذه الآيات تحوى أهم أطوار تخلق الجنين فى بطن أمه وهى :

النطفة ، والعلقة ، والمضغة ، ومرحلة تخلق الأجهزة ، ثم الخلق الآخر .

والآن لنسر مع آيات القرآن فى تلك الأطوار التى أشارت إليها .

## الطور الأول : من النطفة إلى العلقة: ( ثمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً )(٤).

إن البويضة بمجرد تلقيحها بالخلية المنوية تسعى للالتصاق بجدار الرحم وهى مزودة بخاصية أكالة ، تمزق جدار الرحم الذى تَعْلَقُ به وتأكله ، فيتوارد دم الأم إلى موضعها ، حيث تسبح هذه البويضة الملقحة فى بركة من دم الأم الغنى بكل ما فى جسمها من خلاصات وتمتصه لتحيا وتنمو ، وهى دائمة الأكلان لجدار الرحم ، دائمة الإمتصاص لمادة الحياة (٥).

---

١) سورة السجدة. ٧، ٨.

٢) انظر : فتح القدير ، جـ٤ ، ص ٢٥٠.

٣) سورة المؤمنون. ١٢ - ١٤.

٤) سورة المؤمنون. ١٤.

٥) انظر : الظلال ، جـ٦ ، ص ٣٣٦٠.

وتستمر عملية العلوق بجدار الرحم مدة"٢٤" أربع وعشرين ساعة وبذلك تنتهي مرحلة تشكل العلقة "(١).

الطور الثاني : من العلقة إلى المضغة: ( فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً )(٢).

وبعد عملية العلوق تبدأ مرحلة المضغة في الأسبوع الثالث - بتشكيل اللوحة المضغية، واللوحة المضغية عبارة عن قرص مؤلف في البدء من وريقتين : خارجية وداخلية ثم تتشكل بينهما وريقة ثالثة هي الوريقة المتوسطة ، وحتى نهاية الأسبوع الرابع لايكون هناك أي تمايز لأي عضو أو جهاز ، ويمكن أن نسمي هذه المرحلة بالمضغة غير المخلقة ، ثم يمر الحمل في أدق مراحله حيث يطرأ على اللوحة المضغية المؤلفة من الوريقات الثلاث جملة تغيرات إبتداء من الأسبوع الخامس ، وتسمى بعملية التمايز أو كما أسماها القرآن " التخلق " فكل زمرة من خلايا هذه الوريقات تأخذ على عاتقها تشكيل واحد من أجهزة الجسم أو أعضائه ، وتنتهي عملية التخليق في نهاية الشهر الثالث تقريبا . ويكون طول الجنين عندها ١٠ سم ويزن حوالي ٥٥غ. ويمكن تسمية هذه المرحلة بمرحلة المضغة المخلقة (٣).

قال تعالى : ( ... فإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَة ..)(٤).

الطور الثالث : طور الجنين : ( ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَر )(٥).

يميل محصول الحمل إلى الزيادة بعد الشهر الثالث ، وتسعى الأجهزة التي

---

١) انظر : مع الطب في القرآن الكريم ، تقديم د /محمود ناظم نسيمي، تأليف د /عبدالحميد دياب ود /أحمد قرموز ، ص٨١ ، مؤسسة علوم القرآن - دمشق ، ط٢سنة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

٢) سورة المؤمنون . ١٤.

٣) انظر : مع الطب في القرآن الكريم ، ص ٨١ ، ٨٢.

٤) سورة الحج. ٥.

٥) سورة المؤمنون. ١٤.

تشكلت نحو التكامل .. وبشكل عام فإن أهم مايطرأ على الجنين فى الشهر الثالث هو الحركة ونبضان القلب واستقلال إفراز المشيمة الغدى ، والنمو المتسارع فى حجم الجنين وتكامل شكله الخارجى .

أما الحركة فتبدأ فى آخر الشهر الثالث وابتداء الرابع حيث تتم عملية إتصال الجهاز العصبى بالأجهزة والعضلات ، وتشعر الحامل بحركات جنينها فى الشهر الرابع.

وبالنسبة لاستقلال المشيمة الغدى فهو مباشرتها بإفراز الهرمونات اللازمة لاستمرار الحمل بعد أن أصبحت الكميات التى يفرزها المبيض غير كافية ، ولأن متطلبات الحمل من هذه الهرمونات تصبح أكثر بكثير من كفاءة المبيض .

أما نمو الجنين فيكون سريعا فى هذه المرحلة ، فبعد أن كان وزنه فى نهاية الشهر الثالث "٥٥" غ وطوله "١٠" سم يصبح وزنه عند تمام الحمل حوالى "٣٢٥٠" غ وطوله "٥٠" سم ، وخلال هذه الفترة يتكامل شكله الخارجى (١) .

البعد الإنسانى: الروح: قال تعالى : ( ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ والأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَاتَشْكُرُونَ ) (٢) .

وبعد مرور مائة وعشرين يوما على الجنين فى بطن أمه يرسل الله سبحانه وتعالى إليه الملك الموكل بنفخ الأرواح لينفخ فيه الروح .

عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق " إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد .. " (٣) .

---

١) انظر : مع الطب فى القرآن الكريم ، ص ٨٣ ، ٨٤.

٢) سورة السجدة ، ٩.

٣) صحيح البخارى ، كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة ، جـ٣ ، ص ١١٧٤ - ١١٧٥ ، صحيح مسلم كتاب القدر ، باب كيفية الخلق الآدمى ، جـ٤ ، ص ٤٦.

ولقد أشار الباحث فى الصفحات القليلة السابقة إلى أن الروح ليست هى مجرد الحياة ولكنها شيء آخر استأثر الله تعالى بعلمه .

## المطلب الثالث

## الإنسان مخلوق منذ النشأة الأولى في أتم مظهر وأحسن تقويم

قال تعالى : ( ٱلَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ )(١) .

مامن شيء خلقه الله إلا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة .

" فالمخلوقات كلها حسنة ، وإن تفاوتت فى الحسن ، وحسنها من جهة المقصد الذى أريد بها ولهذا قال ابن عباس ليست القردة بحسنة ولكنها متقنة محكمة "(٢) .

ولم يخلق الله سبحانه وتعالى حيوانا أحسن صورة من الإنسان ،فالإنسان أنموذج جميع المخلوقات ، خصه الله بخلاصة خصائص المبدعات ، فهو منتصب القامة، بادى البشرة ، متناسب الأعضاء والتخطيطات ، متهيء لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات قال تعالى : ( وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُم )(٣) .
وقال : ( ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ )(٤) .

ونظرة فاحصة إلى الهندسة العامة لتركيب الإنسان أو إلى أى جهاز من أجهزته تثبت تلك الحقيقة ، إنها هندسة يجتمع فيها الجمال إلى الكمال ، ويتفاوت الجمال بين شكل وشكل ، ولكن التصميم فى ذاته جميل وكامل الصنعة وواف بكل الوظائف

---

١) سورة السجدة . ٧ .
٢) تفسير البحر المحيط ، لمحمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى ، جـ٧ ، ص ١٩٩ ، دار الفكر العربى ، بيروت ، ط٢ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، انظر : فتح القدير ، جـ٤ ، ص ٢٤٩ .
٣) سورة غافر . ٦٤ ، سورة التغابن . ٣ .
٤) سورة الإنفطار . ٧ .

والخصائص التى يتفوق بها الإنسان فى الأرض على سائر الأحياء [١].

قال تعالى : ( لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيم ) [٢].

جاء فى تفسير الرازى أن المفسرين ذكروا فى شرح هذا الحسن وجهين :

الأول : أنه تعالى خلق كل ذى روح مكبا على وجهه إلا الإنسان فإنه تعالى خلقه مديد القامة يتناول مأكوله بيده .

الثانى: أنه تعالى خلق الإنسان فى أكمل عقل وأدب وعلم وبيان .

فالقول الأول راجع إلى الصورة الظاهرة والثانى راجع إلى السيرة الباطنة [٣].

والذى يراه الباحث : أن الآية تحتمل الوجهين .

فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان فى أحسن مايكون من التقويم صورة ومعنى حيث بدأه مستوى القامة متناسب الأعضاء ، متصفا بالحياة ، والعلم والقدرة والإرادة والتكلم والسمع وغير ذلك من الصفات [٤].

## فساد نظرية دارون:

إن نظرية النشوء والإرتقاء لدارون القائلة : بأن الأنواع تسلسلة من الخلية الواحدة إلى الإنسان فى أطوار متوالية ، وأن هناك حلقات نشوء وارتقاء تجعل أصل الإنسان حيوانا فوق القردة العليا ودون الإنسان .. إن هذه النظرية غير صحيحة.

## أدلة فساد نظرية دارون:

١) القرآن والسنة: قال تعالى : ( لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيم ) [٥].

وقد تقدم بيان هذه الآية .

---

١) انظر : الظلال ، جـ٦ ، ص ٣٥٨٥.
٢) سورة التين. ٣.
٣) انظر : تفسير الرازى ، جـ٣٢ ، ص ١٠.
٤) انظر : تفسير أبى السعود ، جـ٥ ، ص ٨٨٤.
٥) سورة التين. ٤.

وورد في الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " خلق الله آدم على صورته ... "[(١)] . أى أنه منذ خُلق كانت صورته هى الصورة ذاتها التى إستمر عليها وعرف بها ، أى لم ينشأ متنقلا من شكل إلى آخر . فالضمير فى "صورته" راجع إلى آدم .

٢) هذه النظرية تتعارض مع عوامل الوراثة :

إن كشف عوامل الوراثة - التى لم يكن داروين قد عرفها - تجعل هذا التطور من نوع إلى نوع ضربا من المستحيل . فهناك عوامل وراثية كامنة فى خلية كل نوع تحتفظ له بخصائص نوعه . فالقط أصله قط وسيظل قطا على توالى القرون والكلب كذلك ، والثور والحصان والقرد .. .

وكل ما يمكن أن يقع - حسب نظريات الوراثة - هو الإرتقاء فى حدود النوع نفسه دون الإنتقال إلى نوع آخر [(٢)] .

٣) إنها تعتمد على الأدلة الظنية:

لأن تقدير أعمار الصخور ذاته فى طبقات الأرض ليس إلا ظنا كتقدير أعمار النجوم من إشعاعها . وليس مايمنع من وجود أنواع من الحيوان فى أزمان متوالية بعضها أرقى من بعض ، بفعل الظروف السائدة فى الأرض ، ومدى ماتسمح به من وجود أنواع تلائم هذه الظروف السائدة حياتها ، ثم انقراض بعضها حين تتغير الظروف السائدة بحيث لاتسمح لها بالحياة ، ولكن هذا لايحتم أن يكون بعضها متطورا من بعض .. فحفريات داروين لاتستطيع أن تثبت فى يقين مقطوع به أن هذا النوع تطور تطورا عضويا من النوع الذى قبله من الناحية الزمنية وفق شهادة

---

١) صحيح البخارى ، كتاب الإستئذان باب بدء السلام ، ج٥ ، ص ٢٢٩٨ ، صحيح مسلم ، كتاب البر ، باب النهى عن ضرب الوجه ، ج٤ ، ص ٢٠١٧.

٢) انظر : الظلال ، ج٥ ، ص ٢٨٠٩.

٣) انظر : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٢٦٤ ، ١٢٦٥.

الطبقة الصخرية التى يوجد فيها [1] ٠

٤) إن نظرية دارون تحط من قدر الإنسان وتتغافل الروح:

" فالإنسان وفق نظرية النشوء والارتقاء ليس له أهمية ولا امتياز على غيره إنه من جنس الهوام والحشرات والزواحف والقرود ، غاية أمره أنه تطور بمرور الزمن فأصبح هذا الإنسان " [2] ٠

وبناء على النظرة الدارونية للإنسان فقد نشأت تصورات خاطئة عن الإنسان ومطالبه٠ فمطالب الإنسان عند الماركسيين والماديين تنحصر فى مطالب الحيوان ، وهى الطعام والشراب والمسكن والجنس ، ومن ثم تهدر كل حقوقه المترتبة على تفرده عن الحيوان بخصائصه الإنسانية ٠٠ تهدر حقوقه فى الإعتقاد الدينى ، وحرية التفكير والرأى ، بل تهدر حقوقه فى نقد تصرفات الحزب ثم يسمى ذلك المنكر " الإشتراكية العلمية "٠

أما النظرة الإسلامية إلى الإنسان فإنها تقوم على أساس تفرده بخصائص الإنسانية فليس الطعام والشراب والمسكن والجنس هى كل مطالبه الأساسية ، وليس ماوراءها من مطالب العقل والروح مطالب ثانوية ، إن العقيدة وحرية التفكير والإرادة والإختيار هى مطالب أساسية كالطعام والشراب والمسكن والجنس ، بل هى أعلى منها فى الإعتبار لأنها هى المطالب الزائدة فى الإنسان على الحيوان أى المطالب المتعلقة بخصائصه التى تقرر إنسانيته ٠ والتى بإهدارها تهدر آدميته [3] ٠

---

١) انظر : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٢٦٤ ، ١٢٦٥٠

٢) الإيمان والحياة ، د / يوسف القرضاوى ، ص ٦٣ ، مؤسسة الرسالة ، ط٧ ١٤٠١هـ - ١٩٨١م٠

٣) انظر : الظلال ، جـ٤ ، ص ٢١٤٤٠

## المبحث الثاني

## منح الإنسان القدرة على الإنتفاع بما في الكون وتجاوب الكون معه

ويشتمل هذا المبحث على ثلاثة مطالب :

الأول : الإنسان وحقيقة دوره فى الأرض ٠

الثانى : تجاوب الكون مع الإنسان ٠

الثالث : نعم الله على الإنسان ٠

### المطلب الأول

### الإنسان وحقيقة دوره في الأرض

إن الانسان هو خليفة الله فى هذه الأرض ٠

" وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيْفَة ... "(١) ٠

"والخلافة هى النيابة عن الغير إما لغيبة المنوب عنه وإما لموته وإما لتشريف المستخلف ، وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله آدم وذريته فى الأرض"(٢) ٠

ولقد تكررت مسألة الإستخلاف فى القرآن الكريم:

قال تعالى : ( هُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِى الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيم )(٣) ٠

( هُوَ الَّذِى جَعَلكُمْ خَلائِفَ فِى الأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلايَزِيدُ الْكَافِرينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ

---

١) سورة البقرة، ٣٠٠

٢) مفردات غريب القرآن للأصفهانى ، ص ١٥٧٠

٣) سورة الأنعام، ١٦٥٠

رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتاً ، وَلايَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارا )[1].

( واذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فاذْكُروا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون )[2].

( قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأرْضِ فَيَنْظُرَ كيْفَ تَعْمَلون )[3] .

( ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُون )[4].

( فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ ومَنْ مَعَهَ فِي الْفُلْكِ ، وَجَعَلْنَاهُمْ خَلائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِين )[5].

( وَيجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأرْضِ ، أ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ ؟ قليلاً ما تَذَكَّرُون )[6].

( وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأرْضِ كَما اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ولَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ ولَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنَا يَعْبُدُونَنِي لايُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ومَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُون )[7].

وبالتأمل الدقيق فى الآيات السابقة التى ورد فيها لفظ الإستخلاف نجد أن الله سبحانه وتعالى يحث الإنسان على الإستقامة على دينه وعلى بذل الجهد من أجل استعمار الأرض .

( هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأرْضِ واسْتَعْمَرَكُمْ فِيها )[8].

---

١) سورة فاطر . ٣٩.
٢) سورة الأعراف. ٦٩.
٣) سورة الأعراف. ١٢٩.
٤) سورة يونس.١٤ .
٥) سورة يونس. ٧٣.
٦) سورة النمل. ٦٢.
٧) سورة النور . ٥٥.
٨) سورة هود . ٦١.

" فمسألة الإستخلاف مرتبطة بالعمل والإبداع ومجانبة الفساد وتلقى القيم والتعاليم والشرائع من الله والإلتزام بمنهج الله، وافتقاد أي من العنصرين سيؤول إلى الخراب والضياع في الدنيا والآخرة ، وسيبدل الله تلك الأمة بغيرها ممن تقدر على العمل والجهد والإبداع والتلقى الدائم عن الله لضبط وتوجيه هذا العمل "(١) .

ولما كان الإنسان مأموراً باستعمار الأرض فإن الله عز وجل منحه من القدرات العقلية والمادية مايمكنه من استعمار الأرض واستخلاص دررها .

" لقد أراد الله للإنسان أن يكون خليفة في الأرض فمنحه القدرة العقلية على التعلم والمقدرة الجسدية على التنفيذ والعمل والإبداع ، والإرادة الحرة لاختيار أسلوب الحياة التي يقوده إليها فكره ودوافعه النفسية والجسدية .. ولكي لايحس الإنسان بالدونية ولاتدور في خاطره أية فكرة من سلبية دوره في العالم رفعت مكانته إلى أعلى مصاف وطلب من الملائكة أن يسجدوا له ... وتلك هي أسس تقود ولاريب إلى تصور دور الإنسان في العالم كقوة فاعلة مفكرة مريدة منفذة مستقلة ، الأمور التي لابد منها لأي إبداع حضاري على الأرض "(٢) .

إن الله عز وجل سخر للإنسان الكون وأقدره على استخراج أسراره، وجعله في قبضة يده ومتناول عقله .

فالإنسان سيد هذه الأرض ومن أجله خُلق كل شيء فيها ولايجوز أن يستعبد أو يستذل لقاء توفير شيء مادي. فالماديات كلها مخلوقة - أو مصنوعة - من أجله، ثم إن دور الإنسان في الأرض هو الدور الأول فهو الذي يغير ويبدل وهو الذي يقود إتجاهاتها ورحلاتها وليست وسائل الإنتاج ولاتوزيع الإنتاج هي التي تقود الإنسان وراءها ذليلا كما تصوره المذاهب المادية (٣) .

---

١) التفسير الإسلامي للتاريخ، عماد الدين خليل، ص ١٩٤.
٢) المصدر السابق، ص ١٩٢.
٣) انظر : الظلال، جـ١ ، ص ٦٠.

وعمارة الإنسان للأرض واستغلاله لدررها وخيراتها لايتنافى مع وظيفة الإنسان الكبرى وهى العبودية.

( وماخَلَقْتُ الْجِنَّ والإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ )[١].

" وإنما الذى تبينه آيات القرآن مجتمعة أن عمارة الأرض جزء من عبادة الله، وابتغاء الرزق جزء من عبادة الله، واستخدام الزينة الطيبة جزء من عبادة الله، وتذوق الجمال والبحث عنه فى ملكوت الله جزء من عبادة الله وتعلم الصنائع المختلفة جزء من عبادة الله "[٢].

## المطلب الثانى

## تجاوب الكون مع الإنسان

يقول سير جيمس جينز فى كتابه الكون الغامض.

" ونحن إذ نقف على أرضنا تلك الحبيبة الرملية المتناهية فى الصغر - نحاول أن نكشف عن طبيعة الكون الذى يحيط بموطننا فى الفضاء والزمن وعن الغرض من وجوده نحس فى أول الأمر بما يشبه الذعر والهلع، وكيف لايكون الكون مخيفا مرعبا، وهذه أبعاده هائلة لاتستطيع عقولنا إدراك مداها، وقد مرت عليه أحقاب طويلة لايمكن تصورها، ويتضاءل إلى جانبها تاريخ الإنسان حتى يبدو وكأنه لمح البصر. وهو مخيف مرعب لما نشعر به من وحدة مرهوبة وما نعلمه من ضآلة موطننا فى الفضاء."[٣]

ونحن ننظر إلى هذا الكون الهائل فلا نشعر بالذعر والهلع الذى يحدث عنه سير جيمس جينز، إنما نشعر بالرهبة والإجلال لبارىء هذا الكون، ونشعر بالطمأنينة

---

١) سورة الذاريات . ٥٦.

٢) دراسات قرآنية، محمد قطب، ص١١٩، دار الشروق، بدون تاريخ.

٣) الكون الغامض ألفه سير جيمس جينز، ص٣، ترجمة عبدالحميد حمدى مرسى، راجعه د/ على مصطفى مشرفه بك، الطبعة الأميرية ببولاق، ١٩٤٢م.

والأنس لهذا الكون، إننا نجد فيه أرزاقنا وأقواتنا ومعايشنا ومتاعنا ونرجو أن نكون من الشاكرين [١]، قال تعالى : ( وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَاتَشْكُرُون ) [٢].

## مظاهر العناية بالإنسان فى الكون:

" إن الرغيف الذى يطعمه إنسان تشترك فى إنباته وإنضاجه فجاج الأرض وآفاق السماء .

فتربة الأرض ، والسحب الهامية ، والأشعة العمودية أو المائلة التى تتعرض لها الحقول ، وأثر الضوء فى تكوين الخضرة مثلا وأشياء أخرى كثيرة تتعاون جميعا على تكوين الغذاء والكساء والدواء الذى يحتاج إليه البشر " [٣].

إن هذا الكون الفخم الهائل بكل ما فيه من أجرامه السماوية ومخلوقاته الأرضية ، الجميع مسخر تسخيرا خاصا لخدمة نوع واحد من بين سائر المخلوقات التى حواها الكون، وهذا النوع المسخر له الكون كله هو الإنسان وحده [٤].

قال الراغب الأصفهانى : " إن كل شىء مخلوق فى هذا العالم إنما هو من أجل الإنسان" [٥] قال تعالى : ( وَسَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّمَوَات ومافِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفكَّرُون ) [٦].

وسوف يستعرض الباحث بعض مظاهر العناية بالإنسان فى الكون .

---

١) انظر : الظلال ، جـ٣ ، ص ١٢٧٢.

٢) سورة الأعراف، ١٠.

٣) علل وأدوية ، محمد الغزالى ، ص٤٧ دار التوفيق النموذجية بالقاهرة ، ط٢ ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٤) انظر : عقيدة المؤمن ، أبوبكر الجزائرى ، ص ٤٣ ، دار الكتب السلفية ، القاهرة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٥) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهانى ، ص ١٦ ، دار الكتب العلمية ، بيروت، بدون تاريخ .

٦) سورة الجاثية، ١٣.

أولا: في السماء:

إن في السماء الدنيا كواكب كثيرة ونجوما عديدة وفيها الشمس والقمر، فبالنجوم المشرقة والكواكب المنيرة ازدانت السماء الدنيا التي هي سقف لهذه الدار التي يسكنها الإنسان ويعمرها.

( وَزَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنيا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظا )(١).

( أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْناها وَزَيَّنَّاها )(٢).

( ولَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنيا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاها رُجُومًا لِلشَّياطِينَ )(٣).

وبالقمر المنير ذي المنازل والتقدير إستنار غالب ليل الإنسان، وبه يعرف عدد السنين والحساب.

( وبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُون )(٤).

( والْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنَازِلَ حتَّى عَادَ كالعُرْجُونِ الْقَدِيم )(٥).

( يَسْئَلُونَكَ عنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَواقِيتُ لِلنَّاسِ والْحَج )(٦).

"وبالشمس المضيئة أشرق النهار على الإنسان وبها عرف ليله وميز نهاره، ومنها استمدت أرضه دفئها وحرارتها وطاقتها المودعة فيها ولولا الشمس لتجمدت الأرض، ولما كانت صالحة للحياة"(٧).

( تَبارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّماءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيها سِرَاجا )(٨).

( وآيَةٌ لَهُمُ الليْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ فإذا هُمْ مُظْلِمُون، والشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيم )(٩).

---

١) سورة فصلت. ١٢.
٢) سورة ق. ٦.
٣) سورة الملك. ٥.
٤) سورة النحل. ١٦.
٥) سورة يس. ٣٩.
٦) سورة البقرة. ١٨٩.
٧) عقيدة المؤمن، ص٤٤.
٨) سورة الفرقان. ٦١.
٩) سورة يس. ٣٧، ٣٨.

وفى السماء تتجمع السحب وتتراكم ومنها تنزل الأمطار مياها عذبة بها حياة الإنسان وسعادته .

( وأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ماءً فأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُم )(١) .

( أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّة )(٢) .

( وأَنْزَلْنا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فأَسْكَنَّاهُ فِى الأَرْض )(٣) .

( وأَنْزَلَ لكم من السماء ماءً فأَنْبَتْنا بِهِ حدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَة )(٤) .

( ولَئِنْ سأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ ماءً فأَحْيا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها ليَقُولُنَّ اللّه)(٥)

( وفِى السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وماتُوْعَدُون )(٦) .

ثانيا : فى الأرض:

قال تعالى : ( هُوَ الّذى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولا فامْشُوا فِى مَنَاكِبِها وكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وإليْهِ النُّشُور)(٧) .

والذلول من كل شيء : المنقاد الذى يذل لك ومنه ، دابة ذلول ، .

قال تعالى : ( وذَلَّلْنَاها لَهُمْ فَمِنْها رَكُوبُهمْ ومِنْها يأْكُلُون )(٨) .

وقد ذكر الرازى فى وصف الأرض بالذلول أربعة أقوال وهى :

" الأول : أنه تعالى ماجعلها صخرية خشنة بحيث يمتنع المشى عليها كما يمتنع المشى على وجوه الصخرة الخشنة .

الثانى: أنه تعالى جعلها لينة بحيث يمكن حفرها ، وبناء الأبنية منها كما يراد،

---

١) سورة البقرة. ٢٢.
٢) سورة الحج. ٦٣.
٣) سورة المؤمنون. ١٨.
٤) سورة النمل. ٦٠.
٥) سورة العنكبوت. ٦٣.
٦) سورة الذاريات. ٢٢.
٧) سورة الملك. ١٥.
٨) سورة يس. ٧٢.

ولو كانت حجرية صلبة لتعذر ذلك .

الثالث : أنها لو كانت مثل الذهب أو الحديد لكانت تسخن جدا فى الصيف ،وكانت تبرد جدا فى الشتاء ، ولكانت الزراعة فيها ممتنعة والغراسة فيها متعذرة ولما كانت كفاتا للأموات والأحياء .

الرابع : إنه تعالى سخرها لنا بأن أمسكها فى جو الهواء ، ولو كانت متحركة على الإستقامة أو على الإستدارة لم تكن منقادة لنا "[(١)].

والباحث يوافق الرازى فى الأمور الثلاثة الأولى ويخالفه فى الأمر الرابع والذى يقول فيه بأن الأرض ساكنة ولو كانت متحركة لم تكن منقادة لنا .

فهذه الأرض التى تبدو لنا ساكنة مستقرة هى دابة متحركة بل راكضة ومع هذا الركض كله يبقى الإنسان على ظهرها آمنا مستريحا مطمئنا معافا لاتتمزق أوصاله ولاتتناثر أشلاؤه ولايدوخ ولايرتج مخه ..

إنها تدور حول نفسها بسرعة ألف ميل فى الساعة وينشأ عن هذه الحركة الليل والنهار ، ولو كان الليل سرمدا لجمدت الحياة كلها من البرد ، ولو كان النهار سرمدا لاحترقت الحياة كلها من الحر. ثم تدور مع هذا حول الشمس بسرعة حوالى خمسة وستين ألف ميل فى الساعة وينشأ عن هذه الحركة الفصول، ولودام فصل واحد على الأرض ما قامت الحياة فى شكلها هذا كما أرادها الله [(٢)].

إن البحوث العلمية الحديثة تزيد وتوسع فى مدلول " تذليل الأرض" فالقرآن يفسر على مدى الزمن .

فالله تعالى جعل الأرض ذلولا للبشر بأن جعل لها جاذبية تشدهم إليها فى أثناء حركاتها ، كما جعل لها ضغطا جويا يسمح بسهولة الحركة فوقها ، ولو كان

---

١) تفسير الرازى ، جـ٣ ، ص ٦٧ ، ٦٨.
٢) انظر : الظلال ، جـ٦ ، ص ٣٦٣٧.

الضغط الجوى أثقل من هذا لتعذر على الإنسان أن يسير - فإما أن يسحقه أو يعوقه - ولو كان أخف لاضطربت خطى الانسان ، أو لانفجرت تجاويفه لزيادة ضغطه الذاتي على ضغط الهواء حوله .

والله جعل الأرض ذلولا ببسط سطحها وتكوين هذه التربة اللينة فوق السطح . والله جعل الأرض ذلولا بأن جعل الهواء المحيط بها محتويا للعناصر التى تحتاج الحياة إليها بالنسب الدقيقة التى لو اختلت ما قامت الحياة (١) .

قال الله تعالى : ( وآيَةٌ لَهُمُ الأرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ وجَعَلْنا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وأَعْنَابٍ وفَجَّرْنا فِيها مِنَ العُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ ومَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُون ) (٢) .

وسوف نذكر ظاهرة كونية واحدة من ظواهر العناية بالإنسان لنزيد بها قانون العناية تأكيدا .

فالنباتات كلها فيها الذكر وفيها الأنثى ويجرى اللقاح بينها حسب سنة ثابتة وذلك ليتوافر للإنسان غذاؤه من الحبوب والفواكه والخضر .

وظاهرة اللقاح فى الحيوان أبين وأوضح فالتيس مثلا يطلب أنثاه مندفعا إليها حتى إذا تم لقاحها وفرغ منها إعتزلها إعتزالا كليا إلى أن تضع حملها وترضعه ويكاد يستغنى عنها يعاودها التيس مرة أخرى بدافع الغريزة وهكذا .

ولنتسائل لم يتم هذا؟ ولصالح من؟ إنه يتم من أجل الإنسان ولصالح الإنسان فقط . إذ بهذا يتوفر له قسط آخر مهم من غذائه الذى هو اللبن والجبن واللحم ، كما يتوفر له كساؤه وفراشه وغطاؤه (٣) .

---

١) انظر : الظلال ، جـ٦ ، ص ٣٦٣٨ .
٢) سورة يس . ٣٣ـ٣٥ .
٣) انظر : عقيدة المؤمن ، ص ٤٤ ، ٤٥ .

## المطلب الثالث

## نعم الله على الإنسان

إن نعم الله تعالى على الإنسان كثيرة لايمكن إحصاؤها •

قال تعالى : ( أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّمٰوٰتِ ومافي الأرْضِ وأسْبَغَ عَلَيْكُم نِعَمَهُ ظَاهِرةً وباطِنَةً )(١) •

( اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ البَحْرَ لِتَجْرِيَ الفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ ولِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ولَعَلَّكُم تَشْكُرُون )(٢) •

( وأَنْزَلْنا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ومَنَافِعُ لِلنَّاس )(٣) •

ولقد أخطأت النظم المادية حينما حصرت المشكلة الإقتصادية التي يعاني منها العالم بأسره - في ندرة الموارد الإقتصادية وتعدد الحاجات مع مرور الأيام •

إن القرآن الكريم يقرر أن الأصل في الموارد الإقتصادية الوفرة لا الندرة فنعم الله لاتحصى • ولكن المشكلة الإقتصادية تكمن في أمرين الأول : ظلم الإنسان ، والثاني: كفرانه • ويتجسد ظلم الإنسان على الصعيد الإقتصادي في سوء التوزيع • ويتجسد كفرانه للنعمة في إهماله لاستثمار الطبيعة ، وموقفه السلبي منها (٤) •

قال تعالى : ( وآتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سأَلْتُمُوهُ، وإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لاتُحْصُوها ، إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّار )(٥) •

فالعالم طافح بالخيرات مشحون بالقوى بين يدي الإنسان وتحت قدميه غير أن سنة الله في الكون قضت أن على الإنسان السعي • فإن الأرض لاتنشق عن خيرها ،

---

١) سورة لقمان• ٢٠•

٢) سورة الجاثية• ١٢•

٣) سورة الحديد • ٢٥•

٤) انظر : إقتصادنا ، محمد باقر الصدر ، ص ٣٤٦ - ٣٤٨ ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ط الأولى ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م•

٥) سورة إبراهيم• ٣٤•

ولايهبط النعيم من السماء دون سعي الإنسان • فلا حصاد دون غرس ، ولاوفرة في الإنتاج دون كثرة في الجهود •

قال تعالى : ( هُوَ الَّذى خَلَقَ لكُمْ مافِى الأَرْضِ جَمِيعًا )[(١)].

" وهذه الآية ترشد إلى أن مواطن هذا النفع ليست خاصة بظواهر هذا الكون وإنما هى مبثوثة فى ظاهره الذى نحصل عليه بمجرد النظر ، وفى باطنه الذى نحتاج إلى قوة فى اقتحامه وخوض غماره ، وفى هذا إيحاء بالبحث عما استقر فى باطن الأرض وطبقات الجبال وقاع البحار ، وما يحمل الماء والهواء من قوى الإنتاج ومواد الصناعة والتعمير "[(٢)].

" إن القرآن يلح أشد الإلحاح على النظر العقلى والتفكر والتدبر ، فلا تقرأ منه قليلا إلا وتراه يعرض عليك الأكوان ويأمرك بالنظر فيها واستخراج أسرارها "[(٣)].

قال تعالى : ( قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِى السَّمٰوٰاتِ والأَرْضِ )[(٤)].

( قُلْ سِيرُوا فِى الأَرْضِ فانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْق )[(٥)].

( أَفَلَمْ يسِيرُوا فِى الأَرْضِ فتَكونَ لَهُمْ قُلوبٌ يَعْقِلُونَ بِها )[(٦)].

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة •••

## أصول الثروات:

ثم إن القرآن وجه نظر الإنسان إلى أصول جملة من الثروات التى تتكون منها الإقتصاديات الضرورية فى حياة الأمم ونهضتها[(٧)].

---

١) سورة البقرة• ٢٩•

٢) من توجيهات الإسلام للإمام الأكبر محمود شلتوت ، ص ١٣٦ ، دار القلم العربى ، بدون تاريخ

٣) انظر : تفسير المنار للسيد محمد رشد رضا ، جـ١ ، ص ٢٠٨ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م•

٤) سورة يونس• ١٠١•

٥) سورة العنكبوت• ٢٠•

٦) سورة الحج• ٤٦ •

٧) انظر : من توجيهات الإسلام ، ص ١٣٧ ، ١٣٨•

ففى الثروة الحيوانية:

( والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون )[١].

وفى الثروة النباتية:

( وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله ، والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه )[٢].

وفى الثروة المائية :

( وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها )[٣].

وفى الثروة الجبلية :

( ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود )[٤].

---

١) سورة النحل. ٥.
٢) سورة الأنعام. ١٤١.
٣) سورة النحل. ١٤.
٤) سورة فاطر . ٢٧.

## المبحـــــث الثـالـــث

## إرســـال الرســل وإنزال الكتب

ويشتمل هذا المبحث على تمهيد يتحدث فيه الباحث عن" حاجة الإنسان إلى الدين" كما يشتمل على ثلاثة مطالب ، الأول : إرسال الرسل ، والثاني : إنزال الكتب والثالث : سماحة الشريعة الإسلامية .

**تمهيـــد :** حاجة الإنسان إلى الدين :

" إن الإنسان منذ أن وجد على هذه الأرض - بهبوط أبيه آدم وأمه حواء من الجنة - وهو في حاجة ماسة وملحة إلى قوانين ضابطة تعدل من غرائزه وتنظم سلوكه وتحدد إتجاهاته وتهيئه للكمال "(١).

وهذه القوانين المطلوبة لتعديل غرائز الإنسان وتنظيم سلوكه وتجديد إتجاهاته لاتوجد إلا في تشريع رباني ، فالإنسان عاجز لايستطيع أن ينفرد وحده بوضع نظام شامل وذلك للأسباب الآتية :

١) " إن العقول محدودة القدرات ، ليس في استطاعتها أن تكتنه كل مقتضيات الغد وحوادث المستقبل "(٢).

" ثم إن العقل الإنساني يخضع لتأثيرات الجسم والبيئة والمناخ ، وهذا الخضوع يجعله متقلبا غير مستقر إذا ترك وحده بدون ضابط خارج عن الإنسان "(٣).

فالعقل لايمكن أن يستقل بهداية الإنسان إلى مايصلحه ويسعده والواقع يؤيد هذه الدعوى حيث إننا رأينا كثيرا من الأمم والشعوب لما فقدت هداية الوحي الإلهي

---

١) عقيدة المؤمن ، ص ٢٢.

٢) من توجهات الإسلام ، ص١٥.

٣) المجتمع المتكامل في الإسلام ، د /عبدالعزيز الخياط ، ص ٤٤ ، مكتبة الأقصى ، مؤسسة الرسالة ، طبع ١٩٧٢م ، ١٣٩٢هـ.

لم تغن عنها هداية العقول شيئا فضلت وهلكت .

قال تعالى : ( وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ )(١) .

٢) التأثر بالهوى من طبيعة الإنسان ، فالإنسان لايتمكن من أن يجعل تفكيره فوق الهوى ، وهذا يؤدى إلى نقصان ما يصنع من أنظمة ، كما يؤدى إلى الفساد .

" فالتشريع البشرى الذى يضعه فرد حاكم أو أسرة حاكمة أو طبقة حاكمة أو أمة حاكمة أو جنس حاكم ... يستحيل - بحسب فطرة الإنسان - أن يتجرد من الهوى ومن مراعاة مصلحة واضع التشريع "(٢) .

قال تعالى : ( وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ )(٣) .

٣) إن الحاجات العضوية والدوافع الغريزية تسيطر على الإنسان وتجعله متأثرا بها مضطربا فى تفكيره ، وهذا التأثير لايمكّن الإنسان من أن يضع نظاما شاملا لتنظيم الإنسانية ، وما ينطبق على الأفراد ينطبق على المجموعات فهى تتأثر كذلك بغرائزها (٤) .

٤) " الإنسان يسيطر عليه عامل الخوف من أخيه والخوف مما حوله ، وهذا العامل يجعل الإنسان مضطربا لايستقيم تفكيره ، متأثرا بما يخاف منه "(٥) .

قال تعالى : ( إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا )(٦) .

---

١) سورة الأحقاف . ٢٦ .
٢) هذا الدين ، سيد قطب ، ص١٩ .
٣) سورة المؤمنون . ٧١ .
٤) انظر : من توجهات الإسلام ، ص ١٤ .
٥) المجتمع المتكامل فى الإسلام ، ص ٤٣ .
٦) سورة المعارج . ١٩ - ٢١ .

٥) " والإنسان فى عقله محدود التفكير بما يحيط به فلا يستطيع أن يدرك كنـه الخالق المتصرف فى الكون ، ووضع نظام للعلاقة بين طرفين يقتضى أن يدرك واضع النظام كلا من الطرفين وهذا ما لايتمكن منه الإنسان ، فلا بد من أن يضع النظام رب العالمين ينظم به علاقة الإنسان مع الله "(١) .

فالإنسان بحاجة إلى الهدى الإلهى ولايكون ذلك إلا بالوحى والرسل قال الراغب الأصفهانى " بعثة الأنبياء إلى الناس من الضروريات التى لابد لهم منها ..."(٢) .

## المطلب الأول

## إرسال الرسل

والرسل ناس اصطفاهم الله لرسالته وتوجيه الناس إلى الخير والحق والعدل .

" فالرسالة إذن تأتى الرسل الكرام من باب الإصطفاء والوهب وليست من باب المجاهدات والكسب "(٣) . وقد نطق القرآن الكريم بذلك فى آيات كثيرة منها : ﴿ قال يامُوسىٰ إِنِّى اصْطَفَيْتُكَ على النَّاسِ بِرِسَالَاتِى وَبِكَلَامِى فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾(٤) وقوله : ( وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِى )(٥) .

ومن تمام إحسان الله تعالى إلى الإنسان أنه كلما تعثرت البشرية أثناء سيرها فى طريق العبودية لله رب العالمين أرسل الله لها رسولا لكى يقيل تلك العثرة

---

١) المجتمع المتكافل فى الإسلام ، ص ٤٣ .

٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة ، ص ١٢١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ .

٣) رسول الله فى القرآن الكريم ، حسن كامل الملطاوى ، ص ٢٦٤ ، دار المعارف ، ط٢ ، بدون تاريخ .

٤) سورة الأعراف . ١٤٤ .

٥) سورة طه . ٣٩ .

ويصحح مسار البشرية . فلم تخل أمة من رسول، ( وإنْ مِنْ أُمَّةٍ إلَّا خَلا فِيها نَذِير )[1]. ( ولِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُول )[2] ، ( ولِكُلِ قَوْمٍ هَاد )[3].

وبالرغم من كثرة عثرات الإنسانية وضلالاتها ، فإن مدد الله وغيثه قد تواصل حتى لايكون للناس حجة على الله بعد الرسل .

قال تعالى : ( ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرا كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَاكَذَّبُوهُ فأَتْبَعْنا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وجَعَلْنَاهُم أَحادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لايُؤْمِنُون )[4].

" فالنبوة حلقات متواصلة لتصحيح مسار البشرية كلما بعدت عن طريق العبودية لله ، وهى المهمة التى خلقت من أجلها بل وهو مبرر وجودها على ظهر الأرض "[5].

وقد بسط القرآن القول فى تكريم الله للإنسان بالرسل رحمة به وفضلا من الله .

( وَمَا كُنَّا مُعَذِّبين حتَّى نَبْعَثَ رَسُولَا )[6].

( رُسُلاً مُبَشِّرِيْنَ ومُنْذِرِيْنَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَىْ اللَّهِ حُجَّةٌ بَعدَ الرُّسُل )[7].

( وَمَا نُرْسِلُ المُرْسَلِينَ إلَّا مُبَشِّرين ومُنْذِرِيْن )[8].

( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رسُولٍ إلَّا بلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُم )[9].

( وَمَا آتاكُمْ الرسولُ فَخُذُوهُ ومَا نَهَاكُم عَنْهُ فانْتَهُوا )[10].

---

١) سورة فاطر . ٢٤.
٢) سورة يونس. ٤٧.
٣) سورة الرعد . ٧.
٤) سورة المؤمنون. ٤٤.
٥) السيرة النبوية ، دراسة تحليلية فى ضوء القرآن والسنة ، د /مروان شاهين ، د /مصطفى أبو عمارة ، ص٤٠ ، دار الطباعة المحمدية ، ط الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٦) سورة الإسراء. ١٥.
٧) سورة النساء . ١٦٥.
٨) سورة الأنعام. ٤٨.
٩) سورة إبراهيم. ٤.
١٠) سورة الحشر . ٧.

والآيات التى تتحدث عن إرسال الرسل تعني-والله أعلم - أن من إحسان الله وعدله وفضله أن يرسل للناس رسلا يبينون لهم الخير من الشر . وهم يتحدثون بلسان أقوامهم ليفهموا بيانهم كى تتحقق الغاية من البشارة للصالحين والإنذار لغيرهم .

ولما كان نبينا صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين فإن الله تعالى تكفل بحفظ دينه إلى يوم الدين حيث قال : ( إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون )[(١)] .

## المطلب الثانى
## إنزال الكتب

أنزل الله عز وجل على أنبيائه كتبا حوت الحق والهدى والنور، جاءت هذه الكتب بالشرائع، وكانت هذه الشرائع من السهولة واليسر بحيث يستطيع كل إنسان أن يمتثلها . ولقد وفرت هذه الكتب على الإنسان إهدار الطاقة فيما لايقع تحت قدرته ، كما بينت له الطريق إلى سعادة الدارين .

ومن هذه الكتب التى أنزلها الله ما أسماه لنا فى القرآن الكريم ومنها مالم يسمّ . والذى أخبرنا به عز وجل منها أربعة وهى :

١) التوراة التى نزلت على موسى عليه السلام .

قال تعالى : ( إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّون وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاء)[(٢)]

١) سورة الحجر . ٩.
٢) سورة المائدة. ٤٤.

٢) الإنجيل الذى أنزل على عيسى عليه السلام .

قال تعالى : ( وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابن مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وآتيْناهُ الإنْجيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقين )[١].

٣) الزبور الذى نزل على داود عليه السلام .

قال تعالى ( وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا )[٢].

٤) الصحف التى أنزلها الله على إبراهيم وموسى .

قال تعالى : ( أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسىٰ. وإِبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى. أَلَّا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى. وأَنَّ لَيْسَ لِلإنْسَانِ إِلَّا مَا سَعىٰ. وأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى. ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى. وأَنَّ إِلىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهى )[٣].

وقال : ( قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى. وذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلىٰ. بَلْ تُؤْثِرونَ الْحَياةَ الدُّنْيا. والآخِرةُ خَيْرٌ وأَبْقى. إِنَّ هذا لَفِي الصُّحُفِ الْأولىٰ. صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ ومُوسىٰ )[٤].

وأما الكتب الأخرى التى نزلت على سائر الرسل فلم يخبرنا الله تعالى عن أسمائها وإنما أخبرنا سبحانه أن لكل نبى أرسله الله رسالة بلغها إلى قومه فقال ( كَانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدةً فَبَعثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ ومُنْذِرِينَ وأَنْزَلَ مَعَهُمُ الكِتابَ بِالحق لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيما اخْتَلَفُوا فِيه )[٥].

---

١) سورة المائدة. ٤٦.
٢) سورة الإسراء. ٥٥.
٣) سورة النجم. ٣٦ - ٤٢.
٤) سورة الأعلى. ١٤ - ١٩.
٥) سورة البقرة. ٢١٣.

منزلة القرآن الكريم بين كتب الله تعالى:

إن القرآن الكريم هو آخر كتاب نزل من عند الله عز وجل، وجريا على سنة الله تعالى فى إرسال الرسل نزل القرآن بلغة العرب.

( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ )(١).

فألفاظ القرآن عربية إلا ألفاظ قليلة إختلفت فيها أنظار العلماء، مثل (الطُّور)، الجبل بالسريانية، (طَفِقَا) أى قصدا بالرومية، (والقِسط والقِسطاس) العدل بالرومية، (هُدْنَا) أى تبنا بالعبرانية (٢).

ومذهب الشافعى وجمهور العلماء أن هذه الألفاظ عربية بحتة غاية الأمر أنها مما تواردت عليه اللغات (٣).

وذهب ابن عباس وعكرمة إلى أن هذه الألفاظ عربت وأخذت من لغات أخرى ولكن العرب هضمتها وأجرت عليها قوانينها فأصبحت عربية بالإستعمال (٤).

وعلى كلا القولين لايخرج القرآن عن كونه عربيا. ولقد خص الله عز وجل القرآن بمزايا تميز بها عن جميع ما تقدمه من الكتب المنزلة من أهمها:

١) أنه تضمن خلاصة التعاليم الإلهية، وجاء مؤيدا ومصدقا لما جاء فى الكتب السابقة من توحيد الله وعبادته ووجوب طاعته، وجمع كل ما كان متفرقا فى تلك الكتب من الحسنات والفضائل (٥).

---

١) سورة إبراهيم. ٤.

٢) انظر: البرهان فى علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى، جـ١، ص ٢٨٨، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط١٣٩١،٣هـ-١٩٧٢م

٣) انظر: المصدر السابق، جـ١، ص ٢٨٧.

٤) انظر: المصدر السابق، جـ١، ص ٢٨٨، ٢٨٩.

٥) الإيمان، أركانه، حقيقته، نواقضه، د/محمد نعيم ياسين، ص ٥٣، ط الأولى ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، انظر: العقائد الإسلامية، سيد سابق، ص ١٦٥.

قال تعالى : ( وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه )(١).

عن علي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ستكون فتن قلت وما المخرج منها قال : " كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل ، هو الذى من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله فهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذى لاتزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولايشبع منه العلماء ولايخلق عن كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه وهو الذى لم ينته الجن إذ سمعته أن قالوا : ( إنا سمعنا قرآنا عجبا ) هو الذى من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم "(٢).

٢)" أنه جاء بشريعة عامة للبشر فيها كل مايلزمهم لسعادتهم فى الدارين ، نسخ بها جميع الشرائع العملية الخاصة بالأقوام السابقة وأثبت فيها الأحكام النهائية الخالدة الصالحة لكل زمان ومكان "(٣).

٣) أن القرآن هو الكتاب الوحيد الذى تكفل الله تعالى بحفظه فقال : ( إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون )(٤) ، وقال : ( وإنه لكتاب عزيز . لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد )(٥).

والغاية من ذلك أن تبقى حجة الله على الناس قائمة حتى يرث الله الأرض

---

١) سورة المائدة ، ٤٨.
٢) سنن الدارمى للإمام أبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمى ، جـ٢ ، ص٤٣٥ ، كتاب فضائل القرآن ، باب فضل من قرأ القرآن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ.
٣) الإيمان ، د / محمد نعيم ياسين ، ص ٥٣ ، انظر : عقيدة المؤمن لأبى بكر الجزائرى ، ص١٩٣.
٤) سورة الحجر ، ٩.
٥) سورة فصلت ، ٤١ ، ٤٢.

ومن عليها .

ولايوجد اليوم على ظهر الأرض كتاب تصح نسبته إلى الخالق تعالى سوى القرآن والأدلة على ذلك :

أ ) إن الكتب التى نزلت قبل القرآن قد ضاعت نسخها الأصلية ومابقى بأيدى الناس إلا تراجمها ... أما القرآن فلا يزال محفوظا بعين الكلمات والأحرف التى نزل بها من عند الله تعالى [(١)] ، أى كما تلاه جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما تلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صحابته .

ب) إن هذه الكتب قد اختلط فيها كلام الله بكلام الناس ففى كتاب واحد يوجد كلام الناس والتاريخ القومى وسير الأكابر والأنبياء والتفسير ، أما القرآن فجميعه كلام الله ولم يختلط به غيره. وكل ما كتبه المسلمون فى التفسير أو الحديث أو الفقه أو سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم أو سيرة الصحابة أو تاريخ الإسلام لم يخلطوه بالقرآن وكله مدون محفوظ فى كتب غير القرآن [(٢)] .

ج) إن تلك الكتب ليس منها كتاب تصح نسبته إلى الرسول الذى ينسب إليه وأما القرآن العظيم فهو الكتاب الوحيد الذى ثبتت نسبته بصورة قطعية إلى رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، فقد وصل إلينا القرآن بطريق التواتر محفوظا فى الصدور والسطور ، أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى [(٣)] .

ذ) ومن الأدلة على وقوع التحريف فى تلك الكتب تعدد نسخها واختلافها فيما نقلته من الأقوال والآراء .

" ويكفى لصحة التدليل على التحريف فى الأناجيل المتداولة بأيدى النصارى الآن

---

١) انظر : مبادىء الإسلام للمودودى ، ص ٨٢ ، دار الأنصار بالقاهرة ، بدون تاريخ .
٢) انظر : المصدر السابق ، ص ٨٢.
٣) انظر : الإيمان ، ص ٥٦ ، مبادى الإسلام ، ص ٨٢ ، ٨٣.

أنها أربعة اختيرت من نحو سبعين إنجيلا "[١].

هـ) " ومن القرائن القاطعة على وقوع التحريف فى هذه الكتب ماتضمنته من العقائد الفاسدة والتصورات الباطلة عن الخالق سبحانه وعن رسله الكرام عليهم السلام "[٢]. وقد أثبت القرآن هذا التحريف .

( أَفَتَطْمَعُون أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وهُمْ يَعْلَمُون )[٣].

( وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِه )[٤].

## المطلب الثالث

## سماحة الشريعة الإسلامية

من إحسان الله تعالى أنه شرع لنا شريعة تحقق لنا سعادة الدارين وهى من السهولة واليسر بحيث يستطيع أن يمتثلها كل إنسان .

هذا اليسر والسهولة فى الأحكام واضح لكل من تتبع الشريعة فى أصولها وفروعها .

قال تعالى : ( وما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُو سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِنْ قَبْلُ وفِى هَذا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ على النَّاس فأَقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ واعتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلى ونِعْمَ النَّصِير )[٥].

( مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ولكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ولِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ولَعَلَّكُمْ تَشْكُرون )[٦].

---

١) العقائد الإسلامية ، ص ١٦٨.
٢) الإيمان ، ص ٥٧.
٣) سورة البقرة. ٧٥.
٤) سورة النساء. ٤٦.
٥) سورة الحج. ٧٨.
٦) سورة المائدة. ٦.

( يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ ولايُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ )(١).

(يُرِيدُ ٱللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وخُلِقَ الإنْسَانُ ضَعِيفًا )(٢).

وإذا تتبعنا دواوين السنة وجدنا أنها قد وافقت القرآن الكريم فى ذلك ، ولقد حوت السنة وقائع كثيرة من أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم تدل على سماحة الإسلام ويسره .

ومن الجدير بالذكر أن ننبه إلى أن هذا الدين عزائم ورخص والعزائم هى الأصل والرخص للملابسات الطارئة فلا يجوز أن نجمع الرخص كلها فى هذا الدين ونقدمها للناس على أنها هى هذا الدين، فالدين برخصه وعزائمه يسر يقدر عليه الفرد العادى ويبلغ فيه تمام كماله الذاتى فى حدود بشريته (٣).

وسوف يتعرض الباحث إلى بعض الصور التى تبين سماحة الإسلام ويسره .

صور من سماحة الإسلام

١) وضع الشريعة لمصالح العباد :

إن الناظر فى نصوص الشريعة الإسلامية يلحظ أنها وضعت لمصالح العباد وتحقيق الخير لهم ودفع الضرر والحرج عنهم فى دينهم ودنياهم .

ويمكن حصرمقاصد الشريعة الإسلامية فى أربعة أشياء وهى :(٤)

أ) " مقاصد ضرورية : وتنحصر فى المحافظة على أمور خمسة ضرورية وهى :

١) حفظ الدين ، (٢) حفظ النسل ، (٣) حفظ النفس ، (٤) حفظ العقل ، (٥) حفظ المال.

وقد جاءت الشريعة الإسلامية بقواعد تحافظ على هذه الأمور .

ب) الحاجيات : وبالإضافة إلى المقاصد الضرورية السابقة الذكر شرعت أمور يحتاجها الناس للتوسعة عليهم ودفع الحرج عنهم ، كالتخفيف فى العبادة فى حالة المرض

١) سورة البقرة. ١٨٥.
٢) سورة النساء. ٢٨.
٣) انظر : في ظلال القرآن ، ج٢ ، ص ١٩٨ ، ٦٩٩.
٤) في الثقافة الاسلامية ، د /احمد نوفل، محمد عبدالغني المصرى، محمود احمد عويضة، ص٧٨ دار عمان للنشر والتوزيع، عمان، ط١ ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

والسفر ودرء الحدود بالشبهات وإباحة الطلاق وتعدد الزوجات ...الخ .

ج) التحسينات : وهى المسماة بمكارم الأخلاق ، مثل الأخذ بالآداب العامة فى الأكل والشرب والطهارة والنظافة ، وعدم الغدر وقتل النساء والأطفال والشيوخ فى الحرب ... الخ.

د) المكملات : وهى أمور شرعت لتكميل المقاصد السابقة لضمان تحقيقها على أحسن وجه وأكمله ، وللوقاية من الإخلال بها ، فمثلا عندما شرعت الصلاة لحفظ الدين شرع مكملا لها ، إعلانها وإقامتها جماعة ، وكذلك عند تشريع الزواج للمحافظة على النفس[١] حرم الزنا وحرمت الخلوة بالأجنبية والتبرج .... .

٢) عدم التكليف بما هو فوق طاقة البشر أو شاق عليهم :

روى أحمد ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة قال : لما نزلت " وإِنْ تُبْدُوا مافِى أَنْفُسِكُمْ أَو تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّه "[٢] ، اشتد ذلك على الصحابة فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جثوا على الركب ، فقالوا : قد أنزل عليك هذه الآية ولانطيقها ، فقال : أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم ، سمعنا وعصينا ؟ بل قولوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ، فلما اقترأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله فى أثرها ( آمَنَ الرَّسُولُ )[٣] الآية فلما فعلوا ذلك نسخها الله ، فأنزل ( لايُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا )[٤] إلى آخرها . وروى مسلم وغيره عن ابن عباس نحوه "[٥] .

فالله سبحانه وتعالى لايكلفنا بغير المستطاع ، إنه يطلب من المكلفين أداء العبادات على الوجه الأكمل لكن إن تعذر ذلك أو أصبح شاقا على المكلف فهناك

---

١) للمحافظة على النفس : أظنه يريد : للمحافظة على النسل ، والله أعلم .
٢) ، ٣) ، ٤) ، سورة البقرةآية . ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦.
٥) لباب النقول فى أسباب النزول ، جلال الدين السيوطى ، ص ٥٠.

الرخص • وبهذه المناسبة سيشير الباحث إلى بعض جوانب اليسر في أركان الإسلام والتي تتمثل في الصلاة والزكاة والصيام والحج•

أولا: الصلاة : شرط الإسلام لصحة الصلاة الطهارة من الحدثين الأكبر والأصغر، ولكن إذا تعذر استعمال الماء لفقده أو لمرض المكلف فقد أباح الإسلام التيمم• قال تعالى : ( وإنْ كُنْتُمْ مرضَىٰ أو عَلَىٰ سَفَرٍ أو جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّبًا )[1]•

كما ثبت في السنة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا • فأيما رجل أدركته الصلاة فليصل•••"[2] •

ثم إن التيمم سهل ميسور •

عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال : " أجنبت فلم أصب الماء فتمعكت في الصعيد وصليت فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : " إنما يكفيك هكذا وضرب النبي صلى الله عليه وسلم بكفيه الأرض ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه "[3] •

والقيام في الصلاة المفروضة واجب بالكتاب والسنة والإجماع لمن قدر عليه[4] قال تعالى : ( حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاةِ الْوُسْطَى ، وقُومُوا للَّهِ قَانِتِين )[5] والمراد بالقيام هنا القيام للصلاة •

ولكن إذا شق القيام في الصلاة على الإنسان فليصل قاعدا أو على جنب أو مضطجعا •

---

١) سورة المائدة• ٦•

٢) صحيح البخاري ، كتاب التيمم ، باب قوله تعالى ( فلم تجدوا ماء فتيمموا )،جا ، ص ١٢٨، صحيح مسلم ، كتاب المساجد ، حديث ٣ ، جا ، ص ٣٧٠ - ٣٧١•

٣) صحيح البخاري ، كتاب التيمم ، باب التيمم ضربة ، جا ، ص ١٣٣ ، صحيح مسلم ، كتاب الحيض ، باب التيمم ، حديث ١١٢ ، جا ، ص ٢٨٠ - ٢٨١•

٤) فقه السنة ، السيد سابق ، جا ، ص ١٣٤ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، بدون تاريخ •

٥) سورة البقرة• ٢٣٨•

عن عمران بن حصين[١] قال : كانت بي بواسير فسألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة ؟ فقال : "صل قائما ، فإن لم تستطع فقاعدا ، فإن لم تستطع فعلى جنب"[٢] .

ونظرا للعذاب[٣] الذي يواجه المسافر في سفره والذي يتمثل في مشقة التعب ومقاساة الحر والبرد ، والسرى والخوف ، ومفارقة الأهل والأصحاب ، وخشونة العيش ... فقد أباح الإسلام للمسافر القصر في الصلاة الرباعية .

عن ابن عمر قال : " صحبت النبي صلى الله عليه وسلم وكان لايزيد في السفر على ركعتين وأبا بكر وعمر وعثمان كذلك "[٤] .

عن عمران بن حصين قال : " غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم وشهدت معه الفتح فأقام بمكة ثماني عشرة ليلة لايصلي إلا ركعتين يقول يا أهل البلدة صلوا أربعا فإنا سفر "[٥] أي على سفر .

كما أباح الإسلام للمسافر الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء إذ إن توقف المسافر عدة مرات لأداء الصلاة في وقتها قد يدخل عليه نوعا من المشقة .

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : " خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فكان يصلي الظهر والعصر جميعا ، والمغرب والعشاء جميعا "[٦] .

---

١) عمران بن حصين بن عبيد الخزاعي الكعبي : أسلم عام خيبر وغزا مع رسول الله غزوات كان من فضلاء الصحابة وكان مجاب الدعوة ، بعثه عمر بن الخطاب إلى البصرة ليفقه أهلها . قال ابن سيرين " لم نر في البصرة أحدا من أصحاب النبي يفضل عمران بن حصين " توفي بالبصرة سنة اثنتين وخمسين . انظر : أسد الغابة ، جـ٣ ، ص ٧٧٨ ـ ٧٧٩ .

٢) مسند الإمام أحمد ، جـ٤ ، ص٣٤٦ ، المستدرك على الصحيحين ، كتاب صلاة التطوع ، جـ١ ، ص ٣١٥ .

٣) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم نومه وطعامه وشرابه فإذا قضى أحدكم نهمته من وجهه فليعجل إلى أهله " رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب السفر قطعة من العذاب ، حديث ١٧٩ ، جـ٣ ، ص ١٥٢٦ .

٤) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب جواز الجمع بين الصلاتين في السفر ، جـ١ ، ص٤٨٢

٥) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب متى يتم المسافر ، جـ٢ ، ص ٢٣ .

٦) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب الجمع بين الصلاتين ، جـ٢ ، ص ١٠ .

ثم إن الإسلام أجاز للمسلم أن يصلى فى رحاله (١) ، بدون كراهة وذلك عند المطر الشديد أو الرياح الشديدة.

عن عبدالله بن عباس أنه قال لمؤذنه فى يوم مطير :" إذا قلت أشهد أن لا اله إلا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله فلا تقل حىّ على الصلاة ، قل صلوا فى بيوتكم ، قال : فكأن الناس استنكروا ذاك ، فقال : أتعجبون من ذا؟ قد فعل ذا من هو خير منى ، إن الجمعة عزمة (٢) وإنى كرهت أن أحرجكم فتمشوا فى الطين والدحض " (٣).

كما أباح الإسلام للإنسان أن يصلى النافلة راكبا حيث توجهت به الدابة أو السيارة أو الطائرة أو الباخرة .... الخ .

عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى على راحلته حيث توجهت به " (٤).

ثانيا : الزكاة: وهى أحد أركان الإسلام ولقد تواضع العلماء على تعريفها " بأنها حق واجب ، فى مال خاص ، لطائفة مخصوصة ، فى وقت مخصوص " (٥).

ومن رحمة الله أن الزكاة لاتقع على كل شئ يدخل تحت مسمى المال فالزكاة مقصورة على أربعة أصناف كثيرة النماء شديدة الدوران بين الناس وهى:" الزرع والثمار ، وبهيمة الأنعام- الإبل والبقر والغنم- والذهب والفضة ، وأموال التجارة (٦)

---

١) الرحال الدور والمنازل والمساكن وهى جمع رحل ، يقال إنتهينا إلى رحالنا أى منازلنا .

٢) عزمة : أى واجبة متحتمة ، فلو قال المؤذن حى على الصلاة - لكلفتم المجئ إليها ولحقتكم المشقة .

٣) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافر ، باب الصلاة فى الرحال فى المطر ، جـ١ ، ص ٤٨٥ .

٤) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب جواز صلاة النافلة على الدابة ، جـ١ ، ص٤٨٦ .

٥) صور من سماحة الإسلام تأليف د /عبدالعزيز بن عبد الرحمن بن على الربيعة ، ص٥٣ ، مكتبة المعارف ، الرياض ط٢ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٦) انظر : مختصر زاد المعاد لابن قيم الجوزية ، ص ٧١ .

وليس مجرد امتلاك شيء من الأصناف السابقة موجبا للزكاة فيه بل يشترط أن يبلغ النصاب ، والنصاب الذى تجب فيه الزكاة ليس قليلا ، فنصاب الورق مائتى درهم ، والذهب عشرين مثقالا ، وللحبوب والثمار خمسة أوسق وهى خمسة أحمال من أحمال إبل العرب وللغنم أربعين شاة ، وللبقر ثلاثين وللإبل خمسا (١)

ومن سماحة الإسلام أنه لايوجب الزكاة فى المال إذا بلغ النصاب إلا بشرطين :

" أحدهما : أن يكون فاضلا عن الحاجات الضرورية التى لاغنى للمرء عنها كالمطعم والملبس والمسكن والمركب وآلات الحرفة .

والآخر : أن يحول عليه الحول الهجرى ، ويعتبر ابتداؤه من يوم ملك النصاب ولابد من كماله فى الحول كله " (٢) .

ولايفوتنا أن نذكر أن القدر الواجب فى الزكاة شيئا قليلا لايؤثر فى المال المزكى .

ثالثا : صوم رمضان : وهو فى أصل مشروعيته رحمة وتيسير وفضل وإحسان " فهو فترة استجمام للجهاز الهضمى مما عاناه العبد طوال أيام السنة من تتابع الطعام عليه فى كل وقت . وهو يروض النفس على الصبر عن الإسترسال وراء الشهوات والملذات وهو أكبر عون على طاعة الله وتقواه (٣) .

ومن سماحة الإسلام ويسره أنه " رخص بالإفطار للشيخ الكبير ، والمرأة العجوز والمريض الذى لايرجى برؤه وأصحاب الأعمال الشاقة (٤) ، إذا كان الصيام

---

١) انظر : مختصر زاد المعاد ، لابن قيم الجوزية ، ص ٧٢ .
٢) فقه السنة ، السيد سابق ، جـ١ ، ص ٣٣٤ .
٣) انظر : صور من سماحة الإسلام ، ص ٦٢ .
٤) الأعمال الشاقة : مثل الذين يستخرجون الفحم الحجرى من مناجمه .

يجهدهم ويشق عليهم مشقة شديدة فى جميع فصول السنة - ولم يوجب الإسلام على هؤلاء القضاء ، إنما أوجب عليهم الفدية ( وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ )[١]. ومقدارها صاع أو نصف صاع أو مد[٢] - عن كل يوم - [٣].

كما رخص الإسلام للمريض الذى يرجى برؤه والمسافر بالإفطار وأوجب عليهم القضاء.

قال تعالى : ( وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ )[٤].

عن جابر بن عبد الله أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال " ليس من البر أن تصوموا فى السفر "[٥].

وللمسافر أن يأخذ بالرخصة فى الإفطار أو يدعها ، لكن الأخذ بالرخصة هو الأحسن

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر ، فصام بعض وأفطر بعض ، فتحزم[٦] المفطرون وعملوا . وضعف الصوام عن بعض العمل قال : فقال فى ذلك : " ذهب المفطرون اليوم بالأجر "[٧].

ولايشترط التتابع فى قضاء الصوم فالتفريق جائز .

عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " قضاء رمضان إن شاء فرق

---

١) البقرة. ١٨٤.
٢) " ومقدارها صاع أو نصف صاع أو مد " خلاف فى ذلك لأنه لم يأت من السنة ما يدل على التقدير، والصاع : قدح وثلث ، والمد : ربع قدح .
٣) انظر : فقه السنة ، جـ١ ، ص ٤٣٩.
٤) البقرة. ١٨٤.
٥) صحيح مسلم ، كتاب الصوم ، باب جواز الصوم والفطر فى شهر رمضان للمسافر فى غير معصية ، جـ٢ ، ص ٧٨٦.
٦) فتحزم : إستعارة للإجتهاد فى الخدمة .
٧) صحيح مسلم ، كتاب الصوم ، باب أجر المفطر فى السفر إذا تولى العمل ، جـ٢ ، ص ٧٨٨.

وإن شاء تابع "(١) . ثم إن مدة القضاء طويلة تصل إلى شعبان .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : " كان يكون عليّ الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضي إلا فى شعبان وذلك لمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم "(٢).

ومن سماحة الإسلام أنه أحل للمسلمين الأكل والشرب والإتصال بأزواجهم ليلة الصيام ( أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيامِ الرَّفَثُ إلى نِسَائِكُم )(٣).

رابعا: الحج : ويبدو اليسر فى هذه العبادة فى كونها لم تفرض على المسلم إلا مرة واحدة فى العمر فمن أراد أن يزيد على ذلك فهو من قبيل الندب .

عن أبى هريرة قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا " فقال رجل : أكل عام يارسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لوقلت نعم لوجبت ولما استطعتم" ثم قال : " ذرونى ماتركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه "(٤).

وفى رواية أخرى عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كتب عليكم الحج " فقيل يارسول الله فى كل عام؟ قال : " لا ولو قلتها

---

١) سنن الدارقطنى لشيخ الإسلام على بن عمر الدارقطنى ، كتاب الصيام ، باب القبلة للصائم ، حديث ٦٢ ، جـ٢ ، ص ١٩٢ ، دار عالم الكتب ط٤ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢) سنن أبى داود - كتاب الصوم ، باب تأخير قضاء رمضان ، جـ٢ ، ص ٧٩١ ، وأخرجه البخارى فى الصوم ، باب متى يقضى قضاء رمضان ( ٤٥/٣) ومسلم فى الصوم ، باب قضاء رمضان فى شعبان ، حديث ١١٤٦ ، وابن ماجة فى الصوم ، باب قضاء رمضان حديث ١٦٩٦ ، والنسائى فى الصوم ، حديث ٢٣٢١.

٣) البقرة. ١٨٧.

٤) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب فرض الحج مرة واحدة فى العمر ، جـ٢ ، ص ٩٧٥.

لوجبت ، الحج مرة فما زاد فهو تطوع"(١) .

والحج فرض عند الإستطاعة لقوله تعالى : ( وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا )(٢) .

وتتحقق الإستطاعة التى هى شرط من شروط وجوب الحج بما يأتى :

" ١) أن يكون المكلف صحيح البدن فإن عجز عن الحج لشيخوخته أو زمانته أو مرض لايرجى شفاؤه لزمه إحجاج غيره عنه إن كان له مال .

٢) أن تكون الطريق آمنة بحيث يأمن الحاج على نفسه وماله .

٣) ، ٤) أن يكون مالكا للزاد والراحلة .

٥) ألا يوجد مايمنع الناس من الذهاب إلى الحج كالحبس والخوف من سلطان جائر يمنع الناس منه"(٣) .

وبالتأمل فى هذه الشروط يبدو واضحا سماحة الإسلام وتجاوبه مع الفطرة السليمة ، وحساسيته المرهفة لأحوال أهله .

٣) مراعاة جميع الحقوق : الشريعة الإسلامية تراعى جميع الحقوق .

فالإسلام لايبيح للمسلم أن ينهك بدنه فى صلاة قيام الليل أو فى صيام التطوع ثم يذهب إلى عمله هزيل الجسم محطم الأعصاب ، بين النائم واليقظان . فهو فى هذه الحالة لايتمكن من إتقان عمله . وإتقان العمل واجب . وقيام الليل مندوب. فلا يجوز للمسلم أن يستغرق فى أداء النوافل على حساب صحته وحقوق الآخرين . عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يا عبدالله ! ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل ؟ قلت بلى يارسول الله . قال: فلا تفعل ، صم وافطر ، وقم ونم ، فإن لجسدك عليك حقا وإن لعينك عليك

---

١) سنن الدارمى ، كتاب المناسك ، باب كيف وجوب الحج ، جـ٢ ، ص ٢٩ .
٢) آل عمران . ٩٧ .
٣) انظر : فقه السنة ، جـ١ ، ص ٦٣٠ ـ ٦٣٢ .

حقا وإن لزوجك عليك حقا "[١].

وحينما علم الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الصحابى الجليل عثمان بن مظعون قد ترك النساء - أى العشرة الزوجية - بعث إليه فلما جاء قال له : " يا عثمان إنى لم أومر بالرهبانية ، أرغبت عن سنتى ؟ قال : لا يارسول الله . قال : "إن من سنتى أن أصلى وأنام ، وأصوم وأطعم ، وأنكح وأطلق ، فمن رغب عن سنتى فليس منى يا عثمان إن لأهلك عليك حقا ولنفسك عليك حقا "[٢].

كما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يخفف الصلاة لحاجة بعض المأمومين ، وكان يحث على التخفيف فى الصلاة مراعاة لذوى الحاجة والكبر والضعف. ويرى أن من لم يعمل بذلك فقد سلك سبيل الفتنة .

عن أبى مسعود الانصارى[٣] قال : قال رجل يارسول الله ، لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان ، فما رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى موعظة أشد غضبا من يومئذ فقال : " أيها الناس إنكم منفرون فمن صلى بالناس فليخفف فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة "[٤].

٤) النهى عن الغلو فى الدين:

قال تعالى : ( يا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لَاتَغْلُوا فِى دِينِكُمْ )[٥].

" وفى هذا النهى إعتبار للمسلمين لأنهم أولى بالإنتهاء عن الغلو لأن دينهم

---

١) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب النكاح ، باب لزوجك عليك حق ، جـ٩ ، ص ٢١٠.

٢) سنن الدارمى ، كتاب النكاح ، باب النهى عن التبتل ، جـ٢ ، ص ١٣٣.

٣) أبومسعود الأنصارى : إسمه عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة ، شهد العقبة وكان أحدث من شهد العقبة سنا ، إختلف فى وقت وفاته فقيل توفى سنة إحدى أو اثنتين وأربعين ومنهم من يقول مات بعد سنة ستين . انظر : أسد الغابة ، جـ٥ ، ص ٢٨٦ - ٢٨٧.

٤) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب العلم ، باب الغضب فى الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره ، جـ١ ، ص ٢٢٤ ، وأخرجه مسلم بنحوه فى صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة ، جـ١ ، ص ٣٤٠ ، والدارمى فى سننه ، كتاب الصلاة ، باب ما أمر الإمام من التخفيف فى الصلاة ، جـ١ ، ص ٢٨٨.

٥) النساء . ١٧١.

دين الرحمة واليسر "[١].

ولقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على الإعتدال فقال : " إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ولاتبغضوا إلى أنفسكم عبادة الله فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى "[٢].

قال تعالى : ( وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاس )[٣].

فالمسلمون أمة وسط بين الذين تغلب عليهم الحظوظ الجسدية والمنافع المادية كاليهود ، والذين تغلب عليهم التعاليم الروحية وتعذيب النفس وإذلالها كالهندوس والنصارى [٤].

عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا ، وقاربوا ، وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة[٥] والروحة[٦] وشىء من الدلجة[٧] "[٨].

والرسول فى هذا الحديث يأمرنا بالسداد وهو لزوم الصواب من غير إفراط ولا تفريط ولكن إذا لم نتمكن من ذلك فلنقارب أى لنعمل بما هو قريب من السداد .

ولقد أنكر الرسول على الثلاثة الذين غالوا فى التقرب إلى الله بل عدّ فعلهم خروجا عن السنة .

روى البخارى بسنده " أن ثلاثة رهط جاءوا إلى بيوت أزواج النبى صلى الله

---

١) تفسير المنار ، جـ١١ ، ص ٢١٦.
٢) مسند الإمام أحمد ، جـ٣ ، ص ١٩٩.
٣) البقرة. ١٤٣.
٤) انظر : تفسير المنار ، جـ١١ ، ص ٢١٦.
٥) ، ٦) ، ٧) ، الغدوة : السير أول النهار ، الروحة : السير بعد الزوال ، الدلجة : السير آخر الليل ولعل هذه الأوقات هى المنشطة للطاعات .انظر :فتح البارى جـ١ ،ص١١٨.
٨) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الإيمان ، باب الدين يسر ، جـ١ ، ص ١١٦.

عليه وسلم يسألون عن عبادة النبى صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا أين نحن من النبى صلى الله عليه وسلم وقد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم : أما أنا فإنى أصلى الليل أبدا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا . فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى "(١) .

وحينما رأى النبى صلى الله عليه وسلم شيخا يهادى(٢) بين ابنيه قال " مابال هذا" قالوا: نذر أن يمشى . قال " إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغنى"وأمره أن يركب "(٣) .

ولما نذرت أخت عقبة بن عامر الجهنى أن تحج لله ماشية غير مختمرة . إستفتى عقبة الرسول فى ذلك فقال له : " قل لأختك فلتختمر ولتركب ولتصم ثلاثة أيام "(٤) .

لقد أباح الإسلام للمسلم أن يتمتع بكل شئ أحله الله له من طعام وشراب ، وزينة ... بشرط الإعتدال وعدم الإسراف . ولذلك فلا يجوز للمسلم أن يحرم على نفسه شيئا من الطيبات ابتغاء التقرب إلى الله عز وجل .

قال تعالى : ( يَابَنِى آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِ مَسْجِدٍ وكُلُوا واشْرَبُوا ولاتُسْرِفُوا

---

١) صحيح البخارى ، كتاب النكاح ، باب الترغيب فى النكاح ، ج٥ ، ص ١٩٤٩ ، وأخرجه مسلم بنحوه فى صحيحه ، كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح لمن تاقت إليه نفسه ، ج٢ ، ص ١٠٢٠ ، والنسائى بنحوه فى سننه ، كتاب النكاح ، باب النهى عن التبتل ، ج٦ ، ص٦٠ .

٢) يهادى : يمشى بينهما متاكئا عليهما من ضعف به .

٣) صحيح مسلم ، كتاب النذر ، باب من نذر أن يمشى إلى الكعبة ، ج٣ ، ص ١٢٦٣ - ١٢٦٤ .

٤) سنن الدارمى ، كتاب النذور والأيمان ، ج٢ ، ص ١٨٣ .

إِنَّهُ لايُحِبُّ الْمُسْرِفِين ، قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ والطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ ، كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُون )[١].

٥) الضرورات تبيح المحظورات :

" وبالنظر إلى نصوص شريعة الإسلام نجد أنه قد راعى جميع الظروف والأحوال وأعطى لكل ذلك مايناسبه من أحكام وقد حسب للضرورة حسابها ، فأباح فيها المحظورات ، وأحل فيها المحرمات بقدر ماتنتفي به هذه الضرورات بغير تجاوز لها ولا تعد لحدودها "[٢].

والأدلة على ذلك من القرآن قوله تعالى : ( قُلْ لا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أو دَمًا مَسْفُوحًا أو لَحْمَ خِنْزِيرٍ فإِنَّهُ رِجْسٌ أو فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ، فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ ولَاعَادٍ فإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيم )[٣].

وقال في موضع آخر : ( فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمصة[٤] غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيم )[٥].

وجاء في السنة عن أبي هريرة أنه جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي ؟ قال : " فلا تعطه " قال: فإن قاتلني ؟ قال : " فاقتله " ، قال : أرأيت إن قتلني ؟ قال : " فأنت شهيد " قال : أرأيت إن قتلته ؟ قال " فهو في النار "[٦].

---

١) سورة الأعراف. ٣١ ، ٣٢.

٢) صور من سماحة الإسلام ، ص ٣٦.

٣) سورة الأنعام. ١٤٥.

٤) المخمصة : المجاعة .

٥) سورة المائدة . ٣.

٦) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من أخذ مال غيره بغير حق كان القاصد مهدر الدم في حقه ، وإن قتل كان في النار ، وأن من قتل دون ماله فهو شهيد ، حديث٢٥٥ ، جـ١ ، ص ١٢٤.

## المبحث الرابع

## العفو عن كل تائب مقبل على الله ومضاعفة الحسنات دون السيئات

ويشتمل هذا المبحث على مطلبين، الأول : العفو عن كل تائب مقبل على الله • والثانى : مضاعفة الحسنات دون السيئات •

### المطلب الأول

### العفو عن كل تائب مقبل على الله

إن الإنسان ضعيف ، فهو معرض للوقوع فى المعصية ، والله سبحانه وتعالى خالق الإنسان عليم بطبيعته ، ولذلك جاءت شريعة الله موافقة لفطرة الإنسان •

إن هذا الدين ليدرك ضعف هذا المخلوق البشرى الذى تهبط به ثقلة الجسد أحيانا إلى درك الفاحشة ، وتدفعه نزواته وشهواته وأطماعه إلى المخالفة عن أمر الله ، يدرك ضعفه هذا فلا يقسو عليه ولايبادر إلى طرده من رحمة الله [(١)] • ولذلك فتح له باب التوبة إحسانا إليه ، بل طلب منه أن يكون دائم التوبة •

قال تعالى : ( وتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّها الْمُؤمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون ) [(٢)] •

" إن تكاليف الله تعالى فى كل باب لايقدر العبد الضعيف على مراعاتها وإن ضبط نفسه واجتهد ، ولاينفك من تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين جميعا بالتوبة والإستغفار وتأميل الفلاح إذا تابوا واستغفروا " [(٣)] •

فالمؤمنون جميعا - مع تحقق صفة الإيمان لهم - مطالبون بدوام التوبة ، لأن

---

١) انظر : فى ظلال القرآن ، جـ١ ، ص ٤٧٦ •

٢) سورة النور • ٣١ •

٣) تفسير الرازى ، جـ٢٣ ، ص ٢١١ •

المؤمن لايسلم من الغفلة أو الزلة والهفوات ، والنبى صلى الله عليه وسلم يدخل تحت عموم الآية ، ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة للمؤمنين فى هذا المجال وفى جميع المجالات .

عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا أيها الناس توبوا إلى الله فإنى أتوب فى اليوم إليه مائة مرة "[١] .

كما جاء عن أبى هريرة أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة "[٢] .

ولقد وعد عز وجل بقبول توبة العبد المقبل عليه .

عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا[٣] حين يبقى ثلث الليل الأخير ، فيقول من يدعونى فأستجيب له ، ومن يسألنى فأعطيه ، ومن يستغفرنى فأغفر له "[٤] .

كما ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها "[٥] .

والمراد ببسط اليد قبول التوبة.

---

١) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب استحباب الإستغفار ، جـ٤ ، ص ٢٠٧٥ - ٢٠٧٦ .
٢) فتح البارى ، كتاب الدعوات ، باب استغفار النبى... ، جـ١١ ، ص ١٠٤ .
٣) ينزل ربنا ، مذهب السلف أنه يؤمن بأنها حق على مايليق بالله تعالى ، وأن ظاهرها المتعارف فى حقنا غير مراد ، ولايتكلم فى تأويلها مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوقين ومن الإنتقال والحركات وسائر سمات الخلق .
٤) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب الترغيب فى الدعاء ، حديث ١٦٨ ، جـ١ ، ص٥٢١ ، وأخرج نحوه الدارمى فى سننه كتاب الصلاة ، باب "ينزل الله إلى السماء" ، جـ١ ، ص٣٤٦ .
٥) صحيح مسلم ، كتاب التوبة ، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت ، جـ٤ ، ص ٢١١٣ .

ثم إن الله عز وجل لايقبل التوبة فحسب بل يفرح لتوبة العبد فرحا شديدا ٠

عن عبدالله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " لله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من رجل فى أرض دوية مهلكة معه راحلته ، عليها طعامه وشرابه ٠ فنام فاستيقظ وقد ذهبت ، فطلبها حتى أدركه العطش ثم قال : أرجع إلى مكانى الذى كنت فيه ، فأنام حتى أموت ، فوضع رأسه على ساعده ليموت ، فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه ، فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده "[١] ٠

فرحمة الله عز وجل عظيمة تدرك كل مقبل عليه ٠

عن عمر بن الخطاب أنه قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبى فإذا امرأة من السبى تبتغى ، إذا وجدت صبيا فى السبى أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار؟ " قلنا : لا والله ! وهى تقدر على أن لاتطرحه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لله أرحم بعباده من هذه بولدها "[٢] ٠

ولقد نبه الله تعالى عباده إلى سعة رحمته وفضله ، وحذرهم من اليأس من رحمته فقال : ( قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَاتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ )[٣] ٠

مناسبة الآية :

عن ابن عباس أن ناسا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا ، وزنوا فأكثروا ، ثم أتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا إن الذى تقول وتدعو لحسن ، ولو تخبرنا[٤] ٠

---

١) صحيح مسلم ، كتاب التوبة ، باب فى الحض على التوبة والفرح بها ، حديث ٣ ، جـ٤ ، ص٢١٠٣ ٠
٢) صحيح مسلم ، كتاب التوبة ، باب فى سعة رحمة الله تعالى ، حديث ٢٢ ، جـ٤ ، ص ٢١٠٩ ٠
٣) سورة الزمر ٠ ٥٣ ٠
٤) ولو تخبرنا : جواب لو : لأسلمنا ٠

أن لما عملنا كفارة فنزل ( وَالَّذِينَ لَايَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَايَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَايَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا )[١]. ونزل : ( يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَاتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ )[٢].

فالإسلام يجب ماكان قبله ، عن عبدالله قال : قلنا : يارسول الله أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية : قال : " من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية ، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر "[٣].

والمراد من قوله تعالى (قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ) التنبه على أنه لايجوز أن يظن العاصي- وإن أفرط في الجناية على نفسه بالإسراف في المعاصي - أنه لامخلص له من العذاب فإن من اعتقد ذلك فهو قانط من رحمة الله إذ لا أحد من العصاة إلا ومتى تاب زال عقابه وصار من أهل المغفرة والرحمة [٤].

إن العبد إذا أقبل على الله بقراب الأرض خطايا يلقاه الله بقرابها مغفرة. عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه قال : " يا ابن آدم إنك مادعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك قبل ذلك ، ابن آدم إنك إن تلقاني بقراب الأرض خطايا لقيتك بقرابها مغفرة بعد أن لاتشرك بي شيئا ، ابن آدم إنك إن تذنب حتى يبلغ ذنبك عنان السماء ثم تستغفرني أغفر لك ولا أبالي "[٥].

ومن عظيم إحسان الله تعالى أنه يكفر سيئات المؤمنين بما يفعلونه من حسنات. قال تعالى : ( وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ )[٦].

---

١) سورة الفرقان، ٦٨.
٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب كون الإسلام يهدم ما كان قبله ، حديث ١٩٣ ، ص ١١٣.
٣) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب هل يؤاخذ بأعمال الجاهلية ، حديث ١٩٠ ، ج١ ، ص١١١.
٤) انظر : مختصر تفسير الخازن ، ج٢ ، ص ١٠١٩.
٥) سنن الدارمي ، كتاب الرقاق ، باب إذا تقرب العبد إلى الله ، ج٢ ، ص ٣٢٢.
٦) سورة هود ، ١١٤.

والمراد من قوله تعالى ( وأقم الصلاة ) الصلوات المفروضة ، والطرف الأول من النهار الصبح ، والطرف الثانى الظهر والعصر ، والزلف من الليل المغرب والعشاء [(١)] .

مناسبة الآية:

ثبت فى الصحيحين عن عبدالله بن مسعود أن رجلا أصاب من امرأة قبلة فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ، قال : فنزلت ( أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِين )قال. فقال رجل: أَلِي هذه يارسول الله ! قال : " لمن عمل بها من أمتى "[(٢)] .

وفى رواية أخرى عن عبدالله قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله إنى عالجت امرأة[(٣)] فى أقصى المدينة ، وإنى أصبت منها ما دون أن أمسها[(٤)] فأنا هذا فاقض فىّ ما شئت . فقال له عمر : لقد سترك الله لو سترت على نفسك . قال : فلم يرد النبى صلى الله عليه وسلم شيئا فقام الرجل فانطلق ، فأتبعه النبى صلى الله عليه وسلم رجلا دعاه ، وتلا عليه هذه الآية ( أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِين ) فقال رجل من القوم : يانبى الله هذا له خاصة ؟ قال : بل للناس كافة "[(٥)] .

أما قوله تعالى : ( إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَات ) فقد اختلف أهل التفسير فى المراد من الحسنات اللاتى يذهبن السيئات على قولين :

الأول : لابن عباس حيث قال : إن المراد من الحسنات الصلوات الخمس ، فهى كفارة لسائر الذنوب مالم تكن كبيرة[(٦)] .

---

١) انظر : الكشاف للزمخشرى ، جـ٢ ، ص ٢٩٦ . انظر : كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى ، جـ٢ ، ص ١١٣ .

٢) فتح البارى ، كتاب التفسير ، باب " فأقم الصلاة ..." ، جـ٨ ، ص ٢٠٦ ، صحيح مسلم ، كتاب التوبة ، باب قوله تعالى " إن الحسنات يذهبن السيئات " حديث ٣٩ ، جـ٤ ، ص ٢١١٥-٢١١٦ .

٣) معنى عالجها : أى تناولها واستمتع بها .

٤) المراد بالمس : الجماع ومعناه : استمتعت بها بالقبلة والمعانقة وغيرها من أنواع الإستمتاع إلا الجماع.

٥) صحيح مسلم ، كتاب التوبة ، باب قوله تعالى "إن الحسنات يذهبن السيئات" حديث ٤٢ ، جـ٤ ص ٢١١٦ - ٢١١٧ .

٦) انظر : تفسير الطبرى ، جـ١٢ ، ص ٧٩ . انظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، جـ١٢ ، ص ٨٦ .

والثانى: لمجاهد قال: " إن الحسنات قول العبد سبحان الله، والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر "(١).

ولقد ذكر ابن جرير القولين السابقين فى تفسيره ثم قال: " وأولى التأويلين بالصواب فى ذلك قول من قال فى ذلك هن الصلوات الخمس لصحة الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتواترها عنه "(٢).

والأحاديث التى تؤيد ابن جرير كثيرة منها:

عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا ما تقول ذلك يبقى من درنه؟ قالوا: لايبقى من درنه شيئا. قال: " فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله به الخطايا "(٣).

كما صح عن عثمان قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ما من امرىء مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، مالم يؤت كبيرة، وذلك الدهر كله(٤)"(٥).

فالذنوب كلها تغفر بالصلوات إلا الكبائر فإنها إنما تكفرها التوبة أو الرحمة.

كما ثبت عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سمعه يقول ألا أدلكم على مايكفر الله به الخطايا ويزيد به فى الحسنات قالوا: بلى قال: إسباغ الوضوء على المكروهات وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة(٦).

" ولكن لفظ الحسنات فى الآية عام يشمل جميع الأعمال الصالحات حتى التروك فإنها عمل نفسى ومنه ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ

---

١) انظر: تفسير الطبرى، جـ١٢، ص ٨٠. انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، جـ١٢، ص٨٦.
٢) تفسير الطبرى، جـ١٢، ص ٨١.
٣) فتح البارى، صحيح البخارى، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، جـ٢، ص١٤.
٤) " وذلك الدهر كله " أى التكفير بسبب الصلاة مستمر فى جميع الأزمان لايختص بزمان دون زمان.
٥) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء والصلاة، حديث ٧، جـ١، ص٢٠٦.
٦) سنن الدارمى، كتاب الصلاة والطهارة، باب ماجاء فى إسباغ الوضوء، جـ١، ص ١٧٧-١٧٨.

سَيِّئَاتِكُمْ ونُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيما)[١]"[٢].

" فالحسنات على العموم والصلاة من جملة الحسنات المكفرة للسيئات بل إن الصلاة أعظم الحسنات وعمادها "[٣].

عن أبى ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" إتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن"[٤].

فالحسنة هنا على العموم وهى مكفرةللصغائر بلا شك ، والله أعلم .

وإذا كانت الصلوات وأمثالها من الأعمال الصالحة تكفر الصغائر " فإن التوبة مع العمل الصالح تكفر الصغائر والكبائر إلا حقوق العباد فإنه يجب أداؤها أو استحلال أهلها منها إن أمكن"[٥].

يقول الإمام الغزالى" إن كل نوع من الحسنات يكفر ماهو ضده من السيئات فيكفر سماع الملاهى بسماع القرآن وبمجالس الذكر ، ويكفر شرب الخمر بالتصدق بشراب حلال هو أطيب منه وأحب إليه ، ويكفر البخل بالإنفاق والإساءة إلى الناس بالإحسان إليهم ... وعَدُّ جميع المعاصى غير ممكن وإنما المقصود سلوك الطريق المضادة ، فإن المرض يعالج بضده "[٦].

قال تعالى : ( والَّذِينَ عَمِلوا السَّيِّئاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وآمنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيم )[٧].

---

١) سورة النساء. ٣١.
٢) تفسير المنار ، ج١٢ ، ص ١٥٥.
٣) انظر : تفسير فتح القدير ، ج٢ ، ص ٥٣٢ ، انظر : فى ظلال القرآن ، ج٤ ، ص ١٩٣٢.
٤) سنن الدارمى ، كتاب الرقاق ، باب فى حسن الخلق ، ج٢ ، ص ٣٢٣.
٥) تفسير المنار ، ج١٢ ، ص ١٥٥ - ١٥٦.
٦) انظر : إحياء علوم الدين تصنيف الإمام محمد بن محمد الغزالى المتوفى ، ٥٠٥هـ ، ج٤ ، ص ٣٥. دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ .
٧) سورة الأعراف. ١٥٣.

فالله تعالى يقبل توبة كل مقبل عليه سواء كانت معصيته كبيرة أو صغيرة كفرا كانت أو غير كفر ، كما قبل من عَبَدَةِ العجل توبتهم بعد كفرهم به بعبادة العجل [١].

قال الزمخشري : " إن الذنوب وإن جلت وعظمت فإن عفوه وكرمه أعظم وأجل، ولكن لابد من حفظ الشريطة وهى وجوب التوبة والإنابة " [٢].

وقال الرازى : " إن من أتى بجميع السيئات ثم تاب فإن الله يغفرها له وهذا من أعظم ما يفيد البشارة والفرح للمذنبين " [٣].

" والإسلام لايدعو إلى الترخص ، ولايمجد العاثر الهابط ، ولا يهتف له بجمال المستنقع كما تهتف الواقعية ، إنما هو يقبل عثرة الضعيف ليستجيش فى النفس الإنسانية الرجاء ، كما يستجيش فيها الحياء " [٤].

إن الطفل الذى يخطىء ويعرف أن السوط - لاسواه - فى الدار سيروح آبقا شاردا ، فأما إذا كان يعلم أن إلى جانب السوط يدا حانية تقبل عذره حين يستغفر من الخطيئة فإنه سيعود . وهكذا يأخذ الإسلام المخلوق البشرى فى لحظات ضعفه ، فإنه يعلم أن فيه بجانب الضعف قوة ، وبجانب النزوة الحيوانية أشواقا ربانية ، فهو يعطف عليه فى لحظة الضعف ليأخذ بيده إلى مرافق الصعود [٥].

إن العاصى إذا تاب وصحت توبته غفرت ذنوبه أما من مات قبل أن

---

١) انظر : تفسير الطبرى ، جـ٩ ، ص ٤٩.
٢) تفسير الكشاف ، جـ٢ ، ص ١٢٠.
٣) تفسير الفخر الرازى ، جـ١٥ ، ص ١٥.
٤) فى ظلال القرآن ، جـ١ ، ص ٤٧٧.
٥) أنظر : المصدر السابق ، ص ٤٧٦ - ٤٧٧.

يتوب فهو موكول إلى مشيئة الله تعالى فإن شاء غفر له وعفا عنه وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة بفضله ورحمته ، فالتوبة واجبة على كل أحد وخوف العقاب مطلوب ، فلعل الله تعالى يغفر مطلقا ولعله يعذب ثم يعفو بعد ذلك [١] .

ومن إحسان الله تعالى أنه جعل كل ما أصاب الإنسان من عناء أو أذى - حتى الشوكة يشاكلها - سببا في تكفير سيئاته .

عن أبي هريرة قال : " لما نزلت ( مَنْ يَعْمَلْ سُوءً يُجْزَ بِهِ ) [٢] بلغت من المسلمين مبلغا شديدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قاربوا وسددوا ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها [٣] أو الشوكة يشاكها " [٤] .

ومن عظيم إحسان الله تعالى أنه يستر على المؤمنين زلاتهم في الدنيا ويغفرها في الآخرة .

عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول ، أتعرف ذنب كذا ، أتعرف ذنب كذا ، فيقول نعم أي ربّ حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال : سترتها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم ، فيعطى كتاب حسناته . وأما الكافر والمنافقون فيقول الأشهاد : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين " [٥] .

---

١) انظر : تفسير مراح لبيد ، ج٢ ، ص ٢٤٣ ، انظر : مختصر تفسير الخازن ، ج٢ ، ص ١٠١٩ .
٢) سورة النساء . ١٢٣ .
٣) مثل العثرة يعثرها برجله وربما جرحت أصبعه .
٤) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن ، ج٤ ، ص ١٩٩٣ .
٥) فتح الباري ، صحيح البخاري ، كتاب المظالم ، باب قول الله " ألا لعنة الله على الظالمين " ج٥ ، ص ١١ .

ومن عظيم فضل الله وعفوه أنه تعالى قضى بأن يخرج من النار فى الآخرة من قال لا إله إلا الله ـ مخلصا ـ وفى قلبه وزن ذرة من خير ، وإن كان فى دنياه قد هبط إلى درك الفاحشة .

عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وفى قلبه وزن شعيرة من خير ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن برة من خير ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن ذرة (١) من خير " (٢) .

كما ثبت عن أبى ذر قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو نائم عليه ثوب أبيض . ثم أتيته إذا هو نائم ، ثم أتيته وقد استيقظ فجلس إليه ، فقال : " مامن عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة " قلت : وإن زنى وإن سرق قال : " وإن زنى وإن سرق " قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : " وإن زنى وإن سرق" ثلاثا . ثم قال فى الرابعة " على رغم أنف أبى ذر" قال : فخرج أبوذر وهو يقول : وإن رغم أنف أبى ذر " (٣) .

والمراد من قوله صلى الله عليه وسلم " على رغم أنف أبى ذر" أى على ذل منه لوقوعه مخالفا لما يريد . ولقد كان الصحابى الجليل أبوذر يستبعد العفو عن الزانى السارق المنتهك للحرمة ، وذلك لشدة نفرته من معصية الله ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم بشر بسعة رحمة الله تعالى وفضله .

## إن الله لايظلم مثقال ذرة

إن الله سبحانه وتعالى عادل والعدل اسم من أسمائه ، فالظلم لايقع من الله عز وجل لأنه من النقص الذى يتنزه عنه وهو ذو الكمال المطلق والفضل العظيم .

---

١) المراد بالذرة : الواحدة من الذر . وهو الحيوان المعروف الصغير من النمل .
٢) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الإيمان ، باب زيادة الإيمان ونقصانه ، جـ١ ، ص١٢٧ ، صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة ، حديث ٣٢٥ ، جـ١ ، ص ١٨٢ .
٣) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب من مات لايشرك بالله شيئا دخل الجنة ، حديث ، ١٥٤ ، جـ١ ، ص٩٥ .

قال تعالى : ( إِنَّ ٱللَّهَ لايَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا ويُؤْتِ مِن لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا )(١).

والمراد من قوله تعالى ( إن الله لايظلم مثقال ذرة )"أنه تعالى لايظلم قليلا ولاكثيرا ولكن الكلام خرج على أصغر ما يتعارفه الناس "(٢).

قال تعالى : ( إِنَّ ٱللَّهَ لايَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا )(٣).

والذرة فى اللغة صغير النمل، ولكنها تطلق ويراد بها كل جزء من أجزاء الهباء فى الكوة وهو الأنسب بمقام المبالغة.

عن ابن عباس رضى الله عنهما : " أنه أدخل يده فى التراب ثم نفخ فيه فقال : كل واحدة من هؤلاء ذرة "(٤).

" ونفى الظلم ههنا على إطلاقه يشمل المؤمن والكافر "(٥).

ولقد ورد فى الكافرين ما يدل على أنه لا أثر لعملهم فى الآخرة كقوله تعالى : ( أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيامَةِ وَزْنًا )(٦).

وقوله : ( وَقَدِمْنَا إِلَىٰ ماعَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورا )(٧).

ولقد جاء فى الصحيح مايفيد أن الله تعالى يجازى الكفار على أعمالهم الحسنة فى الدنيا حتى إذا جاؤا يوم القيامة لايجدون لهم حسنات.

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله لايظلم مؤمنا حسنة(٨)، يعطى بها فى الدنيا، ويجزى بها فى الآخرة. وأما الكافر فيطعم

---

١) سورة النساء . ٤٠.
٢) تفسير الفخر الرازى، جـ١٠، ص ١٠٥.
٣) سورة يونس. ٤٤.
٤) تفسير أبى السعود، جـ١، ص ٥٢١.
٥) تفسير المنار، جـ٥، ص ٨٦.
٦) سورة الكهف. ١٠٥.
٧) سورة الفرقان. ٢٣.
٨) معناه لايترك مجازاته بشيء من حسناته والظلم يطلق بمعنى النقص.

بحسنات ما عمل بها لله فى الدنيا · حتى إذا أفضى فى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها "[(١)]·

كما ثبت عن أنس بن مالك أنه حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها طعمة من الدنيا · وأما المؤمن فإن الله يدخر له حسناته فى الآخرة ، ويعقبه رزقا فى الدنيا على طاعته "[(٢)]·

والمعنى الذى تستريح إليه النفس للآيات التى يفيد ظاهرها أنه لاوزن لعمل الكافرين فى الآخرة هو ماذهب إليه محمد رشيد رضا " أنه لايقابل الشرك عمل صالح فيمحوه بل الأعمال الصالحة بإزاء الشرك هباء ، ولكن المشرك العاصى أشد عذابا من المشرك المحسن ، ولايعقل أن يكون المحسن والمسئ عنده تعالى سواء فإن هذا من الظلم المنفى بلا شك "[(٣)]·

قال تعالى : ( فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه )[(٤)]·

إن الجنة درجات بحسب أعمال المؤمنين الصالحة وفى المقابل النار دركات حيث يزيد الكافر تسفلا بمقدار زيادة الجحود والمعاندة والطغيان وعمل الشر · ولقد بين الله تعالى فى كتابه أن الكفاريتبفاوتون فى العذاب ولذلك قال ابن حجر العسقلانى " وأما تفاوت الكفار فى العذاب فلا شك فيه ويدل عليه قوله تعالى: ( إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ[(٥)] "[(٦)]·

ويؤيد هذا أيضا ما أخرجه الحاكم فى المستدرك وغيره من حديث ابن مسعود رفعه للنبى " ما أحسن محسن من مسلم ولا كافر إلا أثابه الله ، قلنا يارسول الله ما

---

١) صحيح مسلم ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب جزاء المؤمن ، حديث ٥٦ ، جـ٤، ص٢١٦٢
٢) المرجع السابق ، كتاب صفات المنافقين، باب ، جزاء المؤمن، حديث ٥٧، جـ٤ ، ص٢١٦٢·
٣) تفسير المنار ، جـ٥ ، ص ٨٧·
٤) سورة الزلزلة ، ٧·
٥) النساء · ١٤٥·
٦) فتح البارى ، جـ١١ ، ص ٤٣١·

إثابة الكافر؟ قال المال والولد والصحة وأشباه ذلك . قلنا وما إثابته في الآخرة؟ قال عذابا دون العذاب ثم قرأ ( أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ )(١)"(٢).

ويتضح من هذا الحديث أن الكافر المحسن أخف عذابا من الكافر العاصي. ولكن الإمام ابن حجر يعتبر " أن سند هذا الحديث ضعيف ، وعلى تقدير ثبوته فيحتمل أن يكون التخفيف فيما يتعلق بعذاب معاصيه بخلاف عذاب الكفر "(٣).

ولقد ثبت في الصحيح عن العباس بن عبدالمطلب أنه قال : يارسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال نعم هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار"(٤).

قال القرطبي " إن الكافر إذا عرض على الميزان ورجحت كفة سيئاته بالكفر اضمحلت حسناته فدخل النار ، لكنهم يتفاوتون في ذلك فمن كانت له منهم حسنات من عتق ومواساة مسلم ليس كمن ليس له شيء من ذلك . فيحتمل أن يجازى بتخفيف العذاب عنه بمقدار عمله لقوله تعالى : ( وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا )(٥)"(٦).

ولكن الإمام ابن حجر اعتبر هذا معارضا بقوله تعالى : ( وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ

---

١) غافر . ٤٦.

٢) المستدرك على الصحيحين في الحديث للحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري ، جـ٢ ، ص ٢٥٣ ، كتاب التفسير ، طبعة دار الفكر ، بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، جـ٣ ، ص١١١ ، باب أجر الصدقة ، تحرير الحافظين الجليلين العراقي وابن حجر ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٣،١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة ، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، جـ١ ، ٤٤٨ ، كتاب الزكاة ، باب ثواب الصدقة للمسلم وغيره ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط١،١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣) فتح الباري ، جـ١١ ، ص ٤٤٠.

٤) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب شفاعة النبي لأبي طالب ، حديث ٣٥٧ ، جـ١ ، ص ١٩٥.

٥) الأنبياء . ٤٧.

٦) انظر : التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، تأليف شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي ، ص٣٦٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

عَذَابِهَا )[١]"[٢].

وربما - والله أعلم - أن عدم التخفيف من العذاب المقصود به العذاب الواقع بهم. فالمنافق في الدرك الأسفل فلا يخفف عنه وآل فرعون في أشد العذاب ، وأبوطالب في ضحضاح من نار ، يبقى كذلك ولايخفف عنه .

وأما بالنسبة لحديث عائشة حيث قالت : قلت يارسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذاك نافعه ؟ قال : " لاينفعه إنه لم يقل يوما : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين "[٣].

فربما - والله أعلم - قصد الرسول صلى الله عليه وسلم أن عمل ابن جدعان لاينفعه أي لايخرجه من النار ، فهو مخلد في النار لأنه لم يتوجه إلى الله تعالى بالعبودية وكذلك جميع الكفار مخلدون في النار ، ولا تؤثر حسناتهم في الدنيا في خروجهم من النار .

## المطلب الثاني

## مضاعفة الحسنات دون السيئات

أما مضاعفة الحسنات دون السيئات فقد دلت آيات القرآن الكريم وصريح السنة النبوية على ذلك .

قال تعالى : ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ )[٤].

أي من جاء يوم القيامة بالأعمال الحسنة من المؤمنين فله عشر حسنات أمثالها

---

١) فاطر . ٣٦.
٢) انظر : فتح الباري ، جـ١١ ، ص ٤٤٠.
٣) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على الكفر لاينفعه عمل ، حديث ٣٦٥ ، جـ١ ، ص ١٩٦.
٤) الأنعام . ١٦٠ .

تفضلا من الله ٠

" وهذا أقل ما وعد من الأضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بذكر العشر بيان الكثرة لا الحصر فى العدد الخاص "[١] ٠

قال تعالى : ( وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُور )[٢] ٠

" وزيادة حسنها من جهة الله مضاعفتها كقوله ( مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَة )[٣] "[٤] ٠

ومما تجدر الإشارة إليه أن لفظ " يقترف " يستعمل غالبا فى مجال الشر والمسائة قال تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُون )[٥] ولكنه استعمل هنا فى مقام الإحسان " وفى هذا إشارة إلى أن اليد التى تعمل السوء تستطيع أن تفعل الإحسان ، وأن الإنسان الذى يسلك طريق الشر هو نفسه يمكن أن يسلك طريق الخير "[٦] ٠

إن الله تعالى يسر لنا طريق الخير ووعد على فعل الحسنة جزاء أقله عشر أمثالها إلى أضعاف كثيرة لا يعلمها إلا الله وذلك على حسب حال فاعل الحسنة من إخلاصه وتعبه ، ونوع الحسنة التى يقوم بفعلها ٠

قال تعالى : ( وإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا )[٧] ٠

قال الحسن : قوله : ( وإن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا ) هذا أحب إلى العلماء مما لو قال : فى الحسنة الواحدة مائة ألف حسنة ، لأن ذلك الكلام يكون مقداره معلوما

---

١) تفسير أبى السعود ، جـ٢ ، ص ٢٢٩٠
٢) الشورى ٠ ٢٣٠
٣) البقرة ٠ ٢٤٥٠
٤) الكشاف ، جـ٣ ، ص ٤٦٨ ، انظر : تفسير الجامع لأحكام القرآن الكريم ، جـ٩ ، ص ٥٨٤٤٠
٥) الأنعام ٠ ١٢٠٠
٦) التفسير القرآنى للقرآن ، للخطيب ، جـ٧ ، ص ٤٧٠
٧) سورة النساء ٠ ٤٠٠

أما على هذه العبارة فلا يعلم كمية ذلك التضعيف إلا الله تعالى "[١].

ولقد فرق الرازى بين التضعيف فى قوله : ( وإن تك حسنة يضاعفها ) وبين الأجر اللدنى العظيم فى قوله : ( وَيُؤتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيمًا ) فقال : " والتضعيف إشارة إلى السعادة الجسمانية والأجر العظيم إشارة إلى السعادة الروحانية ، فالتضعيف يكون من جنس اللذات الموعود بها فى الجنة ، أما الأجر العظيم الذى يؤتيه من لدنه فهو اللذة الحاصلة عند الرؤية وعند الإستغراق فى المحبة والمعرفة "[٢].

أما الذى يأتى يوم القيامة بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها.

قال تعالى : ( وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لايُظْلَمُون )[٣].

وقال : ( والَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِها )[٤].

وقال : ( مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا )[٥]. فالحسنة تضاعف والسيئة بمثلها.

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها "[٦].

كما ثبت فى الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه عز وجل قال : " إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك

---

١) تفسير الرازى ، جـ١٠ ، ص ١٠٧.

٢) انظر : تفسير الرازى ، جـ١٠ ، ص ١٠٨.

٣) سورة الأنعام. ١٦٠.

٤) سورة يونس. ٢٧.

٥) سورة غافر. ٤٠.

٦) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الإيمان ، باب حسن إسلام المرء ، جـ١ ، ص ١٢٤.

فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة ، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة "[١] .

وهذا الحديث يبين فضل الله العظيم على هذه الأمة لأنه لولا ذلك التضعيف في الحسنات كاد لايدخل أحد الجنة ، لأن عمل العباد للسيئات أكثر من عملهم للحسنات [٢] .

ومن عظيم فضل الله تعالى أنه يثيب على الهمّ بالحسنة ولايؤاخذ على الهمّ بالسيئة.
وإذا قيل أليس العدل يقضي بالتسوية في الجزاء فيجزى المحسنون الحسنة بالحسنة ، كما يجزى المسيئون السيئة بالسيئة ؟ يجاب " إن جزاء السيئة بالسيئة عدل، وإن جزاء الحسنة بأضعافها إحسان ، فالمسيئون مأخوذون بعدل الله والمحسنون مجزيون بإحسانه "[٣] .

قال تعالى : ( نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلانُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِين )[٤] .

ثم إن الله تعالى قد يعفو على من وقعت منه السيئة فلا تكتب أو يمحوها .

قال تعالى : ( وَلِلَّهِ ما فِي السَّمَٰوَاتِ ومَافِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالحُسْنَى )[٥] .

ومما يثير الإنتباه في هذه الآية شيئان .

الأول : أنه تعالى كرر الفعل يجزى " وتكرير الفعل لإبراز كمال الإعتناء بأمر الجزاء والتنبيه على تباين الجزاءين "[٦] .

---

١) فتح البارى ، بشرح صحيح البخارى ، كتاب الرقاق ، باب من هم بحسنة أو سيئة ، جـ١١ ، ص ٣٣١، صحيح مسلم ، كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة .. ،حديث٢٠٧ ،جـ١ ، ص١١٨ .
٢) انظر : فتح البارى ،جـ١١ ، ص ٣٣٦ .
٣) التفسير القرآني للقرآن ، جـ٦ ، ص ١١٥٤ .
٤) سورة يوسف. ٥٦ .
٥) سورة النجم. ٣١ .
٦) تفسير أبي السعود ، جـ٥ ، ص ٦٤٨ .

والثانى: اختلاف النظم بين قوله تعالى : ( ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ).
وقوله تعالى : ( ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ) والذى كان من مقتضى ظاهر النظم أن يقال "، ليجزى الذين أساءوا بالسوءى ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى" " وفى هذا إشارة إلى أن مجازاة الذين أساءوا بالسوءى ليست حتما مقضيا فى كل حال. بل إن رحمة الله سبحانه وتعالى قد تنال هؤلاء المسيئين فيعفو الله سبحانه وتعالى عن سيئاتهم كلها أو بعضها كما يقول سبحانه ( وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ )[١] وكما يقول جل شأنه ( وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَاتَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ)[٢] "[٣].

عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" إن ربكم رحيم من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت عشرا إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت واحدة أو يمحوها ولايهلك على الله إلا هالك "[٤].

---

١) سورة الشورى. ٣٠.
٢) سورة فاطر . ٤٥.
٣) التفسير القرآنى للقرآن ، جـ٧ ، ص ٦٠٩.
٤) سنن الدارمى ، كتاب الرقاق ، باب من هم بحسنة ، جـ٢ ، ص ٣٢١.

# الفصل الثاني

## مجالات الإحسان

ويشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأول : الإحسان في مجال العبادات .

المبحث الثاني : الإحسان في مجال الدعوة إلى الله .

المبحث الثالث : الإحسان في مجال البر والصلة .

المبحث الرابع : الإحسان في مجال المعاملات .

## المبحـــــث الأول

## الإحســان في مجــال العبــادات

### مفهوم العبادة في الإسلام:

إن العبادة لله عز وجل هى الغاية التى من أجلها خلق الله الإنس والجن حيث قال : ( وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون )[١] ، وبها أرسل الله جميع الرسل ، كما قال نوح لقومه : ( اعْبُدُوا اللَّهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ )[٢] وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم لأقوامهم .

يقول إبن تيمية : " والعبادة اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم ، والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة "[٣] .

### العلاقة بين الدين والعبادة:

يقول ابن تيمية : " والدين يتضمن معنى الخضوع والذل يقال دنته فدان أى ذللته فذل ، ويقال : " يدين الله " ، و "يدين لله" أى يعبد الله ويطيعه ويخضع له فدين الله عبادته وطاعته والخضوع له "[٤] .

---

١) سورة الذاريات ٠ ٥٦٠

٢) سورة الأعراف٠ ٥٩٠

٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام إبن تيمية ، جـ١٠ ، ص ١٤٩، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن القاسم وساعده ابنه محمد وفقه الله ، طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين ، صاحب الجلالة الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود ، إشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين ، بدون تاريخ .

٤) المصدر السابق ، جـ١٠ ، ص ١٥٣٠

وإذا عرفنا أن الدين كله عبادة كما يذكر ابن تيمية ، وأن الدين نظام يشمل كل مظاهر الحياة " عرفنا أن عبادة الله تسع الحياة كلها وتنتظم أمورها قاطبة من أدب الأكل والشرب وقضاء الحاجة إلى بناء الدولة الإسلامية وسياسة المال وشئون المعاملات والعقوبات وأصول العلاقات الدولية فى السلم والحرب "(١) •

قال تعالى : ( صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُون )(٢) • والمراد من قوله تعالى (صبغة الله ) أى اطلبوا صبغة الله وهى دين الإسلام (٣) فلا صبغة أحسن من صبغة الإسلام •

مناسبة الآية:

قال ابن جرير : " إن النصارى إذا أرادت أن تنصر أطفالهم جعلتهم فى ماء لهم تزعم أن ذلك لها تقديس بمنزلة غسل الجنابة لأهل الإسلام ، وأنه صبغة لهم فى النصرانية فقال تعالى ذكره إذ قالوا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه المؤمنين " كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا "(٤) قل لهم يا محمد أيها اليهود والنصارى إتبعوا ملة إبراهيم صبغة الله التى هى أحسن الصبغ فإنها هى الحنيفية المسلمة ودعوا الشرك بالله والضلال عن محجة هداه "(٥) •

ولقد سمى الله تعالى الدين صبغة لعدة أمور منها :

١) لأن الدين يطهر المؤمنين من أوضار الكفر ، ثم إن للدين آثار طيبة تظهر على المتدين كما يظهر أثر الصبغ على الثوب• فالإنسان بالإسلام يتفرد عن سائر الناس بسلوكه النظيف وأخلاقياته الرفيعة ودوره البناء فى المجتمع • فالدين

---

١) العبادة فى الإسلام ، د /يوسف القرضاوى ، ص ٥١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٤ ، ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م•
٢) سورة البقرة• ١٣٨•
٣) تفسير مراح لبيد ، جـ١ ، ص ٣٧•
٤) سورة البقرة• ١٣٥•
٥) تفسير ابن جرير ، جـ١ ، ص ٤٤٤•

حلية للمؤمنين كما أن الصبغ حلية للثوب .

٢) إن الدين متداخل فى قلوب الناس تداخل الصبغ فى الثوب(١).

قال تعالى : ( فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لايَعْلَمُونَ )(٢).

" ومعنى قوله تعالى ( فطرة الله) خلقة الله والمراد به دين الإسلام ، لأن الله خلق الخلق عليه إذ هو الذى تقتضيه عقولهم السليمة وإنما كفر من كفر لعارض أخرجه عن أصل فطرته "(٣).

وفى هذا المعنى صح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه "(٤).

٣) إن الله تعالى أطلق لفظ الصبغة على الدين وذلك على طريقة المشاكلة حيث إن النصارى كانوا يغمسون أبناءهم فى ماء لهم أصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم. وإذا فعل الواحد بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا فقال الله تعالى أطلبوا صبغة الله وهى الدين والإسلام لا صبغتهم(٥). ونظير ذلك قوله تعالى : ( إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِم )(٦). وقوله : ( يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُم )(٧) وقوله : ( وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ )(٨). وقوله : ( وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ

---

١) انظر : تفسير البيضاوى ، ص ١٩ ، انظر : تفسير أبى السعود ، جـ١ ، ص ٢٠٠.
٢) سورة الروم. ٣٠.
٣) التسهيل لمعالم التنزيل ، جـ٣ ، ص ١٢٢.
٤) مسند الحميدى ، حديث ١١١٣ ، جـ٢ ، ص ٤٧٣ ، وأخرجه مسلم ، كتاب القدر ، باب كل مولود يولد على الفطرة ، جـ٤ ، ص ٢٠٤٨.
٥) انظر : تفسير الرازى ، جـ٤ ، ص ٩٦ ، انظر : تفسير أبى السعود ، جـ١ ، ص ٢٠٠.
٦) سورة البقرة. ١٤ـ ١٥.
٧) سورة النساء . ١٤٢.
٨) سورة آل عمران. ٥٤.

مِثْلُهَا ﴾[١] . وقوله : ( إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُم )[٢] .

وقوله تعالى : ( صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ) هو من كلام الله التقريري أما باقى الآية ( وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُون ) فهو من كلام الله عز وجل على لسان المؤمنين ، ولحوق كلام المؤمنين بكلام الله فى سياق واحد تشريف عظيم يبين مدى الصلة الوثيقة بينهم وبين ربهم كما يبين مدى الإستقامة الواصلة بينه وبينهم[٣] .

فالإسلام هو ملة الخاضعين لله المستكينين له فى اتباعهم ملة إبراهيم ودينونتهم لله بذلك غير مستكبرين فى اتباع أمره كما استكبرت اليهود والنصارى فكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم استكبارا و بغيا وحسدا .

" والعبادة أصل معناها الذل : يقال طريق معبد إذا كان مذللا قد وطئته الأقدام . لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب "[٤] .

شروط العبادة المقبولة : والعبادة المقبولة مشروطة بالإحسان فلا تقبل العبادة بدون الإحسان . ونعنى بالإحسان شيئين :

الأول : الإخلاص فلا يعبد إلا الله ولايشرك به شيئا ، فإذا قام الإنسان بأى عمل وجب عليه أن يقصد وجه الله وإلا فلا تقبل عبادته .

والثانى : أن يكون العمل الذى يتقرب به الإنسان إلى الله مشروعا أى عملا صالحا ، وإن شئت فقل يجب أن يكون هذا العمل حسنا فى ذاته ، ويعرف حسنه بموافقته

---

١) سورة الشورى . ٤٠ .

٢) سورة هود . ٣٨ .

٣) انظر : فى ظلال القرآن ، جـ١ ، ص ١١٨ .

٤) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية ، جـ١٠ ، ص ١٥٣ .

للأحكام التى شرعها الله تعالى وبينها نبيه الكريم .

قال ابن تيمية : " والعبادة والطاعة والإستقامة ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك من الأسماء مقصودها واحد ولها أصلان : أحدهما : ألا يعبد إلا الله ، والثانى : أن يعبد بما أمر وشرع لابغير ذلك من البدع"[١] .

وقال الفضيل بن عياض[٢] :" العمل الحسن هو أخلصه وأصوبه ، قالوا يا أبا على ما أخلصه وأصوبه؟ قال : إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا . والخالص ما كان لله . والصواب ما كان على السنة "[٣] .

ولقد اشار القرآن الكريم والسنة النبوية إلى هذين الأصلين فى أكثر من موضع . قال تعالى : ( فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا )[٤] والعمل الصالح فى هذه الأية هو العمل المشروع أى الحسن فى ذاته وهو أحد شرطى العبادة المقبولة.

قال ابن تيمية : " فالعمل الصالح هو الإحسان وهو فعل الحسنات. "والحسنات" هى ما أحبه الله ورسوله ، وهو ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب ، فما كان من البدع فى الدين التى ليست مشروعة فإن الله لايحبها ولارسوله ، فلا تكون من الحسنات ولا من العمل الصالح ، كما أن من يعمل ما لايجوز كالفواحش والظلم ليس من الحسنات ولا من العمل الصالح"[٥].

---

١) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية ، جـ١٠ ، ص ١٧٢ ـ ١٩٧٣م.

٢) الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمى اليربوعى ، أبو على الزاهد الخراسانى ، كان من قطاع الطرق ثم تاب بعد أن سمع تاليا يتلو قوله تعالى ( ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ) فلما سمعها قال بلى يارب قد آن ، وهو ثقة مأمون عابد ورع كثير الحديث ، مات فى مكة سنة سبع وثمانين ومائة ، انظر : تهذيب التهذيب ، جـ٨ ، ص ٢٩٤ـ ٢٩٦.

٣) التفسير القيم للإمام ابن القيم ، ص ٧٤ ، جمعه/محمد أويس الندوى ، حققه : محمد حامد الفقى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٤) سورة الكهف. ١١٠.

٥) مجموع الفتاوى ، جـ١٠ ، ص ١٧٣.

ولقد جاءت السنة تؤكد هذا المعنى • عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد "[١]. أى باطل و مردود •

وفى رواية لمسلم " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد "[٢].

كما ثبت عن جابر بن عبدالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى خطبته : " أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة "[٣].

وفى رواية النسائى : " وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار "[٤].

وأما قوله تعالى : ( وَلَايُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ) فهو إشارة إلى الشرط الآخر لقبول العبادة وهو الإخلاص •

والأحاديث التى تدلل على هذا الشرط كثيرة • عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"[٥].

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله لاينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم"[٦].

---

١) صحيح البخارى ، كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ، جـ٢ ، ص ٩٥٩ ، وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ، حديث ١٧ ، جـ٣ ، ص ١٣٤٣.

٢) صحيح مسلم ، كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ، حديث ١٨، جـ٣ ، ص ١٣٤٤.

٣) صحيح مسلم ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ، حديث ٤٣ ، جـ٢ ، ص ٥٩٢.

٤) سنن النسائى ، كتاب العيدين ، باب كيفية الخطبة ، حديث ١٥٧٨ ، جـ٣ ، ص ١٨٩.

٥) صحيح البخارى ، كتاب بدء الوحى ، باب كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جـ١ ، ص٣.

٦) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله ، حديث ٣٣ ، جـ٤ ، ١٩٨٦-١٩٨٧ ، وأخرجه ابن ماجة فى سننه بنحوه ، كتاب الزهد ، باب القناعة ، حديث ٤١٤٣ ، والإمام أحمد فى مسنده ، جـ٢ ، ص ٢٨٥ ، ص ٥٣٩.

كما ثبت عن أبي هريرة مرفوعا قال : قال الله تعالى : " أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه "(١).

وحينما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلك يكون في سبيل الله قال صلى الله عليه وسلم : " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله "(٢).

ومن الآيات التي تدلل على أن الإحسان شرط في قبول العبادة قوله تعالى: (بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُون)(٣).

مناسبة الآية:

كانت اليهود تدعي أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودا-أي من يهود - وكانت النصارى تدّعي أنه لن يدخل الجنة إلا من كان من النصارى ، وهذه الإدعاءات العريضة باطلة . ولذلك أخبر سبحانه وتعالى أن الأمر ليس كما يدعي اليهود والنصارى،فكل من أسلم وجهه لله أي أخلص في عبادته وهو محسن أي فاعل للحسنات متجنب للسيئات فهو الفائز بالأجر العظيم والأمن عند الفزع الأكبر(٤).

كما قال تعالى : ( وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا واتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا )(٥).

وهذه الآية تبين قضاء الله عز وجل للإسلام وأهله بالفضل على سائر الملل غيره وأهلها .

١) صحيح مسلم ، كتاب الزهد ، باب من أشرك في عمله غير الله ، حديث ٤٦ ، جـ٤ ، ص١٢٢٨٩
٢) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد ، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، جـ٣ ، ص١١٣٥ وأخرجه مسلم في كتابه الإمارة ، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ، حديث ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، جـ٣ ، ص ١٥١٢ - ١٥١٣، والإمام أحمد في مسنده جـ٤ ، ص ٣٩٢ ، ٣٩٧ ، ٤٠٢ ، ٤٠٥ ، ٤١٧.
٣) البقرة. ١١٢.
٤) انظر : تفسير الطبري ، جـ١ ، ص ٣٩٣.
٥) سورة النساء . ١٢٥.

والآيتان السابقتان تشيران إلى شرطى العبادة المقبولة عند الله تعالى فقوله تعالى فى الآيتين السابقتين ( أَسْلَمَ وَجْهَهَ لِلَّه ) إشارة إلى الإخلاص ، وأصل الإسلام الإستسلام والخضوع ، ولقد خص الوجه بالذكر لوجوه .

الأول : أن الوجه أكرم أعضاء ابن آدم وهو أعظمها عليه حرمة وحقا[١]. ثم إن الوجه أشرف مايرى من الإنسان وفيه مظهر العز والذل[٢] وهو "مجمع المشاعر ومظهر آثار الخضوع الذى هو من أخص خصائص الإخلاص"[٣] فإذا خضع الوجه كان غيره من سائر البدن أولى.

الثانى : أن الله سبحانه وتعالى أطلق الوجه وأراد النفس ، ومثال ذلك فى القرآن الكريم قوله تعالى : ( كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَه )[٤] وقوله : ( إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى )[٥] ، وهذا الأسلوب مشهور عند العرب" فالعرب تخبر بالوجه عن جملة الشيء "[٦].

الثالث : أن السجدة هى أعظم العبادات وهى إنما تحصل بالوجه ولذلك خص الوجه بالذكر[٧] ، قال زيد بن عمرو بن نفيل :

وأسلمت وجهى لمن أسلمت *** له المزن تحمل عذبا زلالا[٨]

يعنى بذلك إستسلمت لطاعة من استسلم لطاعته المزن وانقادت له . ومعنى قوله "لله" أى خالصا لله لايشوبه شرك ، فلا يكون عابدا مع الله غيره أو معلقا رجاءه بغيره" وفى ذلك دلالة على أن المرء لاينتفع بعمله إلا إذا فعله على وجه العبادة فى الإخلاص

---

١) انظر : تفسير الطبرى ، جـ١ ، ص ٣٩٣.
٢) انظر : تفسير القرطبى ، جـ١ ، ص ٤٣٦.
٣) تفسير أبى السعود ، جـ١ ، ص ١٧٦.
٤) سورة القصص . ٨٨.
٥) سورة الليل. ٢٠.
٦) تفسير القرطبى ، جـ١ ، ص ٤٣٦.
٧) انظر : تفسير الرازى ، جـ٤ ، ص ٤.
٨) تفسير الطبرى ، جـ١ ، ص ٣٩٣.

والقربة "[١] .

أما قوله تعالى فى الآيتين : ( وَهُوَ مُحْسِن ) فهو إشارة إلى الشرط الثانى من شروط العبادة المقبولة وهو الحسن الذاتى فى العمل أو فعل الحسنات واجتناب السيئات أو العمل الصالح ، فالمقصود واحد من هذه العبارات . ومقياس العمل هو القرآن والسنة فلا بد من موافقة العمل أو العبادة للأحكام التى شرعها الله تعالى وبينها نبيه الكريم .

قال ابن جرير فى معنى قوله تعالى (وَهُوَ مُحْسِن ) ، أى " وهو عامل بما أمره به ربه محرم حرامه ومحلل حلاله "[٢] .

وقال الرازى : " أى لابد وأن يكون تواضعه لله بفعل حسن لا بفعل قبيح ، فإن الهند يتواضعون لله لكن بأفعال قبيحة "[٣] ، فالرازى هنا يشير إلى الحسن الذاتى فى العمل.

وقال أبوالسعود : ( وَهُوَ مُحْسِن ) أى " آت بالحسنات تارك للسيئات "[٤] وإلى مثل هذا القول ذهب الشيخ الجاوى[٥] .

فالإيمان ليس مجرد تصور حقيقى للألوهية ، فلا بد من العمل بل والعمل الحسن ، فالإيمان ولاء وعمل ، ولاء لله وسلوك بمقتضى هذا الولاء[٦] .

قال تعالى : ( وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ )[٧] . وفى تعدية الفعل "يسلم" بحرف الجر "إلى" بدلا من اللام كما فى قوله تعالى (أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ) " فى هذا إشارة إلى أن فى هذا الإسلام معاناة وصراعا

١) تفسير الرازى ، جـ٤ ، ص ٤٠ .
٢) تفسير الطبرى ، جـ٥ ، ص ١٩٠ .
٣) تفسير الرازى ، جـ٤ ، ص ٤٠ .
٤) تفسير أبى السعود ، جـ١ ، ص ٥٨٨ .
٥) تفسير مراح لبيد ، جـ١ ، ص ١٧٦ .
٦) انظر : التفسير القرآنى للقرآن ، جـ٢ ، ص ٩١١ .
٧) سورة لقمان . ٢٢ .

داخليا في كيان الإنسان حتى إن المرء ليقود نفسه ويدفعها دفعا إلى الله وذلك ما كان في أول الإسلام حيث كان المسلمون تحت ظروف قاسية قاهرة "[١] .

العبادة تسع الحياة كلها :

والإسلام قد فسح مجال العبادة ووسع دائرتها فكل عمل اجتماعي نافع يعده الإسلام من أعظم العبادات مادام فاعله قاصدا للخير لا للثناء والسمعة .

بل إن عمل الإنسان في معاشه عبادة ، فالزارع في حقله والعامل في مصنعه والتاجر في متجره والموظف في مكتبه وكل ذي حرفة في حرفته يستطيع أن يجعل من عمله المعاشي صلاة وجهادا في سبيل الله إذا التزم الشروط الآتية[٢] :

١) أن يكون العمل مشروعا : أما الأعمال التي ينكرها الدين فهي كالعمل في الربا والحانات والمراقص وغيرها .

٢) أن تصحبه النية الصالحة ، ونية المسلم في عمله المعاشي إعفاف نفسه وإغناء أسرته ونفع أمته وعمارة الأرض .

٣) أن يؤدي العمل بإتقان وإحسان . قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه "[٣] .

٤) أن يلتزم فيه حدود الله فلا يظلم ولايخون ولايجور على حق غيره .

٥) ألا يشغله عمله الدنيوي عن واجباته الدينية .

حتى أعمال الغريزة وقضاء الشهوة يدخله الإسلام في دائرة العبادات بشرط واحد وهو النية .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : " وفي بضع[٤] أحدكم صدقة قالوا ، أيأتي أحدنا

---

١) التفسير القرآني للقرآن ، جـ٦ ، ص ٥٧٩ .
٢) انظر : العبادة في الإسلام ، ص ٦١ - ٦٢ .
٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، باب نصح الأجير وإتقان العمل ، جـ٤ ، ص ٩٨ .
٤) البضع : الجماع أو الفرج نفسه .

شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال : أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر ؟ قالوا : نعم . قال : كذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر "(١).

فالإنسان يأكل ويشرب ليقوى بدنه على أداء الطاعات وهذا عبادة. كما يباشر زوجته أداء لحقها وإحصانا لفرجه وهذا عبادة. ومن رحمة الله تعالى أنه يثيب الإنسان على مافيه قضاء شهوته .

ومما يحسن الإشارة إليه أن العبادة تعنى الخضوع الكامل لشرع الله وأحكامه "فمن أدى الشعائر وصلى وصام وحج واعتمر ولكنه رضى أن يحتكم فى شؤون حياته الخاصة والعامة أو فى شؤون المجتمع والدولة إلى غير شرع الله وحكمه فقد عبد غير الله وأعطى غيره ما هو خالص حقه سبحانه "(٢).

مما تقدم يتضح أن الإحسان شرط فى قبول العبادة ولقد وضح الباحث أن المراد من الإحسان الذى هو شرط فى قبول العبادة الإخلاص ، والحسن الذاتى فى العمل . ويعرف الحسن الذاتى فى العمل بموافقته للأحكام الشرعية المأخوذة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

ولكن الإحسان يطلق ويراد منه أيضا الحسن الوصفى فى العمل اللازم للحسن الذاتى .

عن عمر بن الخطاب قال : بينما نحن عند رسول الله ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لايرى عليه أثر السفر ولايعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يامحمد أخبرنى عن الإسلام فقال رسول الله : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا

---

١) صحيح مسلم كتاب الزكاة ، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف حديث ٥٣ ، جـ٢ ، ص ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، وأخرجه أحمد فى مسنده ، جـ٥ ، ص ١٦٧ ، ١٦٨ .

٢) العبادة فى الإسلام ، ص ٥٤.

رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ، قال : صدقت • قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه • قال : فأخبرنى عن الإيمان قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت • قال : فأخبرنى عن الإحسان قال " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " قال : فأخبرنى عن الساعة• قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل • قال : فأخبرنى عن أماراتها قال : أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاة يتطاولون فى البنيان "• قال ثم انطلقت فلبثت مليا ثم قال لى ياعمر أتدرى من السائل ؟ قلت الله ورسوله أعلم قال " فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم "[(١)] •

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " دليل على حقيقة الإحسان وهى "الإتيان بالعمل على الوجه اللائق وهو حسنه الوصفى التابع لحسنه الذاتى "[(٢)] •

قال الحافظ ابن حجر : " وإحسان العبادة الإخلاص فيها والخشوع وفراغ البال حال التلبس بها ومراقبة المعبود "[(٣)] •

وقال القرطبى : "الإحسان هو إتقان العبادة ومراعاتها بآدابها المصححة والمكملة ومراقبة الحق فيها واستحضار عظمته وجلاله حالة الشروع وحالة الإستمرار "[(٤)] •

## حقيقة الإحسان ومراتبه

إن للعبد فى عبادته ثلاثة مقامات :

" الأول : أن يفعلها على الوجه الذى يسقط معه التكليف أى مستوفاة الشرائط

---

١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ، حديث رقم ١ ، جـ ١ ، ص ٣٧ ، روى نحوه البخارى ، فتح البارى ، كتاب الإيمان ، باب ٣٧ ، جـ١ ، ص ١٤٠•

٢) تفسير أبى السعود ، جـ١ ، ص ١٧٦•

٣) فتح البارى ، جـ١ ، ص ١٤٦•

٤) تفسير القرطبى ، جـ٦ ، ص ٣٧٨٣•

والأركان.

الثانى : أن يفعلها كذلك وقد غلب عليه أن الله تعالى يشاهده وهذا هو مقـــــام المراقبة .

الثالث: أن يفعلها كذلك وقد استغرق فى بحار المكاشفة حتى كأنه يرى الله وهــو مقامه صلى الله عليه وسلم كما قال : " وجعلت قرة عينى فى الصلاة"(١) "(٢) .

" وكل من المقامات الثلاثة إحسان ، إلا أن الإحسان الذى هو شرط فى صحة العبادة هو الأول ، لأن الإحسان بالمقامين الأخيرين إنما هو من صفة الخواص ، وخواص الخواص "(٣) .

فقوله صلى الله عليه وسلم : " أن تعبد الله كأنك تراه " إشارة إلى مقام المكاشفة وتلك أعلى درجات العبادة ، لأننا لو قدرنا أن أحدنا قام فى عبادة وهو يعايـــن ربه سبحانه وتعالى لم يترك شيئا مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت إلا أتى به .

وقوله صلى الله عليه وسلم " فإن لم تكن تراه فإنه يراك " نزول عن المكاشفة الـى مقام المراقبة ، أى إن لم تعبده وأنت من أهل الرؤية المعنوية " التى هى المكاشفــة " فاعبده وأنت بحيث تستشعر أنه يراك .

" وإذا كانت مجالسة الصالحين مانعة من التلبس بشىء من النقائص إحترامـــا لهم واستحياء منهم كان إحساس العبد بدوام اطلاع الله عليه فى سره وعلانيتـــه دافعا إلى الإخلاص والإتمام "(٤) .

تأويل باطل:

أقدم بعض غلاة الصوفية على تأويل معنى الإحسان الوارد فى حديث جبريــل

---

١) مسند الإمام أحمد ، جـ٣ ، ص١٢٨ ، ١٩٩ ، ٢٨٥ ، وأخرجه النسائى فى سننه ، كتاب عشـــرة النساء ، باب حب النساء ، جـ٧ ، ص ٦١ .
٢) فتح المنعم ، شرح صحيح مسلم ، جـ١ ، ص ٤٠ .
٣) المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٤١ .
٤) نفس المصدر ، جـ١ ، ص ٤١ .

على غير وجهه. فقالوا فيه إشارة إلى مقام المحو والفناء وتقديره فإن لم تكن - أى فان لم تصر - شيئا وفنيت عن نفسك حتى كأنك ليس بموجود فإنك حينئذ تراه .

ولقد بين ابن حجر فساد هذا التأويل فقال : " وغفل قائل هذا - للجهل بالعربية عن أنه لو كان المراد ما زعم لكان قوله "تراه" محذوف الألف لأنه يصير مجزوما لكونه على زعمه جواب الشرط، ولم يرد فى شيء من طرق هذا الحديث بحذف الألف ومن ادعى أن اثباتها فى الفعل المجزوم على خلاف القياس فلا يصار إليه إذ لاضرورة هنا . وأيضا فلو كان ما ادعاه صحيحا لكان قوله "فإنه يراك" ضائعا لأنه لا ارتباط له بما قبله "(١) .

إن الغاية التى من أجلها خلق الإنسان هى العبادة ، ولذلك وجب على الإنسان أن يحسن الأداء ويتقنه ، وأن يطلب العون من الله تعالى على الأداء الحسن فإن أعظم الدعاء وأفضله ما كان فيه طلب العون من الله على الأداء الحسن المتقن للعبادة .

فقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ : " يامعاذ والله إنى لأحبك فلا تنس أن تقول فى دبر كل صلاة اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك "(٢) .

إن الإحسان الواجب ليس قاصرا على العبادات المتمثلة فى الصلاة والزكاة والصيام والحج والدعاء والنذر ... ونحوها . بل إنه مطلوب فى كل عمل يقوم به الإنسان .

فقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته "(٣) .

---

١) فتح البارى ، جـ١ ، ص ١٤٧ .

٢) سنن النسائى ، كتاب السهو ، باب نوع آخر من الدعاء ، حديث ١٣٠٣ ، بنحوه ، جـ٣، ص٥٣ .

٣) صحيح مسلم ، كتاب الصيد والذبائح ، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة ، حديث ٥٧ ، جـ٣ ، ص ١٥٤٨ .

" قد يغلب على الظن أن الرحمة وحدها هى المقصود من الحديث ولكن الأمر ليس كذلك فالمقصود هو الإحسان، والرحمة صورة من صور الإحسان، ( إن الله كتب الإحسان على كل شئ ) و الإحسان هنا هو الأداء الحسن الأداء الكامل الأداء المتقن الأداء الجميل "(١) . فعلى الإنسان أن يتحرى الإحسان فى كل عمل وفى كل فكرة وفى كل شعور .

" إن الله سبحانه وتعالى عندما نشر أبناء آدم فوق الثرى وناط بهم رسالة الحياة كلفهم - كى يكونوا ربانيين- أن يحسنوا العمل وأن يبلغوا به درجة الكمال و إذا غلبتهم طباعهم الضعيفة فلم يصلوا إلى هذا الشأن كرروا المحاولات ولم يستريحوا إلى نقص أو قصور ولايزالون يجاهدون حتى يبلغوا بأعمالهم درجة الكمال المستطاع "(٢) .

فإذا كان الإنسان فى محرابه وجب عليه إتقان الصلاة و أدائها على نحو يكفل تحقيق الهدف المرجو منها ، وهو البعد عن الفحشاء والمنكر .
قال تعالى : ( وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ... )(٣) . ولهذا ثبت فى الصحيح عن أنس " دخل النبى صلى الله عليه وسلم المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال ما هذا الحبل ، قالوا : هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لا حلوه ليصل أحدكم نشاطه ، فإذا فتر فليقعد "(٤) .
كما ثبت أيضا عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه فلم يدر ما يقول فليضطجع "(٥) .
فحرص الرسول صلى الله عليه وسلم أن تؤدى الصلاة فى وقت نشاط الإنسان ويقظته

١) قبسات من الرسول ، ص ١٠٤ .
٢) المحاور الخمسة للقرآن الكريم ، ص ١٩٥ .
٣) سورة العنكبوت . ٤٥ .
٤) صحيح البخارى ، كتاب التهجد ، باب مايكره من التشديد فى العبادة ، جـ١ ، ص ٣٨٦ .
٥) سنن ابن ماجة كتاب إقامة الصلاة ، باب ما جاء فى المصلى إذا نعس ، حديث ١٣٧٢ ، جـ١ ، ص ٤٣٧ .

وأعلن عن عدم رضائه عن تأديتها في حال كسل الإنسان أو غفوته لأن تأديتها حينئذ لايحقق الغاية منها . فلا بد من تحقيق المعيار الذى يرتضيه الدين .

قال حسن الترابى : " والإحسان فى العمل هو أن يقارب شروطه المثلى ، شأن الحسن فى كل شئ ، وأحسن العمل أقربه إلى كمال تحقيق المعيار الذى يقتضيه الدين "(١) .

وإذا كان الإنسان فى مصنعه وجب عليه أن يتقن صناعته وأن يعتنى بنوع العمل وجودته قبل العناية بكمه وكثرته ، ومن المعلوم أن إتقان العمل وسيلة لترويج ما يصنع وأبقى على دوام العمل لمن يعمل.

وإذا كان الإنسان فى ميدان الجهاد فعليه أن يبذل ما يستطيعه من أجل بناء الجيش وتحسين وضعه التكنولوجى . فالأمم لاتخدم رسالتها بالبخل وكراهية الإنفاق فى سبيل الله والحروب قديما وحديثا تتطلب مالا كثيرا .

قال تعالى : ( وَأَنْفِقُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلَاتُلْقُوا بِأَيْدِيكُم إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِين )(٢) .

إنه لن يسلم للعرب ولجمهور المسلمين دينهم ولن تبقى لهم بلادهم إلا إذا توسعوا فى الإنفاق الحربى وأحسنوا تهيئة كل شئ لكسب المعركة ويشهد لذلك قوله تعالى : ( وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وإِسْرَافَنا فِى أَمْرِنَا وثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِين فَآتاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيا وحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ واللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِين )(٣) .

وكذلك " مطلوب من المثقف والطبيب والموجه والمرشد أن يتقن كل منهم عمله بأن يقوم به على نحو يحقق فائدته "(٤) ولايتم ذلك إلا إذا عمل المثقف على

---

١) الإيمان ، أثره فى حياة الإنسان ، د /حسن الترابى ، ص ١٠٣ ، منشورات العصر الحديث ،ط٢ ١٩٨٤م.
٢) سورة البقرة. ١٩٥.
٣) سورة آل عمران. ١٤٧ ، ١٤٨.
٤) الإسلام فى حياة المسلم ، د /محمد البهى ، ص ٢٢٠ ، ط٥ ، مطبعة الإستقلال الكبرى ، الناشر مكتبة وهبة .

إفهام من يثقفه . والطبيب على إنقاذ من يمرضه ، والموجه على هداية من يوجهه. إن الإنسان إذا باشر عمله وهو خامل وأقبل عليه دون مبالاة بنتائجه أسفر ذلك عن فساد عظيم ( وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ )(١) ، بل إن الله تعالى نهى عن الفساد فقال: ( وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ )(٢) .

"والفساد المكروه له مظاهر شتى أولها الخروج عن سنن الله الكونية والإجتماعية ومعالجة الشؤون الخاصة والعامة بالهوس والقصور ، وقد يبدأ ذلك بأمور تافهة مثل ترك صنبور الماء مفتوحا دون سبب أو مكسورا دون إصلاح أو ترك خلل طارئ ليصبح عاهة مستديمة أو شرر محقور ليتحول إلى حريق مستعرة"(٣) .

فالأداء الحسن مطلوب فى كل شئ حتى فى قضاء الضرورة ، فإذا أراد الإنسان قضاء حاجته فعليه أن يقوم بأدائها على الوجه الذى يليق بإنسانيته. عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " لايتناجى اثنان على غائطهما ينظر كل واحد منهما على عورة صاحبه ، فإن الله يمقت ذلك "(٤) .

كما ثبت عن جابر بن عبدالله عن النبى صلى الله عليه وسلم : " إتقوا الملاعن الثلاث البراز فى الموارد وقارعة الطريق والظل "(٥) .

كما ثبت أيضا عن أبى أيوب الأنصارى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :" إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولاتستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا "(٦) .

---

١) سورة البقرة. ٢٠٥.
٢) سورة القصص. ٧٧.
٣) المحاور الخمسة للقرآن الكريم ، ص ١٩٨.
٤) سنن ابن ماجة ، كتاب الطهارة ، وسننها ، باب النهى عن الإجتماع على الخلاء والحديث عنده ، حديث ٣٤٢ ، جـ١ ، ص ١٢٣.
٥) سنن أبى داود ، كتاب الطهارة ، باب المواضع التى نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن البول فيها ، جـ١ ، ص ٢٨.
٦) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الصلاة ، باب ٢٩ ، رقم الحديث ، جـ١ ، ص ٥٩٤.

والهدف من هذه الأحاديث واحد وهو تهذيب القيام بهذه الضرورة فالدين إن لم يكن إرتفاعا بمستوى الإنسان فماذا يكون ٠

**سؤال وجوابه:**

قد يثار سؤال مفاده : إذا كان الدين كله عبادة - كما يقول ابن تيمية[(١)] - فلماذا قسم الفقهاء أحكام الشرع إلى "عبادات" و "معاملات" ؟ ٠

والجواب : إن هذا التقسيم إصطلاحى فنى وهو طابع للتأليف العلمى ، ولقد قصد العلماء بهذا التقسيم التفريق بين نوعين من الأحكام :

الأول : يضم الصور والكيفيات المحدودة التى شرعها الله تعالى ليقرب عباده إليه بأدائها ، فالشارع هو المنشئ لها وليس للعباد فيها إلا التلقى والتنفيذ ٠

أما الثانى : فهو يشمل الأحكام التى تنظم علاقات الناس بعضهم ببعض فى حياتهم ومعايشهم ومبادلاتهم ، فهذه العلاقات والنشاطات لم ينشئها الشرع بل هى موجودة قبله ومهمة الشارع هنا أن يعدّلها ويهذبها ويقرر الصالح منها ويمنع الفاسد الضار[(٢)] ٠

---

١) انظر : ص ٩٣ من هذا البحث ٠

٢) انظر : العبادات فى الإسلام ، ص ٦٩ - ٧٠ ، الحلال والحرام فى الإسلام ، د /يوسف القرضاوى ، ص ٢١ - ٢٢ ، ط٧ ، المكتب الإسلامى ، ١٣٩٣هـ ، ١٩٧٣م٠

## المبحث الثاني

## الإحسان في مجال الدعوة إلى الله

### معنى الدعوة في اللغة والإصطلاح

الدعوة لغة : " من الدعاء إلى الشيء بمعنى الحث على قصده "[١] .

قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام : ( رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ )[٢]

أي أن السجن أحب إليّ من الوقوع في الفاحشة التي تدفعني إليها امرأة العزيز .

وقال : ( وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ )[٣] أي يحث على قصد طريق السلامة من المكاره والأمن من جميع المخاوف .

الدعوة في الإصطلاح : " هي إنقاذ الناس من ضلالة أو شر واقع أو تحذيرهم من أمر يخشى عليهم الوقوع في بأسه "[٤] .

إن الإنسان لايخلو من حالين : الأول : الوقوع الفعلي في الضلال أو الشر وهو في هذه الحالة يحتاج إلى من ينتشله من هذا الضلال أو الشر إلى الهدى والخير . وهذا هو الهدف الأول من أهداف الدعوة .

أما الثاني : فهو مقاربة الوقوع في الضلال أو الشر، وفي هذه الحالة يحتاج الإنسان إلى من يذكره ويعظه حتى لايقع في الضلال أو الشر وهذا هو الهدف الثاني من أهداف الدعوة.

---

١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ، ص ١٧٢ ، هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ، للشيخ علي محفوظ ، ص ١٧، طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت، بدون تاريخ.

٢) سورة يوسف. ٣٣ .

٣) سورة يونس. ٢٥ .

٤) كتاب " أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة" د /مصلح سيد بيومي ، ص ١٣، المكتبة التوفيقية ، ط٣ ، ١٣٧٩هـ - ١٩٧٩م.

أهمية الدعوة إلى الله

إن الدعوة إلى الله هى مهمة الرسل والأنبياء ، فالرسل والأنبياء هم سفراء الله إلى الخلق .

ولما كان محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والرسل فان الله تعالى كلف العلماء من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بمهمة الأنبياء . وهى الدعوة الى الله .

( وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا )[١] ومهمة الداعية شاقة وعظيمة لأن الداعية مبلغ عن الله وأمين على دينه. لذلك وجب على الداعية أن يعد نفسه لهذه المهمة وأن يكون مستشعرا لثقلها وأعبائها .

" فالدعوة إلى الله هى الدعوة إلى دينه واتباع هداه وتحكيم منهجه فى الأرض"[٢] .

الدعوة إلى الله ليست خطبا ومواعظ:

لقد قرّ فى نفوس كثير من الدعاة الرسميين أن الدعوة مقصورة على الخطب والمواعظ ، ولذلك كانوا فاشلين فى دعوتهم وذلك لأنهم أغفلوا جانبا عظيما من جوانب الدعوة وهو الإحسان .

"وإحسان الدعوة إلى الله يقتضى تنفيذ أمرآخر ( وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُم )[٣] ورأس الإعداء التخطيط أو وضع المناهج "[٤] .

والمراد من المنهج أو المنهاج فى الإصطلاح " الخطة أو التخطيط " اللازم لشيء ما"[٥] .

---

١) سورة البقرة . ١٤٣ .

٢) ثقافة الداعية ، د /يوسف القرضاوى ، ص٦، طبعة الإتحاد الإسلامى العالمى للمنظمات الطلابية ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

٣) سورة الأنفال . ٦٠ .

٤) مناهج الدعوة وأساليبها ، د /على جريشة ، ص ٧، دار الوفاء للطباعة والتوزيع والنشر ،ط١ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م .

٥) المصدر السابق، ص ١٦ .

ولقد وضح الإسلام المناهج التى ينبغى أن يسير على هداها المسلم، فالقرآن ذاته منهج وداخله مناهج، والسنة ذاتها منهج وداخلها مناهج والسيرة منهج ومراحلها المختلفة مناهج.

إن القرآن الكريم والسنة المطهرة والسيرة النبوية لهى من أهم موارد الداعية ومصادره.

وسوف يتعرض الباحث إلى بعض المناهج- من القرآن والسنة- التى ترسم للداعية طريقه.

قال تعالى: ( وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا )(١).

قال أهل الحقيقة(٢): "إنه على العموم وذلك أن كلام الناس مع الناس فى الأمور الدينية إن كان بالدعوة إلى الإيمان وجب أن يكون بالرفق واللين كما قال تعالى لموسى: (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا )(٣) وقال لمحمد : (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)(٤)، وإن كان بالدعوة إلى الطاعة كالفساق فحسن القول أيضا معتبر ( ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ )(٥).

وأما فى الأمور الدنيوية فمن المعلوم أنه إذا أمكن التوصل إلى الغرض باللطيف من القول لم يعدل إلى غيره وما دخل الرفق فى شئ إلا زانه وما دخل الخرق فى شئ إلا شانه فثبت أن جميع آداب الدين والدنيا داخل تحت هذا القول".

إن اللسان أداة البيان وترجمان القلب والوجدان فهو رابطة أفراد النوع الإنسانى وبريد عقله وواسطة تفاهمه(٦).

---

١) سورة البقرة. ٨٣.
٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابورى، جـ١، ص ٣٢٦.
٣) سورة طه. ٤٤.
٤) سورة آل عمران. ١٥٩.
٥) سورة النحل. ١٢٥.
٦) انظر: تفسير ابن باديس، ص ١٧١.

والكلام السيء قاطع لأواصر الأخوة باعث على البغضاء والنفرة . والمؤمنون مطالبون بالقول الحسن سواء كان ذلك فيما بينهم أو بينهم وبين غيرهم .

قال تعالى : ( وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا )(١) .

مناسبة الآية:

" كان المشركون يؤذون المسلمين فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل ( وقل لعبادي يقولوا ....) يعني للكفار ( الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) أي لايكافئوهم على سفههم بل يقولوا لهم يهديكم الله "(٢) ومثل ذلك " إن التروى عند القول واجتناب السيء واختيار الأحسن ضروري لسعادة العباد وهنائهم وما كثرت الخلافات وتشعبت الخصومات وتنافرت المشارب وتباعدت المذاهب حتى صار المسلم عدو المسلم والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : " المسلم أخو المسلم "(٣) إلا بتركهم هذا الأدب وتركهم للتروي عند القول والتعمد السيء بل للأسوأ في بعض الأحيان "(٤) .

عن معاذ بن جبل : أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بأعمال تدخله الجنة ثم قال له : " ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت : بلى يارسول الله ، فأخذ بلسانه وقال كف عليك هذا ، قلت : يارسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ قال ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم "(٥) .

إن المسلمين مطالبون بقول ( الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) على وجه الإطلاق فيختاروا

---

١) سورة الاسراء . ٥٣ .

٢) مختصر تفسير الخازن ، ج٢ ، ص ٧٥٢ ، انظر : تفسير التحرير والتنوير لسماحة الشيخ العلامة الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، ج٤ ، ص ٢٨٩ ، الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م .

٣) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب المؤاخاة ، ج٥ ، ص ٢٠٢ ، وأخرجه البخاري في المظالم (١٦٨/٣) باب لايظلم المسلم المسلم ، ومسلم في البر ، حديث ٢٥٨٠ ، باب تحريم المظالم والترمذي في الحدود ، حديث ١٤٢٦ ، باب الستر على المسلم وقال ( حسن صحيح غريب ) .

٤) تفسير ابن باديس ، ص ١٧٥ .

٥) مسند الإمام أحمد ، ج٥ ، ص ٢٣١ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، وأخرجه الترمذي ، كتاب الإيمان ، باب ٨ .

أحسن ما يقال ليقولوه . وبذلك يتقون أن يفسد الشيطان ما بينهم من مودة ( إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ) يتلمس سقطات فمه وعثرات لسانه فيغرى بها العداوة والبغضاء بين المرء وأخيه والكلمة الطيبة تسد عليه الثغرات وتقطع عليه الطريق وتحفظ حرم الأخوة آمنا من نزغاته ونفثاته [(١)].

ولقد كان محمد صلى الله عليه وسلم مثالا يحتذى فى القول الحسن وتجنب الفاحش.عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : " لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم سبابا ولافحاشا ولا لعانا ، كان يقول لأحدنا عند المعتبة ماله تربت جبينه "[(٢)].

كما كان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو الكفار إلى الإسلام ويحاججهم دون سب أو شتم . " لأن ذكر الحجة لو اختلط به شئ من السب والشتم لقابلوكم بمثله كما قال : ( وَلاتَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ )[(٣)] ، ويزداد الغضب وتتكامل النفرة ويمتنع حصول المقصود أما إذا وقع الإقتصار على ذكر الحجة بالطريق الأحسن الخالى من الشتم والإيذاء أثر فى القلب تأثيرا شديدا"[(٤)]

إن كلمة الدعوة هى أحسن كلمة تقال فى الأرض ولكن مع العمل الصالح الذى يصدق الكلمة ومع الإستسلام لله الذى تتوارى معه الذات . قال تعالى : ( وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِين )[(٥)].

مناسبة الآية:

لقد حكى الله تعالى فى صدر سورة فصلت عن المشركين قولهم ( قُلُوبُنَا فِى أَكِنَّةٍمماتَدْعُونا إِلَيْه )[(٦)] حيث إنهم أظهروا الجحود وعدم التأثر بدعوة محمد صلى

---

١) انظر : فى ظلال القرآن ، جـ٤ ، ص ٢٢٣٤.
٢) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الأدب ، باب لم يكن النبى فاحشا .. ، جـ١٠ ، ص٤٦٧.
٣) سورة الأنعام. ١٠٨.
٤) تفسير الرازى ، جـ٢٠ ، ص ٢٣١.
٥) سورة فصلت. ٣٣.
٦) فصلت. ٥.

الله عليه وسلم ، ثم حكى عنهم شبهة أخرى وهى قولهم ( لَاتَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ )[١] . وأجاب عنه بالوجوه الكثيرة ، ثم إنه تعالى بعد الإطناب فى الجواب رغب محمدا صلى الله عليه وسلم فى أن لايترك الدعوة إلى الله فابتدأ أولا بأن قال : ( إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا .. ) فلهم الثواب العظيم ثم ترقى عن تلك الدرجة إلى درجة أخرى وهى أن الدعوة إلى الله من أعظم الدرجات[٢] .

فوائـــــد :

١) قوله تعالى : ( وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا ) فيه إشارة صريحة إلى أن الداعية لايتأثر الناس بكلامه إلا إذا كان أول العاملين به.

٢) قوله تعالى : ( وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِين ) تفيد أن الإعتزاز بالدين عمل صالح " ولكنه خص بالذكر لأنه أريد به غيظ الكافرين ومثال هذا ماوقع يوم أحد حين صاح أبوسفيان : أُعل هبل . فقال النبى صلى الله عليه وسلم قولوا : " الله أعلى وأجل" فقال أبوسفيان : لنا العزى ولاعزى لكم فقال النبى صلى الله عليه وسلم قولوا " الله مولانا ولامولى لكم " "[٣] .

درء السيئة بالحسنة :

قال تعالى : ( إِدْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُون )[٤] . وقال: (وَلَاتَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيم )[٥] .

---

١) سورة فصلت. ٢٦.
٢) انظر : تفسير الرازى ، جـ٢٧ ، ص ١٢٨.
٣) تفسير التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، جـ٢٤ ، ص ٢٨٨ ، ٢٨٩.
٤) سورة المؤمنون. ٩٦.
٥) سورة فصلت . ٣٤ـ ٣٥.

إستهدفت الآيات السابقة بث روح التسامح والرفق وحسن المعاشرة والتعامل فـــى نفس المسلم ونبهت إلى ماتؤدى إليه من تبديل العداء إلى صداقة والجفاء إلى تواصل[(١)] " ودرء السيئة بالحسنة يكون غالبا فى المعاملة الشخصية بين المتماثلين فأمـــا فى دين الله فلا. إن المستعلى الغاشم لايجدى معه إلا الدفع الصارم والمفسدون فـــى الأرض لايجدى معهم إلا الأخذ الحاسم، والتوجيهات القرآنية متروكة لتدبـــر المواقف واستشارة الألباب والتصرف بما يرجح أنه الخير والصواب "[(٢)].

فقد لايجدى الإحسان مع الشر وفى هذه الحالة لابد من قمع الشر ودفعه لئلا ينتفش ويتجرأ أو يستعلى.

قال ابن عاشور : " والإحسان كمال ذاتى ولكنه قد يكون تركه محمودا فـــى الحدود ونحوها فذلك معنى خاص، والكمال مطلوب لذاته فلا يعدل عنه ما استطاع مالم يخش فوات كمال أعظم "[(٣)].

قالت عائشة : " ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه فى شىء قـط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم بها لله "[(٤)]. وقد ورد فى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ولايدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وقد قيل إن ذلك وصفه فى التوراة "[(٥)].

إنه من حق الإنسان إذا أسىء إليه أن يرد السيئة بالسيئة قال تعالى : ( وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا )[(٦)] ثم عقب على ذلك بقوله ( فَمَنْ عَفَا وأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّه )[(٧)].

---

١) انظر : الدستور القرآنى والسنة النبوية فى شئون الحياة، د /محمد عزة دروزة، ص ٣٥١، طبعة عيسى البابى الحلبى، ط٢.

٢) فى ظلال القرآن، جـ٤، ص ٢٠٥٨، انظر : نفس المصدر، جـ٥، ص ٣١٢٢.

٣) تفسير التحرير والتنوير، جـ٢٤، ص ٢٩٢.

٤) فتح البارى، صحيح البخارى، كتاب الأدب، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا، جـ١٠، ص ٥٤١، وأخرجه فى الفضائل، باب مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام، جـ٢، ص ١٨١٣.

٥) انظر : تفسير التحرير والنوير، جـ٢٤، ص ٢٩٢.

٦) سورة الشورى. ٤٠.

٧) سورة الشورى. ٤٠.

" فرد السيئة بمثلها ليس حسنا ولاسيئا . والعفو عن السيئة حسن وأحسن من هذا الحسن أن ترد السيئة بالحسنة ، فهذه درجات ثلاث والمؤمن بالخيار وخير المؤمنين من أخذ بالدرجة الثالثة وهى دفع السيئة بالحسنة "(١) .

عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " ليس أحد - أو ليس شئ - أصبر على أذى سمعه من الله ، إنهم ليدعون له ولدا ، وإنه ليعافيهم ويرزقهم "(٢) .

إن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم مليئة بالشواهد على إحسانه إلى من أساء إليه وحسبنا أن نذكر هنا موقفه فى أحد وقد أثخنه المشركون جراحا فما زاد صلوات الله وسلامه عليه على أن قال : " اللهم اهد قومى فإنهم لايعلمون"، ثم حسبنا أن نذكر موقفه يوم الفتح وقد أصبح المشركون فى قبضته وفيهم كثيرون ممن آذوه بالقول والعمل . بل إن فيهم وحشيا قاتل عمه حمزة ، وقد لقى الرسول الكريم هؤلاء المشركين بالصفح الجميل وقال لهم قولته " إذهبوا فأنتم الطلقاء "(٣) .

عاقبة الإحسان إلى المسئ :

( فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيم )(٤) .

" إن المؤمن الكامل ينبغى له أن يفوض أمر المعتدين عليه إلى الله فهو يتولى الإنتصار لمن توكل عليه. وإنه إن قابل السيئة بالحسنة كان انتصار الله أشفى لصدره وأرسخ فى نصره "(٥) .

---

١) التفسير القرآنى للقرآن ، جـ٦ ، ص ١٣١٧.
٢) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الأدب ، باب الصبر فى الأذى وقول الله تعالى ( إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ) ، جـ١٠ ، ص ٥٢٧.
٣) انظر : التفسير القرآنى للقرآن ، جـ٦ ، ص ١٣١٨ .
٤) سورة فصلت. ٣٤.
٥) تفسير التحرير والتنوير ، جـ١٨ ، ص ١٢٠.

فإذا أصر المسيء على إساءته فسوف يتولى الله الإنتصار منه لعبده المؤمن. ولكن الإحسان إلى المسيء يعقبه فى كثير من الأحيان وقف المسيء عن الإساءة أو استقامته.

إنه بالاحسان إلى المسيء تنطفيء نار الفتنة التى كان يمكن أن تشتعل من احتكاك السيئة بالسيئة ، ثم إن هذا المسيء الذى يتوقع الإساءة ممن أساء إليه إذا وصله إحسان من أساء إليه سوف يذل وينقاد (١).

## أساليب الدعوة إلى الله

قال تعالى : ( ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ )(٢).

جعل الله سبحانه وتعالى مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق ، فالمستجيب القابل الذى لايعاند الحق يدعى بطريق الحكمة ، والقابل الذى عنده نوع غفلة يدعى بالموعظة الحسنة وهى الأمر والنهى المقرون بالترغيب والترهيب والمعاند الجاحد بالتى هى أحسن (٣).

وأما ما ذكره بعض المتأخرين : أن الحكمة هى طريق البرهان والموعظة الحسنة هى طريق الخطابة والمجادلة بالتى هى أحسن ... طريق الجدل ، فالأول بذكر المقدمات البرهانية كمن لايرضى إلا بالبرهان وهم الخواص. والثانى بذكر المقدمات الخطابية التى تثير رغبة ورهبة لمن يقنع بالخطابة وهم الجمهور . والثالث بذكر المقدمات الجدلية للمعارض الذى يدفع بالجدل وهم المخالفون ، فتنزيل للقرآن على غير وجهه وهو مبنى على أصول الفلسفة وقوانين أهل المنطق اليونانى (٤).

---

١) انظر : التفسير القرآنى للقرآن ، جـ٦ ، ص ١٣١٧.

٢) سورة النحل. ١٢٥.

٣) انظر : التفسير القيم ، ص ٣٤٤.

٤) انظر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، للإمام السلفى العلامة ابن قيم الجوزية (٦٩١ـ ٧٥١)، تحقيق محمد حامد الفقى ، جـ١ ، ص ٤٤٦ ، دار الكتاب العربى ، بيروت ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م ، التفسير القيم ، ص ٣٤٤.

"ولقد أطلق سبحانه وتعالى الحكمة فى قوله : ( أُدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ) ولم يقيدها بوصف الحسنة إذ كلها حسنة ووصف الحسن لها ذاتى وأما الموعظة فقيدها بوصف الإحسان، إذ ليس كل موعظة حسنة، وكذلك الجدال قد يكون بالتى هى أحسن وقد يكون بغير ذلك"(١).

"ومن الدعوة بالحكمة مراعاة مقتضى الحال ومخاطبة كل قوم بما يعرفون وأخذهم بالرفق والتلطف واختيار الوقت المناسب للموعظة التى يراد وعظهم بها حتى تتقبل النفوس وتنتفع بما فيها من خير "(٢).

ثبت فى الصحيح عن عبدالله بن مسعود قال : "كان النبى صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة فى الأيام كراهة السآمة علينا "(٣)، أى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يراعى الأوقات فى تذكير الصحابة كراهة للمشقة الطارئة على الصحابة.

التعريف بالحكمة : إن مدلولات الحكمة فى القرآن الكريم والسنة المطهرة يمكن إرجاع معظمها إلى معنيين : أولهما العلم ، وثانيهما فعل الصواب.

قال الفخر الرازى : " واعلم أن الحكمة لايمكن خروجها عن هذين المعنيين - يعنى العلم وفعل الصواب - وذلك لأن كمال الإنسان فى شيئين : أن يعرف الحق لذاته والخير لأجل العمل به ، فالمرجع بالأول إلى العلم والإدراك المطلق وبالثانى إلى فعل العدل والصواب فحكى عن إبراهيم عليه السلام ( رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا ) وهى الحكمة النظرية ( وَأَلْحِقْنِى بِالصَّالِحِينَ )(٤) الحكمة العملية "(٥).

---

١) مدارج السالكين ، جـ١ ، ص ٤٤٥.
٢) التفسير القرآنى للقرآن ، جـ٤ ، ص ٣٩٨ ، انظر : فى ظلال القرآن ، جـ٤ ، ٢٢٠٢.
٣) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب العلم ، باب ماكان النبى صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة ، جـ١ ، ص ١٩٥ ، مسند الحميدى ، حديث رقم ١٠٧ ، جـ١ ، ص ٦٠.
٤) سورة الشعراء ٠ ٨٣.
٥) تفسير الفخر الرازى ، جـ٧ ، ص ٧٣.

عن مقاتل أنه قال " تفسير الحكمة فى القرآن على أربعة أوجه[(١)] :

أحدهـا : مواعظ القرآن . قال تعالى : ( وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ "[(٢)]، يعنى مواعظ القرآن.

وثانيها : الحكمة بمعنى الفهم والعلم . قال تعالى : ( وآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا )[(٣)] وقال: ( ولَقَدِ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَة )[(٤)] يعنى الفهم والعلم .

وثالثها : الحكمة بمعنى النبوة . قال تعالى : ( فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ والْحِكْمَة )[(٥)] . وقال : ( وآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَاب )[(٦)] فالحكمة فى الآيتين السابقتين النبوة.

ورابعها : الحكمة القرآن بما فيه من عجائب وأسرار. قال تعالى : ( أُدْعُ إلىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَة )[(٧)]، وقال : ( ومَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدِ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرا )[(٨)] .

فالوجوه السابقة جميعها ترجع إلى العلم .

وأما الحكمة بمعنى فعل الصواب فحدها التخلق بأخلاق الله تعالى بقدر الطاقة البشرية.

<u>الخلاصة :</u>

فالحكمة هى العلم والعمل أو وضع كل شئ فى موضعه أو إتقان القول والعمل قال الزمخشرى " والحكيم عندالله هو العالم العامل"[(٩)] . وعلى هذا فالحكمة من

---

١) انظر : تفسير الفخر الرازى ، جـ٧ ، ص٧٣.
٢) سورة البقرة. ٢٣١.
٣) سورة مريم. ١٢.
٤) سورة لقمان. ١٢.
٥) سورة النساء . ٥٤.
٦) سورة ص . ٢٠.
٧) سورة النحل. ١٢٥.
٨) سورة البقرة. ٢٦٩.
٩) الكشاف للزمخشرى ، جـ١ ، ص ٣٩٦.

أعظم ما يمتلكه الإنسان، وهى جديرة بالتنافس من أجل تحصيلها • عن ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " لاحسد ،إلا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها الناس "(١) •

<u>كيفية إكتساب الحكمة:</u>

الحكمة فضل الله يؤتيه من يشاء ( يُؤتِى الحِكمَةَ مَنْ يَشَاء )(٢) (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ )(٣) لكن على الإنسان الذى يطلب الحكمة أن يأخذ بالأسباب التى تستأهله لفضل الله وذلك مثل التقوى - قال تعالى : ( واتَّقُوا اللَّهَ ويُعَلِّمُكُمُ اللَّه)(٤) • والتعلم ، والتجربة الشخصية • والله أعلم •

<u>صور من الحكمة:</u>

للحكمة صور ثلاثة وهى(٥) :

حكمة فى السلوك : نراها من خلال آيات الإسراء وآيات لقمان •

حكمة فى المواقف : نراها من خلال مواقف الأنبياء والسابقين •

حكمة فى القول : نراها هى المقصودة بالموعظة الحسنة • والله أعلم •

وسوف يتناول الباحث هذه الصور الثلاثة بشىء من البيان •

أولا: حكمة السلوك: قال تعالى فى سورة الإسراء :

( لاتَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولاً وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ

---

١) صحيح البخارى ، كتاب الزكاة ، باب إنفاق المال فى حقه ، جـ٢ ، ص ٥١١ ، وأخرجه مسلم فى صحيحه ،كتاب صلاة المسافرين باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ، حديث ٢٦٨ ، جـ١ ، ص ٥٥٩ •
٢) سورة البقرة • ٢٦٩ •
٣) سورة لقمان • ١٢ •
٤) سورة البقرة • ٢٨٢ •
٥) مناهج الدعوة وأساليبها ، ص ١٤٣ •

وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاتَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ، واخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا · رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ، وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ والْمِسْكِينَ وابْنَ السَّبِيلِ وَلاتُبَذِّرْ تَبْذِيرًا · إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوانَ الشَّيَاطِينِ وكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا · وإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوها فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُورًا ، وَلاتَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاتَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ، إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ، ولاتَقْتُلوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا · وَلاتَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وسَاءَ سَبِيلاً ، وَلاتَقْتُلوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطانًا فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا · وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كانَ مَسْئُولاً · وأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ، وَلاتَقْفُ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ والْبَصَرَ والْفُؤادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً · وَلاتَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ ولَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً · كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا · ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلاتَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا )(١) ·

فقد إحتوت الآيات السابقة على "اثنتى عشرة وصية فيها اثنتا عشرة حكمة سبع بالسلب وخمس بالايجاب ، تبدأ بنهى وتنتهى بنهى مؤكدة عليه نفسه "(٢) ·

**ثانيا : حكمة فى المواقف:**

"الدعوة بالموقف كالدعوة بالسلوك تدفع المدعو إلى التوقف كثيرا وربما تكون

---

١) سورة الإسراء · ٢٢ـ ٣٩ ·

٢) مناهج الدعوة وأساليبها ، ص ١٤٥ ·

نقطة التحول فى حياته ولذا كان للأنبياء مواقف وكان للصحابة مواقف وكـــان للتابعين والدعاة مواقف فيها الحكمة التى جوهرها العلم والحلم"(١).

وسيتعرض الباحث لبعض هذه المواقف :

١) مواقف الحكمة من سيرة إبراهيم عليه السلام:

أ )موقفه مع أبيه : إنه موقف الداعى الذى يحاول تليين قلب أبيه الكافـــر بكل أسلوب ، لقد كان إبراهيم حريصا على انتشال أبيه من الكفر أو النار باعتبار ما يؤول إليه الكفر ، غير أن أباه أصر على كفره.

قال تعالى : ( وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَايَسْمَعُ وَلَايُبْصِرُ وَلَايُغْنِى عَنْكَ شَيْئًا . يَا أَبَتِ إِنِّى قَدْ جَاءَنِى مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِى أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا . يَا أَبَتِ لَاتَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا . يَا أَبَتِ إِنِّى أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا . قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِى يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِى مَلِيًّا . قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّى إِنَّهُ كَانَ بِى حَفِيًّا . وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّى عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّى شَقِيًّا )(٢).

ب) موقفه من النمرود : قال تعالى : ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِى رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِى وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَاللَّهُ لَايَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ )(٣).

٢) مواقف الحكمة من سيرة خاتم الأنبياء :

أ) تصرفه مع عبدالله بن أبى بن سلول الذى قال:"لئن رجعنا إلى المدينـــة

---

١) مناهج الدعوة وأساليبها ، ص ١٥٠.

٢) سورة مريم. ٤١ـ ٤٨.

٣) سورة البقرة. ٢٥٨.

ليخرجن الأعز منها الأذل " واستأذن ابنه عبدالله رسول الله فى قتله فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لايقال إن محمدا يقتل أصحابه [(١)].

ب) "ولما جاء الخبر لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب أن بني قريظة نقضت عهدها أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم السعدين [(٢)] لتبين الأمر وقال لهما : إن كان حقا فالحنوا إلىّ لحنا أعرفه ، ولاتفتوا فى أعضاد الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به " [(٣)].

جـ) تصرفه صلى الله عليه وسلم مع الأعرابى الذى بال فى المسجد ، لم يعنفه ولم يعاتبه بل وأبى أن يقطع الصحابة عليه بولته . وقال " دعوه وأهريقوا على بوله ذنوبا من الماء أو سجلا من ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين" [(٤)].

د) تصرفه مع الشاب الذى جاء يقول له أريد أن أزنى يارسول الله،فلم يسبه ولم يعنفه إنما خاطبه خطابا هينا " أترضاه لأمك ؟ ... أترضاه لأختك ؟... أترضاه لابنتك؟ ..." [(٥)].

هـ) عفوه عن المشركين الذين طالما آذوه وصحابته بالقول والفعل. فحينما دخل مكة فاتحا تجمع الناس من حوله وقد ملكهم الخوف ، ثم قال لهم : ماتظنون أنى فاعل بكم . قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم . قال : " فاذهبوا فأنتم الطلقاء" [(٤)]

---

١) انظر : السيرة النبوية لابن هشام ، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا وإبراهيم الأبيارى وعبدالحفيظ شبلى ، جـ٣ ، ص ٣٠٥ ، دار القلم ، بيروت ، بدون تاريخ.

٢) سعد بن معاذ بن النعمان سيد الأوس وسعد بن عبادة بن دليم سيد الخزرج.

٣) السيرة النبوية ، لابن هشام ، جـ٣ ، ص ٢٣٢

٤) صحيح البخارى ، كتاب الأدب ، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم يسرو ولاتعسروا ، جـ٥ ، ص ٢٢٧٠ ، وأخرجه بنحوه مالك فى الموطأ ، كتاب الطهارة ، باب ما جاء فى البول قائما ، حديث ١١٤ ، ص ٥٣ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

٥) مسند الإمام أحمد ، جـ٥ ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧.

٤) انظر : السيرة النبوية ، لابن هشام ، جـ٤ ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

ثالثا : حكمة القول : أو الموعظة الحسنة:

" والموعظة يراد بها أمران : " الأمر والنهى المقرونان بالرغبة والرهبة ونفس الرغبة والرهبة ، فالمنيب المتذكر شديد الحاجة إلى الأمر والنهى، والمعرض الغافل شديد الحاجة إلى الترغيب والترهيب "(١).

وليس كل موعظة حسنة ولذلك حث الله تعالى على ضرورة تحرى " الموعظة الحسنة " التى تدخل إلى القلوب برفق وتتعمق المشاعر بلطف ، لا بالزجر ، والتأنيب فى غير موجب ولا بفضح الأخطاء التى قد تقع عن جهل أو حسن نية فإن الرفق فى الموعظة كثيرا ما يهدى القلوب الشاردة ويؤلف القلوب النافرة ويأتى بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ "(٢).

المجادلة بالتي هي أحسن

الجدل لغة : " اللدد والخصومة ، والأصل فيه القوة يقال حبل مجدول إذا كان مفتولا من حبلين ولهذا سمى الصقر أجدل لقوته وشدته "(٣).

" والجدل فى القرآن : يعنى المحاورة قصدا إلى إظهار الحق ( وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ )(٤). فهو مقيد فى الغاية ومقيد فى الوسيلة. مقيد فى الغاية بأن يكون الحق غايته . مقيد فى الوسيلة أن تكون الحسنى وسيلته "(٥).

والجدل قسمان محمود ومذموم ونستطيع أن نفرق بين القسمين بالنظر فى الغاية

---

١) مدارج السالكين ، جـ١ ، ص ٤٤٥.
٢) فى ظلال القرآن ، جـ٤ ، ص ٢٢٠٢.
٣) انظر : التفسير القرآنى للقرآن ، جـ٦ ، ص ٤٤٣.
٤) سورة النحل. ١٢٥.
٥) مناهج الدعوة وأساليبها ، ص ١٦١ .

الباعثة على الجدل ، والوسيلة.

فإن كانت الغاية حقا فالجدل محمود وإلا فهو مذموم . وإن كانت الوسيلة حسنة كان الجدال محمودا وإلا كان مذموما.

وقوله تعالى : ( وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) بيان لمرحلة من مراحل الدعوة وهى المرحلة التالية للدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، فالمسلم مطالب بأن يعرض دعوته فى أسلوب من الحكمة والموعظة الحسنة فإذا تقبل المدعوون دعوته فى هذا الأسلوب فذاك . وإن كان عناد وجدال فلا يلقى المسلم المعاندين المجادلين معاندا مجادلا فذلك من شأنه أن يعمى عن الحق وأن يسد المنافذ الموصلة إليه . " وقد أرى الله سبحانه وتعالى النبى المثل الأعلى فيما يلقى به المجادلين حين أجابه سبحانه وتعالى عن سؤال إلى المشركين عن الأهلة فقال تعالى : ( يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ )[1] . ففى هذا الجواب الحكيم دعوة للمشركين أن ينصرفوا عن هذا الجدل العقيم حول الأهلة وكيف تبدو صغيرة ثم تكبر ثم تعود صغيرة إلى ما فى هذه الأهلة ودورتها من آثار يتعرفون بها المواقيت لأمور الدين والدنيا جميعا "[2] .

" هذا هو منهج الدعوة ودستورها مادام الأمر فى دائرة الدعوة باللسان والجدل بالحجة فأما إذا وقع الإعتداء على أهل الدعوة فإن الموقف يتغير فالإعتداء عمل مادى يدفع بمثله إعزازا لكرامة الحق ودفعا لغلبة الباطل "[3] .

نموذج للجدال من القرآن الكريم

قال تعالى : ( وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ،

---

١) سورة البقرة . ١٨٩ .
٢) التفسير القرآنى للقرآن ، جـ٤ ، ص ٣٩٩ .
٣) فى ظلال القرآن ، جـ٤ ، ص ٢٢٠٢ .

قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ. الَّذِى جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ، أَوَلَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ . إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ )[١].

جدال أهل الكتاب :

قال تعالى : ( وَلَاتُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُم )[٢].

إن أى عقل سَلِمَ من آفات الهوى لايجد سبيلا إلى المجادلة فى آيات الله بل يستجيب لها . أما من كان فى قلبه مرض فلن يذعن للحق .

ولما كان المجادلون من أهل الكتاب إنما يجادلون فى حق يعرفونه فخير موقف يتخذ معهم فى المسائل التى تثار حول الدين عقيدة وشريعة هو الإعراض وترك الجدال لأن الجدال فى هذا المقام عقيم وإن ولد شيئا فإنما يلد دخانا ينعقد فى سماء الحق ويشغل القائمين على رسالته عما هو أنفع وأجدى [٣].

" أما الذين ظلموا من أهل الكتاب بالإفراط فى الإعتداء والعناد أو بإثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة فإنه يجب حينئذ المدافعة بما يليق بحالهم " [٤].
قال تعالى : ( إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُم )[٥].

---

١) سورة يس. ٧٨ - ٨٢.
٢) سورة العنكبوت. ٤٦.
٣) انظر : التفسير القرآنى للقرآن ، جـ٦ ، ص ٤٤٣.
٤) تفسير أبى السعود ، جـ٤ ، ص ٢٦٢.
٥) سورة العنكبوت . ٤٦ .

## المبحـــث الثـــالـــث

## الإحســـان في مجـــال البر والصلة

ويشتمل هذا المبحث على تمهيد وعشرة مطالب وهى :

المطلب الأول : الإحسان إلى الوالدين ، والثانى الإحسان إلى الزوجة ، والثالث الإحسان إلى الأبناء ، والرابع الإحسان إلى ذى القربى ، والخامس الإحسان إلى اليتامى ، والسادس الإحسان إلى الفقراء والمساكين ، والسابع الإحسان إلى الجيران ، والثامن الإحسان إلى الضيوف ، والتاسع الإحسان إلى الخدم ، والعاشر الإحسان إلى ابن السبيل .

### تمهيـــــــد :

" كل إنسان فى المجتمع الإنسانى مدعو فى شريعة الإسلام إلى أداء حقوق لمجتمعه ، يبدأ فيها بأبويه ثم بذوى قرابته ثم باليتامى والمساكين ثم بالجيران من ذوى قرابته ثم الجيران ممن لا قرابة لهم ثم الأصدقاء ثم أبناء السبيل ثم الأرقاء "(١) .

قال تعالى : ( وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا )(٢) .

ومن الملاحظ فى هذه الآية وفى آيات كثيرة غيرها أن التوجيه إلى البر يبدأ بذوى القربى ثم يمتد منها إلى رعاية الأسرة الإنسانية الكبيرة ، وهذا المنهج يتفق مع الفطرة ويساندها . فعاطفة الرحمة تبدأ فى الأسرة الصغيرة ثم تتسع . والنفس أميل إلى البدء بالأقربين - فطرة وطبعا - ولابأس من ذلك(٣) .

---

١) التفسير القرآنى للقرآن ، جـ٢ ، ص ٧٨٨ .
٢) سورة النساء . ٣٦ .
٣) انظر : فى ظلال القرآن ، جـ٢ ، ص ٦٦٠ .

وبالإضافة إلى الحقوق الخاصة فقد فرض الإسلام على كل مسلم حقوقا عامة لاتقتضيها قرابة وإنما تفرضها الأخوة الإسلامية العامة.

قال تعالى : ( وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ )(١) . والمراد أنهم يرعون " جميع حقوق الناس بالشفقة عليهم والنصيحة لهم فى كل حال وكل حين ومن ذلك عيادة المريض وشهود الجنائز ومراعاة الرفقاء والجيران والخدم ومن يطيف به حتى الهرة والدجاجة "(٢) . قال تعالى : ( مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ )(٣) ، وقال : ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ )(٤) .

والسنة النبوية المطهرة زاخرة بالأحاديث التى تؤكد الحقوق العامة بين جميع المسلمين .

عن عبدالله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولايسلمه ، من كان فى حاجة أخيه فإن الله فى حاجته ومن فرّج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة "(٥) .

كما صح عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى "(٦) .

كما صح عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " المؤمن للمؤمن كالبنيان

---

١) الرعد . ٢١.
٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، جـ١٣ ، ص ٨٢.
٣) الفتح . ٢٩.
٤) الحجرات . ١٠.
٥) سنن أبى داود ، كتاب الأدب ، باب المؤاخاة ، جـ٥ ، ص ٢٠٢ . وأخرجه البخارى فى المظالم ( ٣/١٦٨ ) باب لايظلم المسلم المسلم ، ومسلم فى البر ، حديث ٢٥٨٠ ، باب تحريم المظالم والترمذى فى الحدود ، حديث ١٤٢٦ ، باب الستر على المسلم وقال ( حسن صحيح غريب ).
٦) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب تعاون المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ، جـ٤ ، ص١٩٩٩ كما أخرجه الحميدى فى مسنده بنحوه ، حديث ٩١٩ ، جـ٢ ، ص ٤٠٩.

يشد بعضه بعضا" ثم شبك بين أصابعه "[(١)].

هذه الأحاديث صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه.

وسوف يتناول الباحث هذه الحقوق بشيء من البيان :

قال الغزالي في حقوق العبد :

" هي أن تسلم عليه إذا لقيته وتجيبه إذا دعاك وتشمته إذا عطس وتعوده إذا مرض وتشد[(٢)] جنازته إذا مات وتبر قسمه عليك وتنصح له إذا استنصحك وتحفظه بظهر الغيب إذا غاب عنك وتحب له ماتحب لنفسك وتكره له ماتكره لنفسك"[(٣)].

والأحاديث الشريفة التي تشهد للغزالي كثيرة :

عن البراء رضي الله عنه قال : " أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع ، أمرنا بعيادة المريض واتباع الجنائز وتشميت العاطس وإجابة الداعي ورد السلام ، ونصر المظلوم وإبرار القسيم ، ونهانا عن سبع : عن خاتم الذهب أو قال: حلقة الذهب ، وعن لبس الحرير والديباج والسندس والمياثر[(٤)] "[(٥)].

أما كيفية التشميت فقد صح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله وليقل له أخوه أو صاحبه ، يرحمك الله ، فإذا قال له يرحمك الله فليقل يهديكم الله ويصلح بالكم "[(٦)].

---

١) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا ، ج٥ ، ص ٢٢٤٢ ، كما أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ، ج٤ ، ص ١٩٩٩.

٢) أظنه يريد : وتشهد.

٣) مكاشفة القلوب ، المقرب إلى حضرة علام الغيوب في علم التصوف ، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ( ت ٥٠٥ هـ ) ، ص ٣٣٧ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٤) المياثر : وطاء محشو يترك على رحل البعير تحت الراكب.

٥) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب تشميت العاطس إذا حمد ، ج٥ ، ص ٢٢٩٨.

٦) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب إذا عطس كيف تشمته ، ج٥ ، ص ٢٢٩٨.

كما حث رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين على حسن الخلق، بما تعنيه هذه الكلمة من معان رفيعة سامية .

عن عبدالله بن عمرو أنه ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : "لم يكن فاحشا ولا متفحشا وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن من خياركم أحاسنكم أخلاقا "(١) .

عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أنها قالت : " ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثما ، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله عز وجل "(٢) .

كما صح عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إن الرفق لايكون فى شىء إلا زانه ولاينزع من شىء إلا شانه "(٣) .

ومن عظيم أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم أنه نهى أن يبلغه أحد بشىء يكرهه عن بعض أصحابه لأجل أن يلقاهم سليم الصدر .

عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لايبلغنى أحد من أصحابى عن أحد شيئا فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر "(٤) .

---

١) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب المناقب ، باب صفة النبى ، جـ٦ ، ص ٦٥٤ ، وأخرجه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب كثرة حيائه صلى الله عليه وسلم ، جـ٤ ، ص ١٨١٠ .

٢) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب المناقب ، باب صفة النبى ، جـ٦ ، ص ٦٥٤ ، وأخرجه مسلم فى كتاب الفضائل ، باب مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام واختياره من المباح أسهله ، جـ٤ ، ص ١٨١٣ .

٣) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب فضل الرفق ، جـ٤ ، ص ٢٠٠٤ .

٤) سنن أبى داود ، كتاب الأدب ، باب رفع الحديث من المجلس ، جـ٥ ، ١٨٣ ، وأخرجه الترمذى فى المناقب ، حديث ٣٨٩٣ ، باب فضل أزواج النبى صلى الله عليه وسلم.

كما نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الإيذاء العام :

عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إياكم والجلوس بالطرقات • قالوا : يارسول الله ما بدّ لنا من مجالسنا نتحدث فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن أبيتم فأعطوا الطريق حقه " قالوا : وما حق الطريق يارسول الله ؟ قال : " غض البصر ، وكفّ الأذى ، ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر "[(١)] •

كما صح عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إتقوا اللعانين[(٢)] قالوا : وما اللعانان يارسول الله ؟ قال : " الذى يتخلى فى طريق الناس أو فى ظلهم "[(٣)] •

كما صح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " لايبولن أحدكم فى الماء الدائم ثم يغتسل منه "[(٤)] •

ومن الواضح لنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن التغوط فى طريق الناس أو فى ظلهم نظرا للضرر العام المترتب على ذلك ، كما أنه كذلك نهى عن البول فى الماء الراكد كماء الترع التى يغتسل منها الناس نظرا للضرر الواقع • ولقد أكدت البحوث العلمية أن سبب انتشار مرض البلهارسيا فى مصر هو قضاء الحاجة فى الترع • ولو أنهم عملوا بوصية الرسول لما أهلكت البلهارسيا الألوف منهم •

---

١) سنن أبى داود ، كتاب الأدب ، باب فى الجلوس على الطرقات ، ج٥ ، ص ١٦٠ ، وأخرجه البخارى فى المظالم ( ١٧٣/٣ ) باب أفنية الدور والجلوس عليها وفى الإستئذان (٦٣/٨ ) ، باب لاتدخلوا بيوتا ، ومسلم فى اللباس ، حديث ٢١٢١ ، باب النهى عن الجلوس فى الطرقات •

٢) اللعانين : الأمرين الجالبين للعن ، الحاملين الناس عليه وذلك لأن من فعلهما شتم ولعن : أى عادة الناس لعنه •

٣) صحيح مسلم ، كتاب الأدب ، باب النهى عن التخلى فى الطرق والظلال ، ج١ ، ص ٢٢٦ •

٤) صحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، باب النهى عن البول فى الماء الراكد ، ج١ ، ص ٢٣٥ •

كما صح عن عبدالله بن مغفل المزني (١) قال: نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الخذف وقال إنه لايقتل الصيد ولاينكأ العدو وإنه يفقأ العين ويكسر السن" (٢).

كما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أحاديث يحث فيها على عدم الخصام والهجران وعلى إفشاء السلام وإطعام الطعام.

عن أبي أيوب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لايحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان، فيعرض هذا ويصد هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام " (٣).

كما صح عن عبدالله بن عمرو أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم أي الإسلام خير؟ قال: " تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف " (٤).

فالآداب العامة التي يفرضها حق الأخوة في الدين أمر الإسلام ببقائها حتى بعد موت الفرد، فالإحسان إلى الإنسان لاينقطع بموته بل يبقى.

عن جابر بن عبدالله أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب يوما فذكر رجلا من أصحابه قبض فكفن في كفن غير طائل (٥)، وقبر ليلا فزجر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقبر الرجل بالليل حتى يصلى عليه إلا أن يضطر إنسان إلى ذلك وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه" (٦).

وإذا دُفن الميت فمن حقه على إخوانه أن يذكروا محاسنه ويترحموا عليه.

عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم " (٧).

---

١) عبدالله بن مغفل المزني، له كنيتان أبو سعيد وأبوزياد نسبة إلى ولديه سعيد وزياد، وهو من مشاهير الصحابة. وهو أحد البكائين في غزوة تبوك، شهد بيعة الشجرة، سكن البصرة ومات بها سنة تسع وخمسين وقيل سنة ستين. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٤، ص١٣٢.

٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب النهي عن الخذف، جـ٥، ص ٢٢٩٧.

٣) صحيح البخاري، كتاب الإستئذان، باب السلام للمعرفة وغير المعرفة، جـ٥، ص ٢٣٠٢.

٤) صحيح البخاري، كتاب الإستئذان، باب السلام للمعرفة وغير المعرفة، جـ٥، ص٢٣٠٢.

٥) غير طائل: أي حقير غير كامل الستر.

٦) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب في تحسين كفن الميت، جـ٢، ص ٦٥١.

٧) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب النهي عن سب الموتى، جـ٥، ص ٢٠٧، وأخرجه الترمذي في الجنائز، حديث ١٠١٩.

## المطلب الأول

## الإحسان إلى الوالدين

قال تعالى : ( وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا )[١]

والمراد من قوله تعالى ( وقضى ) " أمر وألزم وأوجب "[٢] على عباده بتوحيد عبادته ثم أتبع هذا الأمر بالوصية بالإحسان إلى الوالدين وذلك لعظيم حقهما على الأبناء. " ولأنهما السبب الظاهر في وجود المتولد بينهما "[٣].

ولقد وجه سبحانه وتعالى وصيته بالوالدين في سبع[٤] سور من كتابه الكريم. وهي كلها تدور حول كلمة واحدة وهي " الإحسان بهما ".

"والإحسان كلمة فذة تجمع إلى حسن القول والبر حسن القلب والعاطفة "[٥]

وتقدير نظم آية الإسراء هكذا " وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه، وبأن تحسنوا للوالدين إحسانا " لكنه سبحانه حذف "وأن تحسنوا " لوجود ما يدل عليه وهو "إحسانا " وفي تنكيره إفادة للتعظيم فهو إحسان عظيم في القول والفعل والحال[٦].

قرن الإحسان للوالدين بتوحيد عبادة الله وعدم الشرك

قال تعالى : ( وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ

---

١) سورة الإسراء. ٢٣.

٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم، جـ٦، ص ٣٨٥٥.

٣) فتح القدير للشوكاني، جـ٣، ص ٢١٨.

٤) سورة البقرة. ٨٣، النساء. ٣٦، الأنعام. ١٥١، الإسراء. ٢٣، العنكبوت. ١٨، لقمان. ١٤، الأحقاف. ١٥.

٥) من توجهات الإسلام، ص ٢٣٠.

٦) انظر : تفسير ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير للإمام العلامة عبدالحميد بن باديس، ص٩٦، دار الفكر، ط٢، جمع وترتيب وإعداد وتعليق : محمد الصالح رمضان، توفيق محمد شاهين.

إِحْسَانًا )[١] ، وقال : ( وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا )[٢] ، وقـــال :
( قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا )[٣] .
وقال : ( وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا )[٤] .

وكما جاء هذا الجمع فى باب الأمر فى القرآن كذلك جاء الجمع بينهما فى السنة فى باب النهى وكبر المعصية .

ففى الصحيح عن أبى بكرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا : بلى يارسول الله ، قال ثلاثا : الإشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال : ألا وقول الزور ، وشهادة الزور ألا وقول الزور وشهادة الزور ، فمازال يكررها حتى قلت ليته سكت "[٥] .

إن الله سبحانه وتعالى جعل أهمية الإحسان إلى الوالدين بعد توحيده وعبادته وذلك لوجوه منها[٦] .

١) أنهما سبب وجود الولد كما أنهما سبب التربية فلا إنعام بعد إنعام الله تعالى أعظم من إنعام الوالدين .

٢) ومنها أن إنعامهما يشبه إنعام الله تعالى من حيث إنهما لايطلبان بذلك ثناء ولا ثوابا .

٣) ومنها أنه تعالى لايمل إنعامه على العبد وإن أتى بأعظم الجرائم فكذا الوالدان لايقطعان عنه مواد كرمهما وإن كان غير بار بهما .

---

١) سورة البقرة . ٨٣ .
٢) سورة النساء . ٣٦ .
٣) سورة الأنعام . ١٥١ .
٤) سورة الإسراء . ١٤ .
٥) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الأدب ، باب عقوق الوالدين من أكبر الكبائر ، جـ١٠ ، ص ٤١٩ ، وأخرجه مسلم فى الإيمان ، باب بيان الكبائر وأكبرها ، حديث ١٤٣ ، جـ١ ، ص٩١ .
٦) انظر : تفسير الرازى ، جـ٣ ، ص١٧٧ ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، جـ١ ، ص ٣٢٣ ، تفسير ابن باديس ، ص ٩٥ .

٤) ومنها أنه لا كمال للولد إلا ويطلبه الوالد لأجله، كما أنه تعالى لايرضى لعباده إلا الخير ، ومن غاية شفقة الوالدين أنهما لايحسدان ولدهما إذا كان خيرا منهما ، بخلاف غيرهما فإنه لايرضى أن يكون غيره خيرا منه.

علة تخصيص الأولاد بالوصاية على الوالدين

لقد خص الله سبحانه وتعالى الأولاد بالوصاية على الآباء وذلك لأن الوالدين يندفعان بالفطرة إلى رعاية الأولاد ، أما الأولاد فسرعان ما ينسون ماقدمه الآباء لهم وسرعان ما يندفعون إلى الأمام إلى الزوجات والذرية .

قال سيد قطب :" إن الوالدين يندفعان بالفطرة إلى رعاية الأولاد ، إلى التضحية بكل شئ حتى بالذات ، وكما تمتص النابتة الخضراء كل غذاء في الحبة فإذا هي فتات ، ويمتص الفرخ كل غذاء في البيضة فإذا هي قشر كذلك يمتص الأولاد كل رحيق وكل عافية وكل جهد وكل اهتمام من الوالدين فإذا هما شيخوخة فانية - إن أمهلهما الأجل- وهما مع ذلك سعيدان"[1].

فالله سبحانه وتعالى وصى بالإحسان إلى الآباء ولم يقل في كتابه " وبالأبناء إحسانا " فالوالدان يندفعان بالفطرة إلى رعاية الأبناء ومن ثم لايحتاج الآباء إلى توصية بالأبناء إنما يحتاج هؤلاء إلى استجاشة وجدانهم بقوة ليذكروا واجب الجيل الذى أنفق رحيقه كله حتى أدركه الجفاف[2].

إن لحب الوالدين منبعان : أحدهما : حنان فطرى أودعه الله فيهما لإتمام حكمته . وثانيهما : التفاخر بالأولاد والأمل بالإستفادة منهم في المستقبل[3].

---

١) في ظلال القرآن ، جـ٤ ، ص ٢٢٢١.
٢) انظر : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٦٦٠ ، جـ٤ ، ص ٢٢٢١.
٣) انظر : تفسير المنار ، جـ١ ، ص ٣٠٤.

## المراد من الإحسان للوالدين

والمراد من الإحسان إلى الوالدين على وجه الإجمال " أن يحبهما من صميم القلب ويراعى دقائق الأدب والخدمة والشفقة ويبذل وسعه فى رضاهما قولا وفعلا ولايمنع أعز أوقاته وكرائم أمواله عنهما ويجتهد فى تنفيذ وصاياهما ويذكرهما فى صالح دعائه "(١).

وبر الوالدين من أعظم الأعمال التى نتقرب بها إلى الله تعالى.

عن عبدالله بن مسعود قال: " سألت النبى صلى الله عليه وسلم أى العمل أحب إلى الله عز وجل؟ قال: الصلاة على وقتها قال: ثم أى؟ قال: ثم بر الوالدين. قال: ثم أى؟ قال: الجهاد فى سبيل الله "(٢).

" وتعظيم الوالدين أمر معتبر فى جميع الشرائع ومركوز فى كل العقول "(٣).

ومهما قدم الإنسان لوالديه من البر والإحسان فإنه لايكافىء إحسان والديه إليه وذلك لأن إحسانهما إليه كان على سبيل الإبتداء وفى الأمثال المشهورة " إن البادىء بالبر لايكافأ "(٤).

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لايجزى ولد والده إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه "(٥).

---

١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، جـ١، ص ٣٢٤، انظر: تفسير الرازى، جـ١٠، ص ٩٨.

٢) فتح البارى، صحيح البخارى، كتاب الأدب، باب البر والصلة، جـ١٠، ص ٤١٤، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، جـ١، ص ٩٠.

٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، جـ١، ص ٣٢٤.

٤) التفسير المنير لمعالم التنزيل، جـ١، ص ٤٧٦.

٥) صحيح مسلم، كتاب العتق، باب فضل عتق الوالد، جـ٢، ص ١١٤٨، وأخرجه أبوداود، فى كتاب الأدب، باب فى بر الوالدين، جـ٥، ص ٣٥٠، والترمذى فى البر، حديث ١٩٠٧، باب فى حق الوالدين وقال ( هذا حديث حسن صحيح ) وابن ماجة فى الأدب، حديث ٣٦٥٩، باب بر الوالدين.

والمراد من الحديث أنه لايقوم ولد بما لأبيه عليه من حق ولايكافئه بإحسانه إلا أن يصادفه مملوكا فيعتقه .

**وجوب الإحسان إلى الوالدين مسلمين كانا أو كافرين:**

فبر الوالدين لايختص بأن يكونا مسلمين بل إن كانا كافرين يبرهما ويحسن اليهما [1] .

قال تعالى : ( لاَيَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ ) [2] .

قال الشيخ ابن باديس : " وفى تعليق الحكم -وهو الأمر بالإحسان- بلفظ الوالدين المشتق من الولادة إيذان بعليتهما فى الحكم ، فيستحقان الإحسان بالوالدية سواء كانا مؤمنين أم كافرين ، بارين أو فاجرين محسنين إليه أو مسيئين " [3] .

" فصفة الوالدية تقتضى هذا الإحسان بذاتها بدون حاجة إلى أية صفة أخرى " [4]

قال تعالى : ( وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ) [5] . فأمر بمصاحبتهما بالمعروف على كفرهما .

عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها قالت : " قدمت علىّ أمى وهى مشركة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : إن أمى قدمت وهى راغبة ، أفأصل أمي ؟ قال : نعم صلى أمك " [6] .

---

١) انظر : تفسير القرطبى ، جـ٦ ، ص ٣٨٥٥ .
٢) سورة الممتحنة . ٨ .
٣) تفسير ابن باديس ، ص ٩٦ .
٤) فى ظلال القرآن ، جـ٦ ، ص ٣٢٦١ .
٥) لقمان . ١٥ .
٦) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الهبة ، باب الهدية للمشركين ، جـ٥ ، ص٢٧٥ ، وأخرجه مسلم بنحوه فى كتاب الزكاة ، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين ، جـ٢ ، ص ٦٩٦ .

ولقد ذكر فخر الدين الرازى إتفاق أكثر العلماء على أنه يجب تعظيم الوالدين وإن كانا كافرين وذلك لوجوه (١) .

أحدهـا : أن قوله " وبالوالدين إحسانا غير مقيد بكونهما مؤمنين أم لا .

وثانيهـا : أن الله تعالى حكى عن إبراهيم تلطفه فى دعوة أبيه من الكفر إلى الإيمان فى قوله :( يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَالَا يَسْمَعُ وَلَايُبْصِرُ وَلَايُغْنِى عَنْكَ شَيْئًا )(٢) . مـع أن أباه كان يؤذيه. وإذا ثبت ذلك فى حق إبراهيم عليه السلام ثبت مثله فى حق هذه الأمة .

قال تعالى : ( ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا )(٣) .

وثالثهـا : ( وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا )(٤) فصرح ببيان السبب فى وجوب هذا التعظيم وهو تربية الولـيد ورعايته .

قال الشيخ محمد رشيد رضا : " والعلة الصحيحة فى وجوب هذا الإحسان على الولد هى العناية الصادقة التى بذلاها فى تربيته والقيام بشئونه أيام كان ضعيفـا عاجزا جاهلا لايملك لنفسه نفعا ،ولايملك أن يدفع عنها ضرا "(٥) .

قال تعالى : ( وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ، وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ )(٦) .

<u>مناسبة الآية:</u>

روى الترمذى أنها نزلت فى سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه وأمـه

---

١) انظر : تفسير الرازى ، جـ٣ ، ص ١٧٧ .
٢) سورة مريم. ٤٢ .
٣) سورة النحل. ١٢٣ .
٤) سورة الإسراء . ٢٤ .
٥) تفسير المنار ، جـ١ ، ص ٣٠٣ .
٦) سورة العنكبوت. ٨ .

حمنة بنت أبى سفيان، وكان بارا بأمه فقالت له : ماهذا الدين الذى أحدثت؟ والله لا آكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ماكنت عليه أو أموت، فتتعير بذلك أبد الدهر، يقال : يا قاتل أمه، ثم إنها مكثت يوما وليلة لم تأكل ولم تشرب فجاء سعد إليها وقال : يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ماتركت دينى فكلى إن شئت وإن شئت فلا تأكلى، فلما أيست منه أكلت وشربت، فأنزل الله هذه الآية آمرا بالبر بالوالدين والإحسان إليهما وعدم طاعتهما فى الشرك"[١].

كما أنزل سبحانه وتعالى ( وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى الدُّنْيَا مَعْرُوفًا )[٢].

والآية السابقة دليل على صلة الأبوين الكافرين بما أمكن من المال، وإلانة القول، والدعاء إلى الإسلام برفق[٣].

" وهكذا انتصر الإسلام على فتنة القرابة والرحم واستبقى الإحسان والبر. وإن المؤمن معرضة لمثل هذه الفتنة فى كل آن فليكن بيان الله وفعل سعد هما راية النجاة والأمان "[٤].

وفى قوله تعالى : ( مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ )"إشارة إلى أن مالا يعلم صحته لايجوز اتباعه وإن لم يعلم بطلانه فكيف بما علم بطلانه "[٥].

**الحُسْنُ والإحسان:**

ولسائل أن يسأل : لماذا قال الله سبحانه وتعالى فى أكثر من موضع ( وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ) وقال فى موضع آخر ( وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ) ؟

---

١) سنن الترمذى، كتاب التفسير، جـ٥، ص ٣١٩.
٢) سورة لقمان، ١٥.
٣) انظر : تفسير القرطبى، جـ٨، ص ٥١٤٧.
٤) فى ظلال القرآن، جـ٥، ص ٢٧٢٣.
٥) التفسير المنير لمعالم التنزيل، جـ٢، ص ١٥٣.

" والجواب هو :أن الإحسان هو أن تفعل فوق ماكلفك الله سبحانه وتعالى به مستشعرا أنه يراك فإن لم تكن تراه فإنه يراك . فكلمة الإحسان من أحسن أى ارتضى التكليف وزاد عما كلفه الله سبحانه وتعالى ، أما الحسن فهو ما يقابل القبيح والمراد منه هنا الوقوف عند الفرض "(١) .

والذى يراه الباحث - والله أعلم - هو أن الإحسان للوالدين مطلوب من الإنسان فى حالة إسلام والديه ، وأن الحسن مطلوب منه فى حالة كفر الوالدين ، بدليل قوله تعالى : ( وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ) فهذه الآية التى تحث على الحسن للوالدين نزلت فى حق سعد وأمه حمنة الكافرة .

فإذا كان الأبوان مسلمين فلا يكفى من الأبناء الوقوف عند حدود التكليف أى " الْحُسْن " بل لابد أن يجتهدوا فى البر للوالدين ، وفى حالة كفر الوالدين فلا بأس على الإنسان من الوقوف عند حدود - الحُسْن - أى التكليف .

والوالدان من الرضاعة كالوالدين من النسب فى وجوب الإحسان إليهما . عن عمر بن السائب : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا فأقبل أبوه(٢) من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه ، فقعد عليه ، ثم أقبلت أمه(٣) فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر ، فجلست عليه ، ثم أقبل أخوه(٤) من الرضاعة فقام له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه "(٥) .

---

١) انظر :مقال للشيخ الشعراوى ، بعنوان الإحسان وسيلة متكاملة للتكافل الإجتماعى ، جريدة المسلمون ، السنة الرابعة ، العدد (١٩١) ١٩ - ٢٥ ، صفر ١٤٠٩هـ ، ٣٠ سبتمبر ، ٧ أكتوبر ١٩٨٨م .

٢) هو الحارث بن عبدالعزى بن رفاعة السعدى ، زوج حليمة السعدية .

٣) هى حليمة السعدية .

٤) هو عبدالله بن الحارث .

٥) سنن أبى داود ، كتاب الأدب ، باب بر الوالدين ، جـ٥ ، ص ٣٥٤ .

توجيهات ربانية للأبناء :

قال تعالى : ( إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ، رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ) (١) .

وكلمة " عندك " فى قوله تعالى ( إِمَّا يَبلغن عِنْدَكَ الْكِبَرَ ) تصور معنى الإلتجاء والإحتماء فى حالة الكبر والضعف .

قال الزمخشرى : " فإن قلت ما معنى عندك ؟ قلت هو أن يكبرا أو يعجزا وكانا كلاً على ولدهما لاكافل لهما غيره فهما عنده فى بيته وكنفه وذلك أشق عليه وأشد احتمالا وصبرا ، وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه فى حالة الطفولة فهو مأمور بأن يستعمل معهما وطاة الخلق ولين الجانب والإحتمال " (٢) .

إن الأبوين فى حالة الكبر لايحتاجان إلى كثير من الطعام أو الكساء أو غيرهما من متع الحياة وإنما الذى يحتاجان إليه فى تلك الحال هو الإحسان إليهما بالكلمة الطيبة والخلق الحسن .

ومعنى قوله تعالى : ( فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ) أى لاتقل لهما ما يكون فيه أدنى تبرم (٣) (وَلَاتَنْهَرْهُمَا ) أى ولاتزجرهما " (٤) .

فقوله تعالى : ( فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَاتَنْهَرْهُمَا ) إشارة إلى المرتبة الأولى من مراتب الرعاية والأدب ، وهى ألا يند من الولد مايدل على الضجر والضيق ومايشى بالإهانة وسوء الأدب (٥) .

---

١) سورة الإسراء . ٢٣ ـ ٢٥ .
٢) الكشاف ، للزمخشرى ، ج٣ ، ص ٤٤٤ .
٣) الجامع لأحكام القرآن الكريم ، ج٦ ، ص ٣٨٥٨ ، انظر : تفسير الطبرى ، ج١٥ ، ص٤٧ .
٤) تفسير الطبرى ، ج١٥ ، ص ٤٨ .
٥) انظر : فى ظلال القرآن ، ج٤ ، ص ٢٢٢١ .

أدب القول:

( وَقُلْ لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ) وهى مرتبة أعلى إيجابية أن يكون كلامه لهما يشى بالإكرام والإحترام، فيقول لهما أحسن مايجد من القول[١] مثل يا أبتاه ويا أماه من غير أن يسميهما ويكنيهما[٢].

ولابن باديس كلام جميل فى هذه الآية، قال: " أمر أن يخاطبهما بجميل القول ويؤنسهما بطيب الحديث ونهى عن أن يؤذيهما فى قول أو يوحشهما بطول السكوت فليس له أن يتركهما وشأنهما بل عليه مجالستهما ومحادثتهما وجلب الأنس إليهما وإدخال السرور عليهما "[٣].

أدب الفعل:

( واخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ) والمقصود هنا المبالغة فى التواضع " فكأنه قال للولد إكفل والديك بأن تضمهما إلى نفسك كما فعلا ذلك بك حال صغرك "[٤].

فالوالدان عند ولدهما كالفراخ الضعيفة المحتاجة للقوت والدفء والراحة وولدهما يقوم لهما بالسعى كما يسعى الطائر لفراخه، فشبه الولد فى سعيه وحنوه وعطفه على والديه بالطائر فى ذلك كله على فراخه[٥].

برهما بالدعاء:

( وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا )

---

١) انظر: تفسير الطبرى، جـ١٥، ص ٤٨.
٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن الكريم، جـ٦، ص ٣٨٥٩.
٣) تفسير ابن باديس، ص ١٠٠.
٤) تفسير الرازى، جـ٢٠، ص ١٩٢.
٥) انظر: تفسير ابن باديس، ص ١٠١.

" وهو التوجه إلى الله أن يرحمهما فرحمة الله أوسع ورعاية الله أشمل وجنات الله أرحب وهو أقدر على جزائهما بما بذلا من دمهما وقلبهما مما لا يقدر على جزائه الأبناء "(١) فمهما اجتهد الولد في الإحسان إلى أبويه فإنه لايجازي سابق إحسانهما .

"واعترافا بعجز الإبن عن مجازاتهما يتوجه بسؤال الرحمة لهما من الله وهي النعمة الشاملة لخير الدنيا والآخرة "(٢) .

ولقد خص سبحانه وتعالى التربية بالذكر في قوله : ( كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ) ليتذكر العبد شفقة الأبوين وتعبهما في التربية فيزيده ذلك إشفاقا لهما وحنانا عليهما )(٣)

نقل فخر الدين الرازي في تفسيره اختلاف المفسرين في قوله تعالى : ( وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ) على ثلاثة أقوال (٤) :

الأول : أنها منسوخة بقوله تعالى : ( مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ )(٥) .فلا ينبغي للمسلم أن يستغفر لوالديه إذا كانا مشركين .

الثاني: أن هذه الآية غير منسوخة ولكنها مخصوصة في حق المسلمين، وهذا أولى من القول الأول لأن التخصيص أولى من النسخ .

الثالث: أنه لانسخ ولاتخصيص لأن الوالدين إذا كانا كافرين فله أن يدعو لهما بالهداية والإرشاد وأن يطلب الرحمة لهما بعد حصول الإيمان .

وأقرب الأقوال السابقة إلى الصواب كما يرى الباحث هو القول الثالث.

إنه لاحرج على الإبن أن يدعو لوالديه في حياتهما وبعد مماتهما . " أما في حياتهما فيدعو لهما بالرحمة سواء كانا مسلمين أم كافرين ورحمة الكافرين بهدايتهم إلى

---

١) في ظلال القرآن ، جـ٤ ، ص ٢٢٢٢ .
٢) تفسير ابن باديس ، ص ١٠٢ .
٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ، جـ٦ ، ص ٣٨٦٠ .
٤) انظر : تفسير الرازي ، جـ٢٠ ، ص ١٩٣ .
٥) سورة التوبة . ١١٣ .

الإسلام ، وأما بعد الموت فلا يسأل الرحمة لهما إلا إذا ماتا مسلمين"[(١)] .
فقد نهى القرآن عن الإستغفار للمشركين الأموات وإن كانوا أولي قربى .

ولقد ختم الله سبحانه وتعالى التوجيهات الإلهية للأبناء بقوله تعالى: ( رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا )[(٢)] والمراد : إن الله سبحانه وتعالى أعلم بما تخفوه فى أنفسكم من البر أو العقوق لآبائكم وهو مجازيكم على حسن ذلك وسيئه فاحذروا أن تضمروا لهم سوء وتعقدوا لهم عقوقا[(٣)] .

## حظ الأم من الإحسان:

قال تعالى : ( وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِى عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِى وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىَّ الْمَصِيرُ )[(٤)] .
وقال : ( وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا )[(٥)] .
ويستفاد من الآيتين السابقتين أن الإحسان الواجب للوالدين جانب الأم فيه آكد من جانب الأب وحظها فيه أوفر من حظه ويشير إلى هذا تخصيصها بذكر أتعابها . فذكر ما تعانيه من ألم الحمل ومشقة الوضع ومقاساة الرضاع والتربية[(٦)] .
فالمرأة فى مرحلة الحمل الأولى تمر بحالة نفسية وجسدية صعبة - مرحلة الوحام - ثم يأخذ الجنين فى بطنها بالنمو تدريجيا .

---

١) تفسير إبن باديس ، ص ١٠٢ .
٢) سورة الإسراء . ٢٥ .
٣) انظر : تفسير الطبرى ، ج١٥ ، ص ٥٠ .
٤) سورة لقمان . ١٤ .
٥) سورة الأحقاف . ١٥ .
٦) انظر : تفسير الرازى ، ج١٨ ، ص ١٤ .

وفى فترة تكوين عظام الجنين يشتد امتصاصه للجير من دم الأم ، إنها تعطى محلول عظامها فى الدم ليقوم به هيكل الجنين .

ثم يحدث بعد ذلك الوضع وهو عملية شاقة ممزقة ، ثم الرضاع والرعاية حيث تعطى الأم عصارة لحمها وعظمها فى اللبن ، وعصارة قلبها وأعصابها فى الرعاية ، وهى مع ذلك سعيدة وأكبر ما تتطلع إليه من جزاء أن ترى وليدها يسلم وينمو (١) .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله : من أحق الناس بحسن صحابتى ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال أمك ، قال : ثم من ؟ قال أمك ، قال ثم من ؟ قال : أبوك " (٢) .

" فهذا الحديث يدل أن محبة الأم والشفقة عليها ينبغى أن تكون ثلاثة أمثال محبة الأب لذكر النبى صلى الله عليه وسلم الأم ثلاث مرات وذكر الأب فى الرابعة فقط " (٣) .

فحق الأم على وليدها أعظم من حق الأب ، كما أن المشاق إليها بسبب الولد أكثر . " فالأم تذبل لذبول وليدها وتغيب بسمتها إن غابت ضحكته وتذرف دموعها إن اشتد توعكه ، وتحرم نفسها الطعام والشراب إن صام عن لبنها " (٤) .

<u>من بر الوالدين:</u>

١) ألاَّ يخرج الإبن إلى مافيه خوف ومخاطرة بالنفس إلا بإذنهما بدليل ما جاء فى سنن أبى داود أن رجلا من اليمن هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

١) انظر : فى ظلال القرآن ، جـ٦ ، ص ٣٢٦٢ .
٢) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الأدب ، باب من أحق الناس بحسن الصحبة ، جـ١٠ ، ص٤١٥ ، صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب بر الوالدين ، جـ٤ ، ص ١٩٧٤ .
٣) الجامع لأحكام القرآن الكريم ، جـ٦ ، ص ٣٨٥٥ .
٤) السلوك الإجتماعى فى الإسلام ، حسن أيوب ، ص ٢٤٦ ، دار التراث العربى ، ط٥ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

فقال هل لك أحد باليمن؟ قال أبواى ، قال أذنالك ؟ قال لا قال فارجع إليهما فاستئذنهما فإن أذنا لك فجاهد وإلا فبرهما "[(١)] .

كما ثبت فى الصحيح عن عبدالله بن عمرو قال : قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم : أجاهد قال : لك أبوان ؟ قال : نعم ، قال : ففيهما فجاهد"[(٢)] .

وفى مسند الحميدى عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ! جئت أبايعك على الهجرة وتركت أبوى يبكيان ، قال فارجع إليهما وأضحكهما كما أبكيتهما "[(٣)] .

الأحاديث السابقة تدل على وجوب استئذان الأبوين للجهاد إذا لم يتعين الجهاد عليه ويتعين الجهاد على المسلم فى أحوال ثلاثة وهى :[(٤)]

أ) أن يهاجم العدو بلده.

ب) أن يختاره الإمام المسلم للقتال.

ج) أن يكون الجيش الذى يدافع عن بلد إسلامى غير كاف ويستطيع أن يساعد هذا الجيش .

" أما إذا أراد - أى الإبن- تعاطى مالا خطر فيه ولافجيعة من شئون الحياة ووجوه التصرفات فليس عليه أن يستأذنهما وليس لهما منعه ، ولكن إذا منعاه من شئ امتنع لوجوب برهما "[(٥)] .

٢) أن نتحفظ من كل مايجلب لهما سوء من غيرنا فإن فاعل السبب فاعل للمسبب ومن هذا ألَّا نسب الناس فيسبوا والدينا .

---

١) سنن أبى داود ، كتاب الجهاد ، باب فى الرجل يغزو وأبواه كارهان ، جـ ٣ ، ص ٣٩.

٢) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الأدب ، باب لايجاهد إلا باذن الأبوين ، جـ١٠ ، ص ٤١٧ وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب البر والصلة ، باب بر الوالدين ، جـ٤ ، ص ١٩٧٥.

٣) مسند الحميدى ، حديث ٥٨٤ ، جـ ٢ ، ص ٢٦٧.

٤) السلوك الإجتماعى فى الإسلام ، ص ٢٥٩.

٥) تفسير ابن باديس ، ص ٩٩.

جاء في الصحيح عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه ، قيل يارسول الله وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه"[(١)] .

٣) ومن بر الوالدين حفظهما بعد موتهما بالدعاء والإستغفار وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما وصلة رحمهما .

عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي[(٢)] قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال : يارسول الله ، هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما ؟ قال : " نعم الصلاة عليهما والإستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لاتوصل إلا بهما وإكرام صديقهما"[(٣)] .

كما ثبت في الصحيح عن عبدالله بن عمر أن رجلا من الأعراب لقيه بطريق مكة فسلم عليه عبدالله ، وحمله على حمار كان يركبه ، وأعطاه عمامة كانت على رأسه ، فقال ابن دينار[(٤)] : فقلنا له : أصلحك الله إنهم الأعراب وإنهم يرضون باليسير ، فقال عبدالله : إن أبا هذا كان ودا لعمر بن الخطاب ، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه "[(٥)] .

<u>من بركات بر الوالدين:</u>

١) دخول الجنة والأجر العظيم : فالمسلم البار بوالديه جزاؤه الجنة إن شاء الله .

---

١) فتح الباري ، صحيح مسلم ، كتاب الأدب ، باب لايسب الرجل والديه ، جـ١٠ ، ص٤١٧.
وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، حديث ٩٠ ، باب بيان الكبائر ، والترمذي في البر ، حديث ١٩٠٣ ، باب في عقوق الوالدين وقال ( هذا حديث حسن صحيح ) .

٢) أبو أسيد مالك بن ربيعة الساعدي ، وهو أنصاري خزرجي من بني ساعدة ، شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها ، اختلف في وفاته فقيل توفى سنة ثلاثين وقيل سنة ستين وقيل سنة خمس وستين . انظر :أسد الغابة ، جـ٤ ، ص ٢٤٧ - ٢٤٨.

٣) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب بر الوالدين ، جـ٥ ، ص٣٥٢.

٤) ابن دينار : هوعبدالله بن دينار العدوي ، أبوعبدالرحمن المدني مولى ابن عمر ،وثقه كثير من العلماء وهو من صالحي التابعين ، كثير الحديث ، مات سنة سبع وعشرين ومائة. انظر : تهذيب التهذيب ، جـ٥ ، ص ٢٠١ - ٢٠٢.

٥) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ،جـ٤ ،ص١٩٧٩ ، وأخرجه الترمذي في البر ،حديث ١٩٠٤ ،باب في إكرام صديق الوالد ( وقال هذا إسناد صحيح) .

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : " رغم أنفه ، ثم رغم أنفه ، ثم رغم أنفه ، قيل من ؟ يارسول الله ! قال : من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة "(١).

٢) سعة الرزق وطول العمر :

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من أحب أن يبسط له فى رزقه وينسأ له فى أثره فليصل رحمه "(٢).

فبر الوالدين سبب فى سعة الرزق، وكذلك سبب فى بركة العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة وعمارة وقته بما ينفع فى الآخرة(٣).

٣) تفريج الشدائد والكربات:

فقد ورد فى الصحيح ذكر قصة الثلاثة الذين دخلوا الغار وإذا بصخرة تنحط على فمه، ثم أخذ كل واحد منهم يتوسل إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة التى أسلفها من أجل دفع الكرب الواقع بهم .

أما الأول : فقد توسل إلى الله تعالى بإحسانه إلى والديه حيث قال : " اللهم إنه كان لى والدان شيخان كبيران ولى صبية صغار كنت أرعى عليهم، فإذا رحت عليهم فحلبت بدأت بوالدى أسقهما قبل ولدى وإنه نأى بى الشجر فما أتيت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقمت عند رؤوسهما ، أكره أن أوقظهما من نومهما ، وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما والصبية يتضاغون عند قدمى فلم يزل ذلك دأبى ودأبهم حتى طلع الفجر فإن كنت

---

١) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب رغم أنف من أدرك أبويه ولم يدخل الجنة، جـ٤، ص١٩٧٨
٢) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الأدب ، باب من بسط له فى الرزق لصلة الرحم ، جـ١٠ ، ص ٣٤١.
٣) انظر : فتح البارى، جـ١٠ ، ص ٣٤١.

تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء ففرج الله لهم فرجة حتى يرون منها السماء "[١].

وأما الثاني فقد توسل إلى الله ببعده عن الفاحشة - خوفا منه - مع تمكنه منها.

وأما الثالث : فقد توسل إلى الله بحفظ مال الأجير وإنمائه له ففرج الله عنهم.

٤) أن من كان بارا بوالديه كان أبناؤه بارين به :

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "بروا آباءكم تبركم أبناؤكم وعفوا تعف نساؤكم"[٢].

## متى تجوز مخالفة الوالدين:

يجوز للإبن مخالفة والديه بل يتحتم عليه المخالفة إذا منعاه من واجب عيني - كأن يأمراه بترك الصلاة - أو أمراه بمعصية - كأن يأمراه بشرب الخمر - جاء في الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم " لاطاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف"[٣].

ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض الآباء يتعذر إرضاؤهما بما يستطيعه أولادهما من الإحسان، فقلما تجد ذا سلطة لايجور ولايظلم في سلطته حتى الوالدين على أولادهما وهما المفطوران على الرحمة بالأبناء.

" فقد تظلم الأم ولدها قليلا مغلوبة لبادرة الغضب أو طاعة لما يعرض من أسباب الهوى كأن تتزوج رجلا تحبه وهو يكره ولدها من غيره وكأن يقع التغاير بينها وبين امرأة ولدها "[٤].

---

١) فتح الباري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إجابة دعاء من بر والديه، ج١٠، ص٣٢٢.
٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب البر والصلة، باب ماجاء في البر وحق الوالدين، ج٨، ص ١٣٩.
٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، حديث ٣٩، ج٣، ص ١٤٦٩.
٤) تفسير المنار، ج٥، ص ٦٩.

فقلما ترضى الأم بالعدل وتعذر ولدها في حبه لزوجته، وإن هو لم يقصر فيما يجب لها من البر والإحسان".

"إن الإحسان بالوالدين الذي أمرنا به في دين الفطرة هو أن نكون في غاية الأدب مع الوالدين في القول والعمل بحسب العرف، وأن نكفيهما أمر مايحتاجان إليه من الأمور المشروعة المعروفة بحسب استطاعتنا ولايدخل في ذلك شيء من سلب حريتنا واستقلالنا في شؤننا الشخصية والمنزلية ولا في أعمالنا لأنفسنا ولملتنا ولدولتنا، فإذا أراد أحدهما أو كلاهما الإستبداد في تصرفنا فليس من البر ولا من الإحسان شرعا أن نترك مانرى فيه الخير العام أو الخاص أو نعمل ما نرى فيه الضرر العام أو الخاص عملا برأيهما واتباعا لهواهما "(١).

فالبر والإحسان لايقتضيان سلب الحرية والإختيار.

## التحذير من عقوق الوالدين:

عن عبدالرحمن بن أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يارسول الله. قال: ثلاثا: الإشراك بالله: وعقوق الوالدين " وكان متكئا فجلس فقال: " ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يقولها حتى قلت ليته سكت "(٢).

## المطلب الثاني

## الإحسان إلى الزوجة أو الزوجات

### الزوجة قبل الإسلام:

كانت النساء قبل البعثة مظلومات ممتهنات عند جميع الأمم وفي جميع

---

١) انظر: تفسير المنار، ج٥، ص ٧٢.

٢) فتح الباري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، ج١٠، ص٤١٩ وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، ج١، ص ٩١.

الشرائع والقوانين .

كانت المرأة تشترى وتباع كالبهيمة والمتاع وكانت تُكره على الزواج وعلى البغاء وكانت تورث ولاتورث ، وقد اختلف الرجال فى بعض البلاد فى كونها إنسانا ذا نفس وروح خالدة كالرجل أم لا ؟ وفى كونها تصح منها العبادة أم لا ؟ وفى كونها تدخل الجنة أم لا ؟ فقرر أحد المجامع فى رومية أنها حيوان نجس لا روح له ولاخلود ولكن يجب عليها العبادة والخدمة (١) .

ثم جاء الإسلام فأعطى النساء جميع الحقوق التى أعطاها للرجال إلا مايقتضيه اختلاف المرأة ووظائفها النسوية من الأحكام . فقد قرر الإسلام إنسانيتها .

قال تعالى : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ) (٢) .

كما قرر الإسلام أن الجنسين - الذكر والأنثى - متساويان فى قاعدة العمل والجزاء وفى صلتهما بالله وفى جزائهما عندالله (٣) .

قال تعالى : ( مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِى كَانُوا يَعْمَلُون ) (٤) .

ومع أن لفظ "من" يشمل الذكر والأنثى إلا أن النص يفصل ( مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ) وذلك للتاكيد على المساواة بين الرجل والمرأة فى العمل والجزاء ، ولبيان سوء رأى الجاهلية فى الأنثى .

ثم إن الإسلام قد حرر المرأة من جور الأولياء خاصة بعد موت زوجها قال

---

١) انظر : تفسير المنار ، جـ١١ ، ص ٢٣٢ .
٢) سورة النساء . ١ .
٣) انظر : فى ظلال القرآن ، جـ٤ ، ص ٢١٩٣ .
٤) سورة النحل . ٩٧ .

تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لايَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا )[(١)] .

أى لايجوز لكم أن تأخذوا النساء على سبيل الإرث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك أو مكرهات ، وذلك بعد موت الزوج[(٢)] .

مناسبة الآية:

جاء في الصحيح عن ابن عباس قال : "كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاءوا زوجوها وإن شاؤا لم يزوجوها فهم أحق بها من أهلها فنزلت هذه الآية "[(٣)] .

فقد كان الأولياء يعضلون النساء ذوات المال من التزوج مخافة انتقال تركتها إلى غيرهم .

وكان الرجل إذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر لتفتدى منه بمالها وتختلع فأنزل الله : ( وَلاتَعْضِلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ )[(٤)] . والعضل : "الحبس والتضييق"[(٥)] .

فلا يجوز للرجل أن يضيق على زوجته إلا فى حالة واحدة وهى النشوز وشكاسة الخلق وإيذاء الزوج وأهله بالبذاءة والسلاطة . ففي هذه الحالة الزوج معذور في طلب الخلع[(٦)] .

وكذلك إذا زنت المرأة فيجوز لزوجها أن يعضلها حتى تفتدى منه بمالها وذلك لأنها تسببت فى خراب بيته ، فإنه سيتزوج بغيرها[(٧)] .

---

١) سورة النساء . ١٩ .
٢) انظر : الكشاف ، جـ١ ، ص ٥١٣ .
٣) صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، باب " لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها ... الآية ، جـ٤ ، ص ١٦٧٠ - ١٦٧١ .
٤) النساء . ١٩ .
٥) تفسير الكشاف ، جـ١ ، ص ٥١٤ .
٦) المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٥١٤ .
٧) انظر : التحرير والتنوير ، جـ٤ ، ص ٢٨٥ .

**غاية الزواج وهدفـــه :**

يقول الله تعالى : ( وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً )[(١)].

جعل القرآن الكريم الغاية من الزواج هى أن يسكن كل من الزوجين إلى الآخر أى يطمئن كل منهما إلى الثانى ، فالأجساد المتعبة تأوى إلى المساكن من أجل الراحة . وكذلك النفوس القلقة المتعبة تأوى إلى الأزواج طلبا للراحة النفسية ، وما أشبه قلق النفس بحركة الجسم[(٢)] .

إن الباعث على اشتراك الرجل والمرأة فى الحياة الزوجية أمر نفسى يربـــط بين قلبيهما برباط وثيق من الحب والألفة ينمو مع الزمن ولاتزيده الأيام إلا قوة . قال تعالى : ( هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ )[(٣)].

" أى إن حاجة كل منهما للآخر كحاجة الإنسان إلى اللباس وملازمته له فالرجـــل لولا المرأة لكان قبيحا كقبح العارى تبدو سوأته للناس جميعا ، والمرأة لـــولا الرجل لكانت مزدراة تنبعث منها الشرور كما تنبعث من امرأة عارية لاحيـــاء ولا حشمة "[(٤)] .

ولقد أثار القرآن الكريم فى نفوس الأزواج الشعور بأن كلا منهما ضـــرورى للآخر ومتمم له لتحقيق وجوده وامتداد أثره .

قال تعالى : ( هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا"[(٥)] .

فكأن الله سبحانه وتعالى أراد أن يقول للرجل " إن المرأة جزء منك ولاغنى لحـــى

---

١) سورة الروم . ٢١ .

٢) انظر : الإسلام فى حياة المسلم ، ص ١٣١ .

٣) سورة البقرة . ١٨٧ .

٤) أخلاقنا الإجتماعية ، بقلم د /مصطفى السباعى ، ص١٤١ ، المكتب الإسلامى ، بيروت ،ط٢ ، ١٣٩٢هـ .

٥) سورة الأعراف . ١٨٩ .

عن جزئه ويقول للمرأة إنك من الرجل انفصلت فهو أصل لك ولا غنى لإنسان عن أصله "(١).

إن الاسلام يدفع إلى الإنسجام وإلى الرحمة والإحسان ولذا فإنه لايقر أن يخرج الزواج عن غايته وهي السكن والاطمئنان ، فكل تصرف ينمي معنى السكن في الزوجية فهو محمود من وجهة نظر الإسلام وكل تصرف يسيء إلى هذه الغاية الكريمة فهو تصرف مبغض إليه .

المبدأ العام للزوجية:

إن الإسلام بعد أن حدد غاية الزواج أو المبدأ العام للزوجية - وهي السكن والاطمئنان - أباح للرجل أن يضم إلى زوجته ثانية وثالثة ورابعة .

والترخص بالجمع بين أكثر من زوجة واحدة .. إلى أربع يجب أن يكون في دائرة المبدأ العام للزوجية .

قال تعالى : ( فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً )(٢).

" وليس العدل المطلوب هو العدل في الإنفاق ، ولا في إعداد المسكن المادي ، ولا في مرات الزيارة واللقاء وإنما هو قبل كل شيء في الإنسجام وعدم إثارة القلق النفسي وعدم الإيذاء بالنزاع والخصومة "(٣).

ومن هنا قد يكون ظاهر الجمع بين أكثر من واحدة مباحا حلالا ولكن في واقع أمره منكرا وذلك لأنه إذا انتفى العدل والإنسجام وحل محله النزاع والقلق

---

١) السلوك الإجتماعي ، ص ١٩٨ .
٢) سورة النساء . ٣ .
٣) الإسلام في حياة المسلم ، ص ١٣٣ .

فهدف الزوجية حينئذ لم يتحقق [1].

## حق الزوج على زوجته وحق الزوجة على زوجها :

لقد حث الإسلام الأزواج على الإحسان إلى بعضهم البعض ، ولم يجعل الإحسان أمرا مندوبا ولكنه فرضه فرضا ، فجعل للنساء حقوقا على الرجال وجعل للرجال حقوقا على النساء وسوف يتعرض الباحث إلى بعض هذه الحقوق التي يظهر من خلالها مدى البر والإحسان .

أولا : حقوق الزوجة على الزوج:

١) فمن أول حقوق الزوجة على زوجها أن ينظر إليها على أنها سكن له تركن إليها نفسه " فهى ليست أداة للزينة ولامطية للشهوة ولا غرضا للنسل فحسب بل إنها تكملة روحية للزوج يكون بدونها عاريا من الفضائل النفسية فقيرا من بواعث الإستقرار والطمأنينة " [2].

قال تعالى : ( وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ) [3].

وحين ينظر الزوج إلى زوجته على أنها سكنه الروحى والنفسى تزول من طريق الحياة الزوجية كل الأشواك والعثرات ، ولايقع الطلاق وإن أبيح ولايحصل التعدد وإن شرع ، ولايقف الزوجان أمام القضاء وإن اختلفا فى البيت [4].

٢) أن ينفق عليها بالمعروف:

وهو فى حدود المسكن الصالح الذى تصان فيه حرمة الزوجة وصحتها

---

١) انظر : الإسلام فى حياة المسلم ، ص ١٣٣ .
٢) أخلاقنا الإجتماعية ، ص ١٤٨ .
٣) سورة الروم . ٢١ .
٤) انظر : أخلاقنا الإجتماعية ، ص ١٤٨ .

وكرامتها واللباس الصالح الذى يصونها من الإبتذال ويدفع عنها أذى الحر والبرد ويعتاده أمثالها من قريبات أو جارات والطعام الصالح الذى يغذى الجسم ويدفع المرض "(١).

عن معاوية القشيرى(٢) قال: "قلت يارسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال: تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا كسيت ولاتضرب الوجه ولاتقبح ولاتهجر إلا فى البيت"(٣). وهذا الحديث لايبين كل حقوق الزوجة ولكنه ذكر بعضها.

والإنفاق على الزوجة ينبغى أن يكون فى حدود الإستطاعة المالية للزوج. قال تعالى: ( لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّه "(٤). وقال: ( لايُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا )(٥).

ولم تحد النصوص الشرعية النفقة ولم تلزم الزوج بمقدار معين يجب عليه للزوجة بل تركت ذلك إلى العرف السائد ، وهذا من محاسن شريعتنا الإسلامية. قال صلى الله عليه وسلم فى خطبة حجة الوداع: " واتقوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف "(٦).

ولقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على التوسعة فى النفقة على الأهل حين أخبر بأن النفقة على الأهل أفضل من النفقة فى سبيل الله وفى الرقاب وعلى المساكين. عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " دينار أنفقته فى سبيل

---

١) أخلاقنا الإجتماعية ، ص ١٤٨ - ١٤٩ .
٢) معاوية القشيرى : هو معاوية بن حيدة بن معاوية بن قشير بن كعب القشيرى ، من أهل البصرة ، غزا خراسان ومات بها ، وهو جد بهز بن حكيم بن معاوية . انظر : أسد الغابة ، ج٤ ، ص ٤٣٢ - ٤٣٣.
٣) سنن أبى داود ، كتاب النكاح ، باب حق المرأة على زوجها ، ج٢ ، ص ٦٠٦.
٤) سورة الطلاق. ٧.
٥) سورة البقرة. ٢٨٦.
٦) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب فضل النفقة على العيال والمملوك ، ج٢ ، ص ٦٩٢.

الله ، ودينار أنفقته في رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلك " (١) .

وإذا كان الزوج من أهل اليسار ثم تعمد فى التقتير على أهله فإن الإسلام يعد فعله هذا بخلا يمقته الله وتكرهه المروءة .

وفى هذه الحالة يجوز للزوجة أن تأخذ من مال زوجها - من غير علمه - مايكفيها وأولادها بالمعروف .

عن عائشة قالت : دخلت هند بنت عتبة - امرأة أبى سفيان - على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت يارسول الله ! إن أبا سفيان رجل شحيح ، لايعطنى من النفقة ما يكفينى ويكفى بنىّ ، إلا ما آخذ من ماله بغير علمه ، فهل علىّ فى ذلك من جناح ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " خذى من ماله بالمعروف مايكفيك ويكفى بنيك " (٢) .

٣) ومن حق الزوجة على زوجها أن ينبسط معها فى البيت فيهش للقائها ، ويستمع إلى حديثها ويمازحها ويداعبها تطييبا لقلبها وإيناسا لها فى وحدتها وإشعارا لها بمكانتها من نفسه وقربها من قلبه (٣) .

وقد يظن بعض الجاهلين أن مداعبة الزوجة وممازحتها يتنافى مع الوقار أو الهيبة التى يجب أن تستشعرها الزوجة نحو زوجها وهذا خطأ فاحش .

فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم من أفكه الناس مع زوجاته وأحسنهم خلقا .

عن عائشة أنها قالت : " سابقت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما

---

١) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب فضل النفقة على العيال والمملوك ، حديث ٣٩ ، ج٢ ، ص ٦٩٢ .

٢) أخرجه الشيخان واللفظ لمسلم ، صحيح مسلم كتاب الأقضية ، باب قضية هند ، ج٣ ، ص ١٣٣٨ ، فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب النفقات ، باب وعلى الوارث مثل ذلك ، ج٩ ، ص ٤٢٤ .

٣) أخلاقنا الإجتماعية ، ص ١٥١ .

حملت من اللحم سابقني فسبقني فقال : " يا عائشة هذه بتلك "[١].

فعلى الرجل إذا كان مع زوجته أن يطرح التكلف والتزمت لأن ذلك ينفرها منه وكأنه لايفهم من معنى الزوجية إلا الجماع والأولاد ، كما أن عليه مهما تبسط أن يحتفظ بأصول الرجولة والمروءة والحياء"[٢].

٤) ومن حق الزوجة على زوجها أن يُحسِّن خلقه معها :

فقد قال صلى الله عليه وسلم : " أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا "[٣].

وقال : " خياركم خياركم لنسائهم "[٤]. كما قال صلى الله عليه وسلم : " خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي "[٥].

وإذا كنا مطالبين بالإحسان فى معاملة الأجانب فإن أقرب الناس إلينا أحق بذلك.

ثانيا : حقوق الزوج على زوجته:

١) طاعة الزوجة له بالمعروف ، وهى طاعة تحتمها المصلحة المعنوية المشتركة بين الزوجين إنها ليست طاعة العبد لسيده وإنما هى طاعة الأخ الصغير للأخ الكبير والزوجة غالبا تصغر الزوج سنا[٦].

قال تعالى : ( الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِم )[٧]. وقيام الرجال على النساء هو قيام الحفظ والدفاع

---

١) مسند الحميدى ، جـ١ ، ص ١٢٨.
٢) انظر : السلوك الاجتماعى ، ص ٢٠٧.
٣) سنن الدارمى ، كتاب الرقاق ، باب فى حسن الخلق ، جـ٢ ، ص ٤١٦.
٤) سنن ابن ماجة ، كتاب النكاح ، باب فى حسن معاشرة النساء ، جـ١ ، ص ٢١٢.
٥) المصدر السابق ، كتاب النكاح ، باب فى حسن معاشرة النساء جـ١ ، ص٢١٢.
٦) انظر : أخلاقنا الإجتماعية ، ص ١٤١.
٧) سورة النساء . ٣٤.

وقيام الإكتساب والإنتاج المالى ولقد وكل الإسلام أمر الرعاية والتدبير لشؤون الأسرة إلى الرجل دون المرأة وذلك لأن طبيعته تمكنه من ذلك بخلاف المرأة التى تحمل وتلد ، وتحضن من تلد . إن قوامة الرجل على المرأة ليست سلطة يستبد بها الرجل (١) .

قال صلى الله عليه وسلم : " إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها ادخلى الجنة من أى الأبواب شئت" (٢) .

كما أخرج الترمذى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها " (٣) .

وفى رواية أبى داود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله لهم عليهن من الحق" (٤) .

ولايجوز للمرأة أن تمتنع إذا أرادها زوجها للجماع وإن كانت مشغولة فى بعض أموربيتها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا الرجل دعا زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور " (٥) ، وإذا لم تلب المرأة حاجة زوجها لعنتها الملائكة .

عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إذا دعا الرجل امرأته فأبت فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح" (٦) .

---

١) انظر : الإسلام فى حياة المسلم ، ص ١٣٥ .
٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، كتاب النكاح ، باب حق الزوج على المرأة ، جـ٤ ، ص ٣٠٦ .
٣) سنن الترمذى ، كتاب الرضاع ، باب ماجاء فى حق الزوج على المرأة ، جـ٣ ، ص ٤٦٥ .
٤) سنن أبى داود ، كتاب النكاح ، باب فى حق الزوج على المرأة ، جـ٢ ، ص ٦٠٥ .
٥) سنن الترمذى ، كتاب الرضاع ، باب فى حق الزوج على المرأة ، جـ٣ ، ص ٤٦٥ .
٦) سنن أبى داود ، كتاب النكاح ، باب فى حق الزوج على المرأة ، جـ٢ ، ص ٦٠٥ .

والطاعة المطلوبة من المرأة لزوجها إنما هى فى حدود الشريعة والمصلحة المحققة لها ولأولادها . قال صلى الله عليه وسلم : " لاطاعة فى معصية الله إنما الطاعة فى المعروف "[١] .

٢) ومن حقوق الزوج على زوجته أن ترعى شعوره فتبتعد عما يؤذيه من قول أو فعل أو خلق وأن تراعى ظروفه المالية ومكانته الإجتماعية[٢] .

فإذا كان المستوى المعيشى للزوج ضعيفا فلا يصح من الزوجة أن تلح عليه فى طلب سعة النفقة.

عن جابر بن عبدالله قال : دخل أبوبكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه ، لم يؤذن لأحد منهم ، قال : فأُذن لأبى بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فأُذن له فوجد النبى صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساؤه واجما ساكتا ، قال فقال : لأقولن شيئا أضحك النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله لو رأيت بنت خارجة[٣] سألتنى النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : " هن حولى كما ترى يسألننى النفقة " فقام أبوبكر إلى عائشة يجأ عنقها ، وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها ، كلاهما يقول : تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ماليس عنده ، فقلن : والله لانسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا أبدا ماليس عنده ، ثم اعتزلهن شهرا أو تسعا وعشرين ، ثم نزلت عليه هذه الآية : ( يا أيها النبى .. حتى بلغ للمحسنات منكن

---

١) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية وتحريمها فى المعصية ، حديث ، ٣٩ ، جـ٣ ، ص ١٤٦٩.
٢) أخلاقنا الإجتماعية ، ص ١٤٣.
٣) هى زوجة عمر بن الخطاب .

أجرا عظيما )[١]، قال فبدأ بعائشة ، فقال ياعائشة ! إنى أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن لا تعجلى فيه حتى تستشيرى أبويك " قالت : وما هو ؟ يارسول الله ! فتلا عليها الآية ، قالت : أفيك يارسول الله أستشير أبوى ؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة ، وأسألك ألا تخبر امرأة من نسائك بالذى قلت • قال : " لاتسألنى امرأة منهن إلا أخبرتها ، إن الله لم يبعثنى معنتا[٢] ولكن بعثنى معلما وميسرا"[٣]

٣) ومن حقوق الزوج أن توفر له الزوجة سكن النفس واطمئنانه فى البيت بنظافة جسمها ونظافة بيتها ، وأن تتزين له حين يقدم بما يقربها إليه ويزيد حبه لها وشوقه إليها[٤] •

٤) ومن حقوق الزوج أن تترك له زوجته وقتا يفرغ فيه لنفسه ولفكره ، إن اللذة التى يجدها العابد فى خلوته والعالم فى قراءته والأديب فى هدأته لا تعدلها لذة فى الحياة وقد لاتشعر الزوجة بهذه اللذة فلا تفهم لها معنى وقد تؤولها على معنى الكره والبعد عنها وهى فى ذلك متجنية • فإذا أبت إلا أن تعكر عليه صفو هدوءه فقد أجبرته على أن يكره جو البيت وقد تمتد النفرة من البيت إليها فلا يطيق رؤيتها ولايحب معاشرتها[٥] •

---

١) الأحزاب ، ٢٨ ـ ٢٩ ، ( يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا ، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما )•

٢) معنتا :أى طالبا زلتهم •

٣) صحيح مسلم ، كتاب الطلاق ، باب بيان أن تخيير امرأته لايكون طلاقا إلا بالبينة ،جـ٤ ، ص ١١٠٤•

٤) أخلاقنا الإجتماعية ، ص ١٤٤•

٥) انظر : المصدر السابق ، ص١٤٤•

صور من حسن العشـــرة :

قال تعالى : ( وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا )(١).

قال الزمخشري : وفي هذه الآية يحثنا الله سبحانه وتعالى على النصفة في المبيت والنفقة والإجمال في القول ويحذرنا من مفارقة الزوجات لكراهة الأنفس وحدها فربما كرهت النفس ماهو أصلح في الدين (٢).

وقال ابن عاشور :"والمقصود من هذا الإرشاد إلى إعماق النظر وتغلغل الرأى في عواقب الأشياء وعدم الإغترار بالبوارق الظاهرة ولابميل الشهوات إلى ما في الأفعال من ملائم حتى يسبره بمسبار الرأى فيتحقق سلامة حسن الظاهر من سوء خفايا الباطن "(٣).

إن الله سبحانه وتعالى يأمر الأزواج بحسن العشرة ، كما يأمرهم بالتسامح والغض عن الزلات .

" وحسن العشرة ذوق وفن وتربية اجتماعية وبه دوام المحبة والألفة والرحمة وكثيرا ما تحل المشكلات المستعصية بالبسمة الحانية والنظرة الودود والمجاملة الرقيقة والأسلوب المهذب والخضوع اللين "(٤).

ومن حسن العشرة أن يكون الزوج طلق الوجه مع زوجته يحسن اختيار الكلمة الحلوة ويشكرها على ما تؤديه من خدمة له ولأولادها .

قال القرطبي إن من حسن العشرة " ألا يعبس في وجهها بغير ذنب وأن يكون

١) سورة النساء . ١٨.
٢) انظر : الكشاف ، جـ١ ، ص ٥١٤.
٣) تفسير التحرير والتنوير ، جـ٤ ، ص ٢٨٧.
٤) السلوك الإجتماعي ، ص ٢٢٥.

متلطفا فى القول لافظا ولا غليظا ولامظهرا ميلا إلى غيرها "[١].

ومن حسن العشرة أن يقوم بواجبه نحوها إذا مرضت .

ومن حسن العشرة أن يساعدها أحيانا فى عمل البيت كما كان يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع نسائه .

عن الأسود بن يزيد[٢] "سألت عائشة رضى الله عنها ماذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يصنع فى البيت : قالت : كان يكون فى مهنة أهله فإذا سمع الأذان خرج"[٣].

وفى رواية أخرى عن الأسود قال : " سألت عائشة ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يصنع فى أهله : قالت كان فى مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة "[٤].

والمراد من قولها " فى مهنة أهله" أى فى خدمة أهلة فكان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال فى بيوتهم[٥].

ومن حسن العشرة إذا خلا الرجل بزوجته أن يمازحها ويداعبها وليذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك مع نسائه وهو رسول الله وقد تجاوزت سنه الستين وذلك لأنه يعلم أن تطييب قلوبهن من حسن الخلق وحسن العشرة وليكون أسوة لأمته[٦].

ومن حسن العشرة أن يتصنع لها كما تتصنع له أى يتجمل لها كما تتجمل له.
قال يحيى بن عبدالرحمن الحنظلى : "أتيت محمد بن الحنفية[٧] فخرج إلىّ فى ملحفة حمراء ولحيته تقطر من الغالية[٨] فقلت ماهذا؟ قال : إن هذه الملحفة ألقتها علىّ

---

١) الجامع لأحكام القرآن الكريم ، جـ٥ ، ص ٩٧، طبعة دار الكتاب العربى ، ١٩٦٧م.
٢) الأسود بن يزيد بن قيس بن عبدالله بن مالك النخعى ، أدرك النبى مسلما ولم يره ، وهو من فقهاء الكوفة وأعيانهم ، توفى سنة خمس وسبعين ، انظر : أسد الغابة ، جـ١ ، ص١٠٧.
٣) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب النفقات ، باب خدمة الرجل فى أهله ، جـ٩ ، ص٤١٧.
٤) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الأدب ، باب كيف يكون الرجل فى أهله ، جـ١٠ ، ص٤٧٦.
٥) انظر : فتح البارى ، جـ١٠ ، ص ٤٧٦.
٦) انظر : السلوك الإجتماعى ، ص ٢٠٦.
٧) هو محمد بن على بن أبى طالب الهاشمى أبو القاسم المعروف بابن الحنفية ، تابعى ثقة ولد فى خلافة أبى بكر وقيل فى خلافة عمر ومات سنة ثلاث وسبعين ، وقيل سنة ثمانين، وقيل غير ذلك . انظر : تهذيب التهذيب ، جـ٩ ، ص ٣٥٤ - ٣٥٥.
٨) الغالية : نوع من الطيب مركب من مسك وعنبر وعود ودهن. انظر : الجامع لأحكام القرآن، جـ٥ ، ص ٩٧.

امرأتى ودهنتنى بالطيب وإنهن يشتهين منا مانشتهى منهن "[١].

وقال ابن عباس رضى الله عنه : " إنى أحب أن أتزين لامرأتى كما أحب أن تتزين المرأة لى "[٢].

ومن خلال الأثرين السابقين يتضح لنا أنه يستحب للرجل أن يهتم بزينة نفسه مع زوجته كما عليها أن تكون كذلك معه فينظف نفسه ويزيل عرقه وينتف إبطه ويحلق عانته ويقلم أظفاره ويتعهد فمه بالسواك ويتطيب ويلبس خير الملابس ويرجل شعره، وذلك حتى يكون الرجل عند زوجته فى زينة تسرها .

ومن حسن العشرة " أن يتوخى- أى الزوج- أوقات حاجتها إلى الرجال فيعفها ويغنيها عن التطلع إلى غيره ، وإن رأى الرجل من نفسه عجزا عن إقامة حقها فى مضجعها أخذ من الأدوية التى تزيد فى باهه وتقوى شهوته حتى يعفها"[٣].

ومن حسن العشرة " أن يتحمل كل من الزوجين أذى صاحبه ، فليتحمل الزوج من زوجته بعض الأذى ولتتحمل الزوجة من زوجها بعض القسوة .

إنه من الواجب على الرجل أن يعلم أنه أقدر على تحمل الأذى من زوجته وذلك لأن المرأة "خلقها الله من عضو معوج فهى بطبيعتها وفطرتها مستعدة لأن تقع فى الخطأ أكثر من استعداد الزوج "[٤].

فقد قال صلى الله عليه وسلم : " إستوصوا بالنساء خيرا فإنهن خلقن من ضلع

---

١) الجامع لأحكام القرآن الكريم ، جـ٥ ، ص ٩٧ ، طبعة دار الكتاب العربى .

٢) المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٩٧.

٣) نفس المصدر ، جـ٥ ، ص٩٧.

٤) السلوك الإجتماعى ، ص ٢٠٥.

وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا "[(١)] .

ثم إن المرأة سريعة الإنفعال كثيرة النسيان لجميل الزوج .

عن ابن عباس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " أُريت النار فإذا أكثر أهلها النساء يَكْفُرن ، قيل : أيكفرن بالله ؟ قال : يكفرن العشير ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئا قالت : مارأيت منك خيرا قط "[(٢)] .

فعلى الزوج أن يتسامح مع زوجته وأن يتحمل أذاها حتى يعيش في راحة واستقرار معها ، أما إن أراد محاسبتها على كل صغيرة وكبيرة محاولا أن يجدها يوما بلا أخطاء فإنه لن يجدها كذلك أبدا وتكون نتيجة تصلبه كسرا للحياة الزوجية يترتب عليه الطلاق[(٣)] .

فإذا وجد الزوج من زوجته خطأ أو زلة فليتذكر محاسنها وحسناتها حتى لايدفعه الغضب إلى طلاقها أو بغضها .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لايفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر " أو قال غيره "[(٤)] .

وفي الختام نقول إنه ليس من حسن العشرة أن يجلد الرجل زوجته أو يقسو عليها بالضرب لأن ذلك من شأنه أن ينفر الزوجة ويغير نفسيتها تجاه الزوج.

---

١) فتح الباري ، صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب الوصاة بالنساء ، ج٩ ، ص ١٦١ ،وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء ، ج٢ ، ص ١٠٩١ .

٢) فتح الباري ، صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب كفران العشير وكفر دون كفر ، ج١ ، ص ١٠٤ .

٣) انظر : السلوك الإجتماعي ، ص ٢٠٥ .

٤) صحيح مسلم ، كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء ، ج٢ ، ص ١٤٧ .

عن عبدالله بن زمعة [(١)] قال : " خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس يوما ووعظهم فى النساء فقال : ما بال الرجل يجلد امرأته جلد العبد ولعله يضاجعها فى آخر يومه" [(٢)] فموعظة الرسول صلى الله عليه وسلم هذه ترشد إلى عدم استعمال الضرب مع الزوجات.

وكان القاضى شريح [(٣)] بن الحارث يكره ضرب النساء ويمقت على ذلك ويرى أن من يضربون النساء قد فقدوا المروءة والذوق والأدب وقال منكرا عليهم [(٤)] :

رأيت رجالا يضربون نساءهم *** فشلت يمينى يوم أضرب زينبا [(٥)]

**والصلح خيـــر :**

قال تعالى : ( وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ) [(٦)].

**مناسبة النزول:**

نزلت فى المرأة تكون عند الرجل ويريد الرجل أن يستبدل بها غيرها فتقول أمسكنى وتزوج بغيرى وأنت فى حل من النفقة والقسم. كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت أن يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفت مكان عائشة من قلبه فوهبت لها يومها [(٧)].

---

١) عبدالله بن زمعة بن الأسود بن عبدالمطلب القرشى الأسدى ، أمه قريبة أخت أم سلمة أم المؤمنين ، كان من أشراف قريش ، قتل أبوه الأسود يوم بدر كافرا ، وقتل عبدالله مع عثمان يوم الدار ، انظر : أسد الغابة ، جـ٣ ، ص ١٤١ - ١٤٢.

٢) سنن الدارمى ، كتاب النكاح ، باب فى النهى عن ضرب النساء ، جـ٢ ، ص ١٤٧.

٣) هو شريح بن الحارث بن قيس ، بن الجهم الكندى أبو أمية الكوفى القاضى ، كان من أولاد الفرس الذين كانوا باليمن ، قال ابن معين : كان فى زمن النبى ولم يسمع منه ، استقضاه عمر على الكوفة وأقره علىّ وأقام على القضاء بها ستين سنة ، وقضى بالبصرة سنة ، مات سنة ثمان وسبعين وهو ابن مائة وثمانين سنة وقيل غير ذلك ، انظر : تهذيب التهذيب ، جـ٤ ، ص ٣٢٦ - ٣٢٨.

٤) رسالة مع القضاة ، تأليف سليمان بن محمد بن عبدالله الحميضى ، ص٣٣ ، دار إحياء التراث العربى ، قطر ١٩٨٧م.

٥) زينبا : هى زوجة القاضى شريح بن الحارث.

٦) النساء. ١٢٨.

٧) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، جـ٥ ، ص ١٩٩.

١٠٠-١٠٠-١٨٠

عن عائشة رضى الله عنها " وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضًا ...."
قالت : هى المرأة تكون عند الرجل لايستكثر منها ، فيريد طلاقها ويتزوج غيرها ، تقول له : أمسكنى ولا تطلقنى ثم تزوج غيرى ، فأنت فى حل من النفقة علىّ والقسمة لى فذلك قوله تعالى : ( فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْر )(١).
والمراد من الآية : أن المرأة إذا رأت من زوجها نشوزا أى استعلاء بنفسه عنها إلى غيرها إما لبغضها أو لكبر سنها أو لدمامتها ، وكذلك إذا رأت منه "إعراضا " أى انصرافا عنها بوجهه أو ببعض منافعه التى كانت لها منه ( فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ) أى لا حرج عليها أن تترك له يومها أو تضع عنه بعض الواجب لها من الحقوق، تستعطفه بذلك وتستديم المقام فى حباله . فالصلح بترك بعض الحق استدامة للحرمة وتمسكا بعقد النكاح خير من طلب الطلاق(٢) .

إن قبول الرجل لتنازل إحدى زوجاته عن بعض حقوقها لايطعن فى عدالته فقد قبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خير خلق الله .
إنه لاحرج أيضا على الرجل إذا تنازلت له زوجته عن شىء من فرائضها المالية أو فرائضها الحيوية ، كأن تترك له جزء أو كلا من نفقتها الواجبة عليه ، أو أن تترك له قسمتها وليلتها ، إن كانت له زوجة أخرى يؤثرها وكانت هى قد فقدت حيويتها للعشرة الزوجية أو جاذبيتها(٣) .

قال تعالى : ( وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا

---

١) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب النكاح ، باب "وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا" ، ج٩ ، ص ٢١٥ ، وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب التفسير ، ج٤ ، ص ٢٣١٦ .
٢) انظر : تفسير الطبرى ، ج٥ ، ص ١٩٦ .
٣) انظر : فى ظلال القرآن ، ج٢ ، ص ٧٦٩ .

تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ) [١] .

مناسبة الآية :

"الآية نزلت فى أمر رافع بن خديج وزوجته إذ تزوج عليها شابة فآثر الشابة عليها فأبت الكبيرة أن تقر على الأثرة فطلقها تطليقة وتركها فلما قارب انقضاء عدتها خيرها بين الفراق والرجعة والصبر على الأثرة فاختارت الرجعة والصبر على الأثرة فراجعها وآثر عليها فلم تصبر فطلقها " [٢] .

ومعنى قوله تعالى : ( وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ) " أن الشح جعل حاضرا مع النفوس لايغيب عنها لأنها جبلت عليه ، والشح هو أن لايسمح الإنسان لغيره بشىء من حقه " [٣] .

فالمرأة مجبولة على الحرص على نصيبها وحقها ، وعلى الرجل أن يعذرها ويلطف بها إن رأى حرصها على نصيبها من النفقة أو ليلتها .

وبعد أن أعلمنا الله سبحانه وتعالى بالشح الحاضر مع النفوس حث على الإحسان والتقوى فقال : ( وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ) والمعنى وإن تحسنوا إلى نسائكم إذا كرهتم منهن دمامة أو خلقا أو بعض ما تكرهون منهن بالصبر عليهن وإيفائهن حقوقهن بالمعروف ، وتتقوا الله فيهن بترك الجور منكم عليهن فيما يجب لهن من النفقة والعشرة بالمعروف فإن الله خبير بأعمالكم وسوف يوفيكم جزاء ذلك المحسن بإحسانه والمسىء بإساءته [٤] .

---

١) سورة النساء ، ١٢٨ .
٢) تفسير الطبرى ، جـ٥ ، ص ٢٠١ .
٣) تفسير البيضاوى ، ص ١٣٠ .
٤) انظر : تفسير الطبرى ، جـ٥ ، ص ٢٠١ .

مبدأ الإمساك بالمعروف والتسريح بإحسان

إن الاسلام ينهى الرجل أن يستسلم لأول بادرة خلاف أو يخضع لأدنى انفعال نفسي يؤدى إلى هدم الأسرة ، ولذلك أمر الله عز وجل الزوج بالصبر في حالة كراهيته لزوجته فقد ينقلب ذلك البغض حبا والسخط رضا .

لكن قد تطرأ على الزواج أمور تحول الحياة الزوجية إلى جحيم لايطاق ومن هنا جاءت مشروعية الطلاق في الإسلام حينما يفقد الزواج مقوماته .

المراحل التي يمر بها الطلاق:

من سماحة الإسلام أنه لم يجعل الطلاق مرة واحدة تنهى العلاقة وتقوض أركان الأسرة بل جعله ثلاث مرات ولم يبح أن تلقى الطلقات دفعة واحدة بل شرعها على التدرج ليكون للزوج فسحة لمراجعة نفسه إن كان الدافع على ذلك انفعالا نفسيا (١) .

قال تعالى : ( الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ) (٢) .

مناسبة الآية :

كان الأزواج في الجاهلية يطلقون ثم يراجعون ثم يطلقون ثم يراجعون إلى ما شاء الله دون حد وكانت الزوجات لايملكن الرفض ، بل كان بعض الأزواج يفعلون ذلك من أجل الكيد والنكاية لزوجاتهم .

روى القرطبي : " أن رجلا قال لامرأته على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لا آويك ولا أدعك تحلين، قالت : وكيف ؟ قال : أطلقك فإذا دنا مضى عدتك راجعتك فشكت المرأة ذلك إلى عائشة فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله

---

١) انظر : صور من سماحة الإسلام ، ص ١٠٤ .
٢) سورة البقرة . ٢٢٩ .

هذه الآية بيانا لعدد الطلاق الذى للمرء فيه أن يرتجع دون تجديد مهر وولى"[١].

والمراد من قوله تعالى ( الطلاق مرتان ...) الآية .

" أى الطلاق الذى حكمنا فيه بثبوت الرجعة للزوج هو أن يوجد مرتان والواجب بعد هاتين المرتين إمساك بمعروف أى رجعة بحسن عشرة ولطف معاملة لا على قصد إضرار ، أو تسريح أى إرسال بترك المراجعة حتى تنقضى العدة وتحصل البينونة بإحسان أى بغير ذكر سوء بعد المفارقة و بأداء جميع حقوقها المالية "[٢].

وجملة ( فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ) وردت فى موضعين آخرين من القرآن الكريم ، قال تعالى : ( فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ )[٣].

وقال : ( فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ )[٤].

ولقد احتوت تلك الجملة على مبدأين عظيمين فى الأساس الذى يجب أن تكون عليه العلاقة الزوجية،وهما الإمساك بالمعروف أو التسريح بإحسان، ومخالفة الزوج لهذين المبدأين إثم دينى عظيم عند الله[٥].

فالطلاق يجب أن يمر فى مراحل ثلاث ولا يجوز أن يلقى الطلقات دفعة واحدة.

" أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات فقام غضبان ثم قال : " أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم ؟ حتى قام رجل فقال . يا رسول الله ألا أقتله "[٦].

---

١) الجامع لأحكام القرآن الكريم ، جـ٣ ، ص ١٢٦.
٢) التفسير المنير لمعالم التنزيل ، جـ١ ، ص ٦٢.
٣) سورة البقرة . ٢٣١.
٤) سورة الطلاق. ٢ .
٥) انظر : الدستور القرآنى والسنة النبوية فى شئون الحياة ، جـ٢ ، ص ١٢٢.
٦) سنن النسائى ، كتاب الطلاق ، باب الثلاث المجموعة وما فيه من التغليظ ، جـ٦ ،ص١٤٢.

كما ثبت عن عبد الله بن عمر قال : " قلت يا رسول الله أرأيت لو طلقت امرأتي ثلاثا أكان يحل لي أن أراجعها ؟ قال : لا ، كانت تبين منك وتكون معصية "(١) .

وإذا طلق الرجل زوجته - الطلقة الأولى أو الثانية - ثم أراد مراجعتها فلا يجوز لولي المرأة أن يمنعها من اللحوق بزوجها .

قال تعالى : ( وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ )(٢) .

مناسبة الآية:

" روى أن معقل بن(٣) يسار زوج أخته جميلة عبدالله بن عاصم فطلقها وتركها حتى انقضت عدتها ثم ندم فجاء يخطبها لنفسه ورضيت المرأة بذلك فقال لها معقل إنه طلقك ثم تريدين مراجعته . وجهي من وجهك حرام إن راجعتيه ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم معقلا وتلى عليه هذه الآية فقال معقل : رغم أنفي لأمر ربي اللهم رضيت وسلمت لأمرك ثم أنكح أخته زوجها الأول عبدالله بن عاصم "(٤) .

فالإسلام شرع الرجعة عند الطلقة الأولى والثانية ، وفي أثناء مدة تربص الرجعية شرع الإسلام أن تكون الزوجة في بيت الزوج وأن تفعل ما تفعل الزوجة لزوجها كما شرع أن تعطى لها النفقة وهذا من شأنه أن يستثير عواطف الحب . ولم يبح الإسلام إخراج الزوجة من بيت زوجها إلا إذا جاءت بفاحشة مبينة من زنا أو نشوز أو أذى لأهل البيت "(٥) .

---

١) سنن الدارقطني ، كتاب الطلاق ، حديث ٨٤ ، جـ٤ ، ص ٣١ .
٢) سورة البقرة ٠ ٢٣٢ .
٣) معقل بن يسار بن عبد الله المزني ، صحب رسول الله ، وشهد بيعة الرضوان ، سكن البصرة وإليه ينسب نهر معقل بالبصرة ، توفي بها آخر خلافة معاوية ، انظر : أسد الغابة ، جـ٤ ، ص٤٥٦ـ ٤٥٧
٤) التفسير المنير لمعالم التنزيل ، جـ١ ، ص ٦٢ .
٥) انظر : صور من سماحة الإسلام ، ص ١٠٥ .

وحينما يصل الأمر إلى الطلقة الثالثة فمعنى ذلك أن العلة عميقة. لذلك لا تجـوز المراجعة بعد الطلقة الثالثة إلا بعد أن تتزوج بغيره زواجا صحيحا ثم يفارقهـا الزوج الآخر بطلاق أو بموت .

حالات الإيلاء والظهار:

كان فى الجاهلية حالتان لهجران الزوجة دون طلاقها وهما الإيلاء والظهـار والإيلاء هو " الحلف - بالله تعالى أو بصفة من صفاته أو بنذر أو تعليق طـلاق - على ترك قربان زوجته مدة مخصوصة "(١).

والظهار هو " أن يشبه الرجل زوجته بامرأة محرمة عليه على التأبيد ، أو بجـزء منها يحرم عليه النظر إليه كالظهر والبطن والفخذ كأن يقول لها أنت عليّ كظهر أمى أو أختى ، أو بحذف كلمة على ... "(٢).

" وكان الأزواج - فى الجاهلية - يعمدون إلى هذه الطرق رغبة عن الطلاق وأنفة منه ، أو بقصد استبقاء الزوجات والإستيلاء على تركاتهن أو بقصد نكايتهـن وابتزاز أموالهن ، أو تفاديا من ولادة البنات حينما تكون الزوجة ممن يلدن البنات وحسب "(٣).

ولقد أبطل الإسلام هذه العادات الجاهلية المضرة للمرأة .

قال تعالى فى الإيلاء : ( لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَـإِنَّ

---

١) الفقه الإسلامى وأدلته ، تأليف د/وهبة الزحيلى ، جـ٧ ، ص ٥٣٦ ، دار الفكر ، ط٣ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٢) المصدر السابق ، جـ٧ ، ص ٥٨٥ .

٣) الدستور القرآنى والسنة النبوية فى شئون الحياة ، جـ٢ ، ص ١٥٦ .

اللّهَ غفورٌ رحيمٌ ، وإنْ عزموا الطَّلاقَ فإنَّ اللّهَ سميعٌ عليم )(١) .

كما قال تعالى فى الظهار : ( وما جعلَ أزواجكمُ اللّائى تُظاهرون منهنّ أمّهاتكم)(٢) .
وقال : ( الَّذينَ يُظاهرونَ منكمْ منْ نسائهمْ ماهنَّ أُمَّهاتِهمْ إنْ أُمَّهاتُهمْ إلَّا اللّائى ولدْنهمْ وإنَّهمْ ليَقولونَ منكراً منَ القولِ وزوراً وإنَّ اللّهَ لعفوٌ غفور )(٣) .

## المطلب الثالث

## الإحسان إلى الأبناء

قال تعالى : ( يا أيُّها الَّذينَ آمنوا قوا أنفسكمْ وأهليكمْ ناراً وقودُها النَّاسُ والحجارةُ عليها ملائكةٌ غلاظٌ شدادٌ لايعصونَ اللّهَ ما أمرهمْ ويفعلونَ مايؤمرونَ)(٤) .
وفى هذه الآية يحث الله عز وجل الآباء وأولياء الأمور على الإستقامة على شريعة الله والوقوف عند حدود أوامرها ونواهيها وبذلك يسلم الآباء والأولياء من عذاب السعير .
ولقد وجه الله سبحانه وتعالى الخطاب فى قوله : ( يا أيُّها الَّذينَ آمنوا قوا أنفسكم..) إلى رأس الجماعة فى الأسرة ليكون هو القدوة الحسنة لهم فى طاعة الله وفى اتقاء حرماته (٥) .

---

١) سورة البقرة ٢٢٦ - ٢٢٧ .
٢) سورة الأحزاب ٤ .
٣) المجادلة ٢ .
٤) سورة التحريم ٦ .
٥) انظر : التفسير القرآنى للقرآن ، جـ٢٨ ، ص ١٠٣٢ .

"إن الأبناء مهما كان استعدادهم للخير عظيما ومهما كانت فطرتهم نقية سليمة فإنهم لايستجيبون لمبادىء الخير ودواعي الإحسان والبر مالم يروا المربي في ذروة الأخلاق وقمة السلوك "(1).

كما نبه سبحانه وتعالى الآباء والأولياء إلى القيام بواجبهم نحو الأبناء والأهل إن من أعظم واجباتهم بعد استقامتهم على شريعة الله هو تعليم الأولاد والأهل الدين والخير وما لايستغنى عنه من الأدب(2).

" فالمسلم الواجب عليه أن يصلح نفسه أولا ويقى نفسه شر النار وغضب الجبار ثم يتجه ثانية إلى تكوين أسرته على مبادىء الدين الحنيف ويغرس في نفوسهم أدب القرآن الكريم والفضائل الإسلامية العليا ، بهذا يكون وقى أهله من النار. فلست مطالبا بنفسك فقط لا ، بل عليك نفسك ثم أهلك وأسرتك ، ثم إذا أردت زيادة في الخير فادع إلى الله واعمل في محيط إخوانك ومعارفك وأصدقائك على نشر أدب الإسلام وتعاليمه "(3).

ولقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم الآباء والأولياء على رعاية أهليهم وذويهم .

عن عبدالله بن مسعود ، قال : النبي صلى الله عليه وسلم : " كلكم راع وكلكم مسؤول فالإمام راع ومسؤول ، والرجل راع على أهله وهو مسؤول ، والمرأة راعية على بيت

---

1) الإسلام وتربية الإنسان ، إبراهيم سعادة ، ص ١٢٢ ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط١ سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
2) انظر : تفسير الطبري ، جـ٢٨ ، ص ١٠٦ - ١٠٧.
3) التفسير الواضح ، د/ محمد محمود حجازي ، جـ٢٨ ، ص ٦٤ ، مطبعة الإستقلال الكبرى ، ط٤ ، بدون تاريخ .

زوجها وهى مسؤولة، والعبد راع فى مال سيده وهو مسؤول، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول"(١).

كما قال صلى الله عليه وسلم: " ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن "(٢).

كما قال صلى الله عليه وسلم: " أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم "(٣).

## ثمار القلوب وعماد الظهور

غضب معاوية ابن أبى سفيان يوما على ابنه يزيد فأرسل إلى الأحنف بن قيس(٤) يسأله عن رأيه فى البنين فقال: " هم ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة، فإن طلبوا فأعطهم، وإن غضبوا فأرضهم فإنهم يمنحونك ودهم ويحبونك جهدهم، ولاتكن ثقيلا عليهم فيملوا حياتك ويتمنوا وفاتك "(٥).

إن عظة الأحنف هذه تبين عمق التصور الإسلامى، إنه يحث على ملاطفة الأبناء وحسن معاملتهم والرفق بهم.

إن الإسلام قبل أن يوصى الآباء بالأبناء أوصى الآباء باختيار الزوجة ذات الدين. بل جعل اختيار ذات الدين حقا للولد على أبيه.

عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين، تربت يداك "(٦).

---

١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب قوا أنفسكم وأهليكم نارا، جـ٥، ص ١٩٨٨.
٢) مسند الإمام أحمد، جـ٣، ص ٤١٢، جـ٤، ص ٧٧، ٧٨.
٣) سنن ابن ماجة، كتاب الأدب، باب بر الوالدين والإحسان إلى البنات، حديث ٣٦٧١، جـ٢، ص ١٢١١.
٤) الأحنف بن قيس: الأحنف لقب له لحنف - أى لاعوجاج - كان برجله واسمه الضحاك وقيل صخر بن قيس التميمى السعدى، أدرك النبى ولم يره، ودعا له النبى، كان أحد العلماء الدهاة العقلاء، توفى بالكوفة سنة سبع وستين، انظر: أسد الغابة، جـ١، ص ٦٨ - ٦٩.
٥) الإسلام وتربية الإنسان، ص ١٧١.
٦) صحيح البخارى، كتاب النكاح، باب الأكفاء فى الدين، جـ٥، ص ١٩٥٨.

فهذا الحديث يبين أن أول إحسان الوالد إلى ولده هو حسن اختيار أمه .

وإذا تزوج الرجل من ذات الدين ثم شاء الله تعالى له بالإنجاب منها فإن من حق الولد على أبيه أن يحسن اختيار اسمه .

عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم "(١) .

وحينما حث الرسول صلى الله عليه وسلم على الأسماء الحسنة ، ذكر نماذج للحسن والقبيح من الأسماء من باب التعليم والتيسير على الأمة .

عن أبى وهب الجشمى (٢) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تسموا بأسماء الأنبياء وأحب الأسماء إلى الله عبدالله وعبدالرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة "(٣) .

ولقد قام الرسول صلى الله عليه وسلم بتغيير بعض الأسماء القبيحة :

ثبت عن ابن عمر " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير اسم عاصية وقال أنت جميلة "(٤) .

كما أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بالرحمة للأبناء والحنو عليهم وملاعبتهم .

عن أبى هريرة أن الأقرع بن حابس (٥) أبصر النبى صلى الله عليه سلم وهو يقبل

---

١) سنن أبى داود ، كتاب الأدب ، باب فى تغيير الأسماء ، ج٥ ، ص ٢٣٦ ، وأخرجه الدارمى فى سننه ، كتاب الإستئذان ، باب فى حسن الأسماء ، ج٢ ، ص ٢٩٤ .

٢) سنن أبى داود ، كتاب الأدب ، باب تغيير الأسماء ، ج٥ ، ص ٢٣٧ .

٣) سنن أبى داود ، كتاب الأدب ، باب تغيير الإسم القبيح ، ج٥ ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ ، وأخرجه مسلم فى الأدب ، حديث ٢٨٤٠ ، باب تغيير الأسماء ، وابن ماجة فى الأدب ، حديث ٣٧٧٣ ، باب تغيير الأسماء ، الدارمى ، كتاب الإستئذان ، باب فى تغيير الأسماء ، بنحوه ، ج٢ ، ص ٢٩٥ .

٤) أبو وهب الجشمى ، له صحبة ، روى عن النبى صلى الله عليه وسلم وروى عنه عقيل بن شبيب ، سكن الشام ، انظر : أسد الغابة ، ج١ ، ص ٣٢٩ ، تهذيب التهذيب ، ج١٢ ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

٥) الأقرع بن حابس بن عقال التميمى ، شهد مع الرسول فتح مكة وحنينا وحضر الطائف . اسمه : فراس ولقب بالأقرع لقرع كان فى رأسه ، كان شريفا فى الجاهلية والإسلام ، انظر : أسد الغابة ، ج١ ، ص ١٢٨ - ١٣٠ .

حسينا فقال : إن لى عشرة من الولد مافعلت هذا بواحد منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من لايرحم لايرحم "(١) .

## التنشئة الإيمانية للأولاد

من الأمور المسلم بها عند العلماء والمربيين أن الطفل حين يولد يولد على فطرة التوحيد وعلى أصالة الطهر والبراءة .

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه "(٢) .

إن الإنحراف الأخلاقى أو العقائدى الذى نلمسه عند بعض الشباب لايعنى أن عنصر الشر متمكن فى نفوسهم ، فأصل الفطرة سليم ، والإنحراف الذى حصل لهم من البيئة التى عاشوا فيها ، من المجتمع ، وأعنى بالمجتمع البيت والشارع والسوق والمدرسة والجامعة والرفاق ... الخ .

إنك إن اشتريت سيارة جديدة ثم سرت بها فى أرض وعرة ، فلا شك بأن سيرها سيكون غير طبيعى وذلك بسبب سوء الطريق لا العطب فى آلاتها .

" فالولد قبل أن تربيه المدرسة والمجتمع يربيه البيت والأسرة وهو مدين لأبويه فى سلوكه الإجتماعى المستقيم ، كما أن أبويه مسؤلان إلى حد كبير عن انحرافه الخلقى والإجتماعى "(٣) .

---

١) سنن أبى داود ، كتاب الأدب ، باب فى قبلة الرجل ولده ، جـ٥ ، ص ٣٩١ - ٣٩٢ ، وأخرجه البخارى فى الأدب ( ٨/٨ ) ، باب رحمة الولد وتقبيله ، ومسلم فى الفضائل حديث ٢٣١٨ ، باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال ، والترمذى فى البر ، حديث ٩١٢ ، باب فى رحمة الولد ، وقال ( هذا حديث حسن صبحيح ) .

٢) مسندالحميدى ، حديث ١١١٣ ، جـ٢ ، ص ٤٧٣ ، وأخرجه مسلم فى كتاب القدر ، باب كل مولود يولد على الفطرة ، جـ٤ ، ص٥٠٤٨ .

٣) أخلاقنا الإجتماعية ، ص١٥٥ .

إنه من الواجب على الآباء أن يربطوا أولادهم بعبادة الله قولا وعملا وبالقرآن تلاوة وتدبرا وبالمساجد ملازمة واعتيادا.

قال صلى الله عليه وسلم : " مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم فى المضاجع "(١) .

ولقد رسم لنا القرآن الكريم المنهج النموذجي لتربية الأولاد حيث قال تعالى على لسان لقمان وهو يوجه ابنه : ( يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ واصْبِرْ عَلىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُور ، وَلَاتُصَعِّرْ خَدَّكَ للنَاسِ وَلَاتَمْشِ فِى الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَايُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُور )(٢) .

" إن ربط الولد بالعقيدة وتربيته على مراقبة الله فى السر والعلن والمداومة على الصلاة والمواظبة على تلاوة القرآن والتهجد فى الليل والناس نيام والإستماع إلى أخبار الصحابة واستذكار الموت وما بعده والإرتباط بالرفقة الصالحة والجماعة المؤمنة كل ذلك يقوى فى نفسه الوازع الدينى الذى يجنبه الفساد "(٣) .

وخير قدوة للأولاد يوسف عليه السلام الذى نشأ فى حجر نبى الله يعقوب - أعنى نشأ على الإيمان- تدعوه إلى نفسها امرأة ذات مكانة رفيعة وتغلق الأبواب وتيسر السبل للوقاع كما حكى القرآن :- ( وَرَاوَدَتْهُ الَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ )(٤) . فماذا كان موقفه أمام هذا الإغراء : ( قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّيَ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُ لايُفْلِحُ الظَّالِمُونَ )(٥) .

---

١) سنن أبى داود ، كتاب الصلاة ، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة ، جـ١ ، ص ٣٣٤.
٢) سورة لقمان. ١٧ - ١٨.
٣) الإسلام وتربية الإنسان ، ص ١٧.
٤) ٥) يوسف. ٢٣.

ولقد حاولت امرأة العزيز أن تذيب صلابة يوسف بالإغراء والتهديد، وأعلنت ذلك للنسوة فى ضيق وغيظ .

( وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ )(١) .

ولكن يوسف عليه السلام إتجه بكليته إلى الله تعالى يسأله المعونة والعصمة ويقول:
( رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ )(٢) .

ولنستمع الآن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعلم الغلمان ويزرع في نفوسهم رقابة الله والتوكل عليه سبحانه وتعالى :

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :كنت رديف النبى صلى الله عليه وسلم يوما وأنا غلام فقال : " يا غلام إنى أعلمك كلمات إحفظ الله يحفظك ، إحفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله وإذا إستعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك . وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك .. رفعت الأقلام وجفت الصحف "(٣) .

قال عبدالله بن دينار : " خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى مكة فانحدر بنا راع من الجبل فقال له عمر ممتحنا يا راعى : بعنى شاة من هذه الغنم .... فقال : إنى مملوك ، فقال عمر : قل لسيدك أكلها الذئب ... فقال الراعى فأين الله ؟ فبكى عمر رضى الله عنه ثم غدا مع المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه

---

١) يوسف. ٣٢.
٢) يوسف. ٣٣.
٣) سنن الترمذى ، كتاب صفة القيامة والرقاق والورع ، باب رقم٥٩ ، حديث ٢٥١٦ ،جـ٤ ، ص٥٧٦ ، وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده ، جـ١ ، ص ٢٩٣.

وقال له : أعتقتك فى الدنيا هذه الكلمة وأرجو أن تعتقك فى الآخرة "[١].

إن إيمان هذا المملوك عميق فى نفسه ولايتزعزع أمام أى إغراء ، إنه دائم الإستشعار برقابة الله ، وهذه تربية رسول الله ، فقد تمكن الرسول من إيجاد جيل متفرد فى معتقداته وأخلاقياته ، ينظر إلى الدنيا على أنها فانية وينظر إلى الجنة على أنها وطنه الأصلى .

" وتلك امرأة فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذهب زوجها إلى الجهاد وغاب عنها كثيرا فتخيّم عليها كآبة الوحشة ويثور فى عروقها دم الأنوثة وتتأجج فيها نار الغريزة فلا يصدها عن ارتكاب المحرم إلا حاجز الإيمان ووازع المراقبة لله . وفى جنح الليل البهيم سمعها عمر تنشد :

لَقَدْ طَالَ هَذا اللَّيلُ واسْوَدَّ جَانِبُه *** وأَرَّقَنى ألاَّ حَبِيبَ أُلاعِبُه
فَواللهِ لَوْلاَ اللهَ تَخْشَى عَواقِبُه *** لَحُرِّكَ مِنْ هَذَا السَّرِيْرِ جَوانِبُه

وفى اليوم التالى دخل الفاروق على ابنته حفصة أم المؤمنين فقال لها : كم تصبر الزوجة على زوجها إذا غاب ؟ قالت أربعة أشهر ، فأرسل الخليفة إلى قواده المرابطين فى جبهات القتال يأمرهم ألا يحبسوا جنديا عن أهله أكثر من هذه المدة "[٢].

## لقد عققت ولدك قبل أن يعقك:

" جاء رجل إلى عمر بن الخطاب يشكو إليه عقوق ابنه فأحضر عمر الولد وأنبه على عقوقه لأبيه ونسيانه لحقوقه عليه ، فقال الولد : يا أمير المؤمنين أليس للولد حق على أبيه ؟ قال : بلى ، قال فما هى يا أمير المؤمنين ؟ قال عمر :

١) الإسلام وتربية الإنسان ، ص ٢٧.
٢) المصدر السابق ، ص ١٨.

أن ينتقى أمه ، ويحسن إسمه ويعلمه الكتاب ، قال الولد : يا أمير المؤمنين إن أبى لم يفعل شيئا من ذلك ، أما أمى فإنها زنجية كانت لمجوسى ... وقد سمّانى جُعلا ولم يعلمنى من الكتاب حرفا واحدا فالتفت عمر إلى الرجل وقال له : جئت إلـــىّ تشكو عقوق ابنك وقد عققته قبل أن يعقك وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك "(١) .

هكذا أنصف عمر الفاروق الولد من أبيه .

من حقوق الأولاد :

١) يجب على الوالدين أن يعملا على تقوية شخصية الطفل حتى ينشأ شجاعا نافعـا لأهله ووطنه ، فالقسوة على الطفل تهدم شخصيته وتصنع منه إنسانا رعديـــدا جبانا ." إن مخالفة الطفل لأوامر أبويه أو للأنظمة السائدة فى عالم الكبـــار ليست دائما عنوان خبث الطفل وتمكن الشر من نفسه "(٢) . فتمرد الطفل فـــى بعض الأحيان دلالة على حيويته ونجابته .

" إن الولد إذا عومل من قبل أبويه ومربيه المعاملة القاسية بالضرب الشديد والتوبيخ القارع والتحقير والإزدراء والتشهير والسخرية فإن ردود الفعل ستظهـر فى سلوكه وخلقه ، وتبدو ظاهرة الخوف والإنكماش فى تصرفاته وأفعاله "(٣) .

قال صلى الله عليه وسلم : " الراحمون يرحمهم الرحمن إرحموا من فـــى الأرض يرحمكم من فى السماء "(٤) .

وقال : " من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا "(٥) .

---

١) أخلاقنا الإجتماعية ، ص ١٦١ .
٢) المصدر السابق ، ص ١٥٨ .
٣) الإسلام وتربية الإنسان ، ص ١٧١ .
٤) سنن أبى داود ، كتاب الأدب ، باب الرحمة ، جـ٥ ، ص ٢٣١ .
٥) المصدر السابق ، كتاب الأدب ، باب الرحمة ، جـ٥ ، ص ٢٣٣ .

ولقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لايجوز للآباء محاربة مافطر عليه الأبناء من حب اللهو واللعب ٠

عن سهل بن سعد [(١)] قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على صبيان وهم يلعبون بالتراب فنهاهم بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقال دعهم فإن التراب ربيعُ الصبيان " [(٢)] ٠

٢) العمل على تنمية الجرأة الأدبية عند الطفل ٠ فإذا تكلم فليصغ له أبواه فإذا أخطأ فليقوّم ولكن بلطف٠

" جاء وفد الحجاز إلى عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه مهنئا له بالخلافة فتقدم منهم للكلام غلام صغير السن فقال له عمر : إرجع أنت وليتقدم من هو أكبر منك فقال الغلام : أيد الله أمير المؤمنين، المرء بأصغريه قلبه ولسانه فإذا منح الله العبد لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد استحق الكلام ... ولو أن الأمر يا أمير المؤمنين بالسن لكان فى الأمة من هو أحق منك بمجلسك هذا " [(٣)] ٠

لقد كان هذا الغلام جريئا واثقا من نفسه فتكلم دونما خوف أو وجل ولم يعب عليه الخليفة الخامس صنيعه وذلك لأن جرأته كانت فى حدود الأدب ٠

٣) العمل على تقوية روح التعاون والحب فى نفس الطفل، حتى يكون نافعا لأهله متعاونا مع بنى شعبه بانيا لوطنه ٠

---

١) سهل بن سعد : أنصارى ساعدى ، كان اسمه حزنا فسماه رسول الله سهلا ، وكان له يوم توفى الرسول خمس عشرة سنة ، طال عمره حتى أدرك الحجاج وامتحن معه ، توفى سنة ثمان وثمانين وهو ابن ست وتسعين سنة وقيل توفى سنة إحدى وتسعين وقد بلغ مائة سنة ٠ انظر : أسد الغابة ، جـ٢ ، ص ٣٢٠٠

٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، كتاب البر والصلة ، باب لعب الأولاد ، جـ٨ ، ص ١٥٩٠

٣) الإسلام وتربية الإنسان ، ص ٩٨٠

قال تعالى : ( وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَاتَتَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ )[(١)] .

٤) أن يراقب الأبوان أولادهم حتى لايرتادوا الأماكن الموبوءة حين الذهاب إلى المدرسة وحين العودة منها .

٥) مراقبة الأولاد فيما يطالعون ويقرأون ، فالأسواق - نظرا لإقصاء القرآن عن الحكم وغياب الرقابة الشرعية - مليئة بالكتب والمجلات والقصص الغرامية التى تخرب أخلاق الكبار فضلا عن الصغار .

٦) دوام تحذير الأولاد من رفاق السوء ومراقبة ذلك .

٧) نظرا لأن الفراغ قاتل للأولاد فى سن المراهقة وقبله فإنه من الواجب على الوالدين أن يشغلا وقت فراغ أولادهم وذلك بتعويدهم على العبادات لاسيما الصلاة وكذلك تعليمهم لفنون الفروسية والسباحة والقفز والرماية ، وكذلك حثهم على المطالعة الهادفة.

٨) ألا يبخل الآباء على أولادهم فى سبيل تعليمهم وتثقيفهم حتى يكونوا قرة عين لهم ، فهم الذين يرفعون ذكرهم ويحملون أسماءهم ويجددون تراثهم وتاريخهم.

## أيها الأباء إتقوا الله:

يلمس الباحث - أن بعض الآباء فى بلاد الشام يظلمون أبناءهم وبناتهم ، وسوف يبين الباحث بعض مظالم الأبناء والبنات ثم سيناقش ذلك من خلال فهمه للإسلام

أولا: الأبناء : ويتمثل ظلم الآباء للأبناء فى الأمور الآتية:

---

١) سورة المائدة. ٢.

١) رغبة الأب أو الأم فى فرض سلطانهما على الولد بعد زواجه كما اعتادا ذلك أيام طفولته وعزوبته وحمله على القسوة على زوجته وتعذيبها وأحيانا على الطلاق منها لأنها لاتخضع لهما ولاتنسجم معهما [(١)] •

وهذه الأخلاق جاهلية • فقد أمر الإسلام بالإحسان إلى الزوجة ولقد بين الباحث ذلك فى مطلب الإحسان إلى الزوجة • فالنساء شقائق الرجال •

نعم إن من حق الأبوين مراقبة سلوك الولد وزوجته ونصحهما وإرشادهما لكن ليس من حقهما حمل الولد على القسوة على زوجته لأنها لاتنسجم معهما •

٢) أن يجبر الأب أبناءه المتزوجين على البقاء معه فى البيت وعدم الإستقلال •• وقد يكون فى البيت أكثر من ابن متزوج ، فيصبح البيت كخلية النحل ومن ثم لايجد الأزواج الراحة النفسية والبدنية •

" ولهذه العادة محاذير متعددة من جهة الشرع والأخلاق والصحة النفسية والجسمية والآن وقد تطورت الحياة وتعددت مشكلاتها ومطاليبها وتطور بناء البيوت من الأسلوب الإسلامى الشرقى إلى الأسلوب الغربى الحديث لم يعد من المستحسن أن يستمسك الأبوان بهذه العادة ، ومن الخير لهماولولدهما أن يهيئا بأنفسهما له سكنا خاصا خارج بيتهما لتظل علاقات الود والحب والإحترام قائمة بينهما وبين ولدهما وزوجه " [(٢)] •

٣) " ومن ضروب ظلم الوالدين الجاهلين للولد العاقل الرشيد : منعه من استعمال مواهبه فى ترقية نفسه فى العلوم والأعمال ولاسيما إذا توقف ذلك على السفر والترحال " [(٣)] •

---

١) انظر : أخلاقنا الإجتماعية ، ص ١٦٥ •
٢) المصدر السابق ، ص ١٦٥ •
٣) تفسير المنار ، ج٥ ، ص ٧٢ •

فلا يجوز لأحد الأبوين أن يستبد فى تصرفاتنا • فالبر والإحسان لايقتضيان سلب الحرية والإستقلال •

ثانيا : البنات: تعامل البنات فى الأوساط الجاهلية معاملة القسوة والإهمال والإمتهان تقذف البنت من أرحام الأمهات فنستقبلها بالعبوس ، وإذا كانت ثالثة أخواتها أو رابعتهن كانت ولادتها مصيبة تجزع لها الأم • وإذا نشأت الطفلة فى البيت كانت أول ماتسمع كلمات الدعاء عليها بالموت ونحن نمازحها ونداعبها ، فإذا طلبت شيئا أفهمناها أنها أرخص من أن تعطى ما تطلب ، فإذا اختصمت مع أخيها فضربته ضربناها وصرخنا فى وجهها ليرضى ، فإذا كبرت عاملناها كالخادم وبخلنا عليها بكلمة ثناء ، فإذا بلغت سن الزواج قطعنا الأمر دونها وسقناها إلى الزوج مكرهة أو ساخطة وياويلها إن أبدت رأيها بالإعراض فهى حينئذ الوقحة سيئة الأدب(١) •

إن الأخلاقيات السابق ذكرها جاهلية جاء الإسلام لحربها والقضاء عليها ، ولقد ندد القرآن الكريم بعادة التشاؤم من البنات :
( وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ، يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)(٢) •

فالسبيل الصحيح فى نظر الإسلام أن تستقبل البنت بالبشر لا بالعبوس • فالبنت كالإبن ولايجوز للأبوين أن يؤثرا الإبن على البنت •

عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( من كانت له أنثى فلم

---

١) انظر : أخلاقنا الإجتماعية ، ص ١٣١ •

٢) النحل • ٥٨ـ ٥٩ •

يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها - قال : يعى الذكور - أدخله الله الجنة"[(١)] .

كما حث الإسلام على الهش فى وجوه الأطفال وحملهم رحمة بهم .

جاء فى الصحيح عن أبى قتادة[(٢)] قال : بينما نحن على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوس إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل أُمامة بنت أبى العاص بن الربيع وأمها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى حبيبة : فصلى وهى على عاتقه يضعها إذا ركع ويعيدها على عاتقه إذا قام حتى قضى صلاته"[(٣)]

كما ثبت عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم : " إن لكل شجرة ثمرة وثمرة القلب الولد إن الله لايرحم من لايرحم ولده .... "[(٤)]

كما وصى الإسلام بوجوب العدالة فى توزيع الأعطيات على الأولاد ، فلا يجوز للإنسان أن يخص الأبناء دون البنات فى مطعم أو مشرب أو ملبس أو هدية ... الخ .
قال صلى الله عليه وسلم : " إتقوا الله واعدلوا فى أولادكم "[(٥)] .

كما حث الإسلام على إحسان رعاية البنات وتأديبهن ، وجعل الجنة جزاء لمن يفعل ذلك .

أخرج الحميدى فى مسنده عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه

---

١) سنن أبى داود كتاب الأدب باب فضل من عال يتيما ، جـ٥ ، ص ٣٥٤ .

٢) أبو قتادة : إسمه الحارث بن ربعى الأنصارى الخزرجى السلمى ، وقيل اسمه النعمان ، فارس رسول الله ، اختلف فى شهوده بدرا ، وشهد أحدا وما بعدها من المشاهد ، توفى سنة أربع وخمسين بالمدينة وقيل توفى بالكوفة فى خلافة على وصلى عليه على. انظر : أسد الغابة ، جـ٥ ، ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

٣) سنن النسائى ، كتاب المساجد ، باب إدخال الصبيان المساجد ، جـ٢ ، ص ٤٥ - ٤٦ .

٤) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، كتاب البر والصلة ، باب ماجاء فى الأولاد ، جـ٨ ، ص ١٥٥ .
هذا الحديث ضعيف فيه أبو مهدى سعيد بن سنان وهو ضعيف متروك.

٥) صحيح مسلم ، كتاب الهبة ، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد فى الهبة ، حديث ١٣ ، جـ٣ ، ص١٢٤٢ - ١٢٤٣ .

وسلم : من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو ابنتان أو أختان فأحسن صحبتهن وصبر عليهن دخل الجنة "(١).

وأخرج البخاري في صحيحه عن عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته قالت : جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني فلم تجد عندي غير تمرة واحدة فأعطيتها فقسمتها بين ابنتيها ، ثم قامت فخرجت فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال : من يلى من هذه البنات شيئا فأحسن كن له سترا من النار "(٢).

وأخرج أبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري قال : " من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن إليهن فله الجنة "(٣).

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة ، والمثل الأعلى لنا في مجال الإحسان إلى البنات وفي كل المجالات .

عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت :" ما رأيت أحدا كان أشبه سمتا وهديا ودلا برسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة كرم الله وجهها : كانت إذا دخلت عليه قام إليها فأخذ بيدها وقبلها وأجلسها في مجلسه وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فقبلته وأجلسته في مجلسها "(٤).

---

١) مسند الحميدى ، حديث ٧٣٨ ، جـ٢ ، ص ٣٢٤.

٢) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الأدب ، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ، ج ١٠، ص ٤٤٠، وأخرجه مسلم بنحوه في صحيحه ، كتاب البر والصلة ، باب فضل الإحسان إلى البنات ، جـ٤ ، ص ٢٠٢٧.

٣) سنن أبى داود ، كتاب الأدب ، باب فضل من عال يتيما ، جـ٥ ، ص ٣٥٥ ، وأخرجه الترمذى في البر ، حديث ١٩١٣ ، باب ما جاء في النفقة على البنات .

٤) سنن أبى داود ، كتاب الأدب ، باب ماجاء في القيام ، جـ٥ ، ص ٣٩١ ، وأخرجه الترمذى في المناقب ، حديث ٣٨٧١ ، باب فضل فاطمة رضى الله عنها ، وقال ( هذا حديث غريب من هذا الوجه ).

إن مبدأ الإحسان إلى البنات وحسن رعايتهن- الذى يحث عليه الإسلام- هو الذى دفع الصحابى الجليل الشاب جابر بن عبدالله للزواج من امرأة كبيرة ثيب وذلك لترعى أخواته السبعة أو التسعة، اللاتى أصبحن أمانة فى عنقه بعد موت أبيه عبدالله فى غزوة أحد.

عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال هلك أبى وترك سبع بنات أو تسع بنات فتزوجت امرأة ثيبا، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تزوجت يا جابر "فقلت : نعم، فقال : " بكرا أم ثيبا " قلت بل ثيبا، قال : " فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحكك " قال : فقلت له : إن عبدالله هلك وترك بنات وإنى كرهت أن أجيئهن بمثلهن فتزوجت امرأة تقوم عليهن وتصلحهن فقال : " بارك الله لك : أو قال خيرا "(١).

وإذا أشرفت الفتاة على سن الزواج فليس من حق الأبوين إجبارها على الزواج بمن لاترغب فيه، فقد قرر الإسلام أخذ رأيها فى الزوج واعتبر سكوتها حياء دليل الرضا.

عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " لاتنكح الأيم حتى تستأمر ولاتنكح البكر حتى تستأذن" قالوا : يارسول الله، وكيف إذنها ؟ قال : " أن تسكت"(٢).

فإذا أمضى الأب عقد الزواج دون رضى ابنته فإن من حقها أن تتوجه إلى القاضى المسلم، وهو فى هذه الحالة سينصفها وسيوقف إنفاذ هذا العقد.

عن خنساء بنت خدام الأنصارية : أن أباها زوجها وهى ثيب فكرهت ذلك فأتت رسول

---

١) صحيح البخارى، كتاب النفقات، باب عون المرأة زوجها فى ولده، جـ٥، ص ٢٠٥٣.
٢) المصدر السابق، كتاب النكاح، باب لاينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها، جـ٥، ص ١٩٧٤.

الله صلى الله عليه وسلم فردّ نكاحه "(١).

ولقد جاء فى الصحيح خبر مغيث الذى كان عظيم الحب لزوجته بريرة التى بانت منه ، وكان يسير وراءها فى السكك ودموعه تسيل على لحيته حبا لها ورغبة فى رجوعها إليه ، ومع عظيم حبه لها لم يأمر الإسلام برجوعها إليه .

فقد ذهب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بريرة يشفع برجوعها إلى مغيث شفقة به فرفضت وذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأمرها وإنما جاء شافعا وليس عندها رغبة فى الرجوع .

عن ابن عباس أن زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث ، كأنى أنظر إليه ، يطوف خلفها ويبكى ودموعه تسيل على لحيته ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعباس : " يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيثا " فقال النبى صلى الله عليه وسلم : " لو راجعته " . فقالت : يارسول الله تأمرنى ؟ قال : " إنما أنا أشفع " قالت : لا حاجة لى فيه "(٢).

## المطلب الرابع

## الإحسان إلي ذى القربى

قال تعالى : ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾(٣).

لقد وصى الله سبحانه وتعالى بالوالدين فى أكثر من موضع . وكان سبحانه كلما

---

١) صحيح مسلم ، كتاب النكاح ، باب إذا زوج ابنته وهى كارهة فنكاحه مردود ،جـ٥ ، ص ١٩٧٤.

٢) المصدر السابق ، كتاب الطلاق ، باب شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم فى زوج بريرة ، جـ٥ ، ص ٢٠٢٣.

٣) الإسراء ، ٢٦.

أوصى بالوالدين يعقب بالوصية بذى القربى ، أى يوصى بصلة الرحم .

وفى هذه الآية يوصى سبحانه وتعالى بالقرابة - من جهة الأب والأم - أن يُؤتوا حقهم من صلة الرحم والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك [(١)] . فالصلة المادية أو المعنوية حق لذى القربى .

والقرآن يجعل لذى القربى حقا فى الأعناق ، فليس هو تفضلا من أحد على أحد إنما هو الحق الذى فرضه الله ووصله بعبادته وتوحيده ، الحق الذى يؤديه المكلف فيبرئ ذمته ويصل المودة بينه وبين من يعطيه [(٢)] .

" والسبب العقلى فى تأكيد رعاية هذا الحق أن القرابة مظنة الإتحاد والألفة والنصرة ولهذا صار كالتابع لحق الوالدين لأن الإنسان إنما يتصل به أقرباؤه بواسطة اتصالهم بالوالدين " [(٣)] .

ولو لم تحصل الصلة بين ذى القربى لكان ذلك أشق على القلب وأبلغ فى الإيلام والإيحاش والضرورة ولذلك وجبت رعاية حقوق الأقارب [(٤)] .

وفى حالة سوء الأوضاع المعيشية للمسلم فإنه لايجوز له أن ينقطع عن أقربائه أو يعرض عنهم ، فالصلة المعنوية لابد منها ، فليذهب إلى أقربائه وليعدهم الوعد الحسن .

قال تعالى : ( وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً ) [(٥)]

---

١) انظر : مختصر تفسير الخازن ، جـ٢ ، ص ٤٤٦ - ٤٤٧١ .
٢) انظر : فى ظلال القرآن ، جـ٤ ، ص ٢٢٢٢ .
٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، جـ١ ، ص ٣٢٥ .
٤) انظر : تفسير الرازى ، جـ٣ ، ص ١٧٨ .
٥) الإسراء . ٢٨ .

مناسبة الآية:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سأله فقراء أصحابه ولم يكن عنده مايعطيهم أعرض عنهم حياء منهم ورحمة لهم وسكت فأنزل الله هذه الآية يحث فيها النبى صلى الله عليه وسلم أن يؤمل الفقراء برزق الله وعلى الوعد الحسن. فكان صلى الله عليه وسلم إذا سئل ولم يكن عنده مايعطى قال: يرزقنا الله وإياكم من فضله [(١)].

وهذه الآية وإن نزلت فى خصوص النبى صلى الله عليه وسلم إلا أنها عامة فى حق جميع المسلمين فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

" والمعنى أن عند حصول الفقر والقلة لاتترك تعهدهم - أى الأقرباء - بالقول الجميل والكلام الحسن بل تعدهم بالوعد الجميل وتذكر لهم العذر وهو حصول القلة وعدم المال أو تقول لهم الله يسهل"[(٢)].

ولقد أكدت السنة النبوية على صلة الرحم وحذرت من القطيعة.

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: " خلق الله الخلق حتى إذا فرغ منه قالت الرحم هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يارب، قال فهو لك. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقرؤا إن شئتم: ( فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ)[(٣)]"[(٤)].

---

١) انظر: الوجيز فى تفسير القرآن العزيز، جـ١، ص ٤٧٧.

٢) تفسير الرازى، جـ٢٠، ص ١٩٦.

٣) سورة محمد. ٢٢.

٤) فتح البارى، صحيح البخارى، كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله، جـ١٠، ص ٤٣٠، وأخرجه مسلم بنحوه، كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، حديث ١٦، جـ٤، ص ١٩٨٠ - ١٩٨١.

كما ثبت عن عبدالرحمن بن عوف : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يقول الله : أنا الله وأنا الرحمن، خلقت الرحم واشتققت لها اسما من إسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته "(١).

كما صح عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله "(٢).

ولقد حذر القرآن الكريم من قطيعة الرحم وحكم باللعنة وسوء الدار لقاطعي أرحامهم قال تعالى : ( وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ "(٣).

كما قرن سبحانه وتعالى بين القطيعة والإفساد فى الأرض ووعد القاطعين المفسدين بالخسران.

قال تعالى : ( الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ )(٤).

عن جبير بن مطعم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " لايدخل الجنة قاطع" قال ابن عمر : قال سفيان : يعنى قاطع رحم"(٥).

ولقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على صلة الرحم فقد ثبت : عن عبد الله بن سلام قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة استشرفه الناس فقالوا

---

١) مسند الحميدى، حديث ٦٥، جـ١، ص ٣٦.

٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، حديث ١٧، جـ ٤، ص ١٩٨١.

٣) سورة الرعد. ٢٥.

٤) سورة البقرة. ٢٧.

٥) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، حديث ١٨، جـ٤، ص ١٩٨١.

قدم رسول الله قدم رسول الله فخرجت فيمن خرج فلما رأيت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب فكان أول ماسمعته يقول يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام"(١).

وحينما جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله عن عمل يدخله الجنة ، عدّ له أعمالا وكان من بينها صلة الرحم.

عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه أن رجلا قال : يارسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة فقال القوم : مالُه مالُه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرب ماله ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : "تعبد الله لاتشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصل الرحم ، ذرها ، قال: كأنه كان على راحلته"(٢).

وزاد مسلم " فلما أدبر قال رسول الله : إن تمسك بما أمر به دخل الجنة"(٣).

ولقد نبه الرسول صلى الله عليه وسلم على أن أولى الناس بالبر والمعونة الأقرباء فقد صح أن أبا طلحة(٤) قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " إن

---

١) سنن الدارمى ، كتاب الصلاة ، باب فضل صلاة الليل ، جـ١ ، ص ٣٤٠ - ٣٤١.

٢) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الأدب ، باب فضل صلة الرحم ، جـ١٠ ، ص ٤٢٨.

٣) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان الذى يدخل به الجنة ، حديث ١٤ ، جـ١، ص ٤٣.

٤) أبوطلحة : إسمه زيد بن سهيل الأنصارى البخارى ، وهو عقبى بدرى نقيب ولما هاجر رسول الله والمسلمون إلى المدينة آخى رسول الله بينه وبين أبى عبيدة بن الجراح ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ، له يوم أحد مقام مشهود ، كان يقى رسول الله بنفسه ويرمى بين يديه ويتطاول بصدره ليقى رسول الله ويقول" نحرى دون نحرك ، ونفسى دون نفسك " قَتَل يوم حنين عشرين رجلا وأخذ أسلابهم ، مات سنة إحدى وخمسين . انظر : أسد الغابة ، جـ٥ ، ص ١٨١ - ١٨٢.

الله يقول فى كتابه ( لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّون )[١] وأنا أحب أموالى إلىّ بيرُحى وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها[٢] عند الله فضعها يارسول الله حيث شئت ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " بخ[٣] ذلك مال رابح . قد سمعت ما قلت فيها وإنى أرى أن تجعلها فى الأقربين " فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه[٤].

صح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من سره أن يبسط له فى رزقه وأن ينسأ له فى أثره فليصل رحمه "[٥].

كما ثبت عن سلمان بن عامر الضبى[٦] أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصدقة على المسكين صدقة وهى على ذى الرحم ثنتان صدقة وصلة "[٧].

وفى حالة مقابلة ذى القربى الإحسان عليهم بالإساءة فإن الإسلام رغب فى استمرار الإحسان أو المعونة رغم مقابلة هذه المعونة بالنكران والإساءة .

قال تعالى : ( وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيم )[٨].

---

١) آل عمران . ٩٢.

٢) أرجو برها وذخرها : يعنى لا أريد ثمرتها العاجلة الدنيوية الفانية ، بل أطلب مثوبتها الآجلة الأخروية الباقية .

٣) بخ : بإسكان الخاء وتنوينها مكسورة الأمر وتضخيمه .

٤) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ، حديث ٤٢ ، جـ٢ ، ص٦٩٣.

٥) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الأدب ، باب من يبسط له فى الرزق بصلة الرحم ، جـ١٠ ، ص ٤٢٩ . وأخرجه مسلم ، بلفظ من أحب ، كتاب البر والصلة ، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها ، حديث ٢١ ، جـ٤ ، ص ١٩٨٢م.

٦) سلمان بن عامر بن أوس الضَّبِّى ، جزم البخارى بأن له صحبة ، قال مسلم بن الحجاج : لم يكن فى الصحابة ضبى غيره ، نزل البصرة ومات بها وذلك فى خلافة عثمان . انظر : أسد الغابة ، جـ٢ ، ص ٢٦٤ ، الإصابة فى تمييز الصحابة ، جـ٣ ، ص ١١٢ - ١١٣.

٧) مسند الحميدى ، حديث ٨٢٣ ، جـ٢ ، ص ٣٦٣.

٨) سورة النور . ٢٢.

مناسبة الآية :

" قال المفسرون نزلت هذه الآية فى أبى بكر حيث حلف ألا ينفق على مسطح - وهو ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين وقد كان يتيما فى حجره وكان ينفق عليه - وأن لاينفق على ذوى قرابته لما خاضوا فى أمر عائشة . فلما نزلت الآيات التى أبرأت عائشة من الإفك قال لهم أبوبكر قوموا فلستم منى ولست منكم ولايدخلن أحد منكم علىّ فقال مسطح ننشدك الله والإسلام والقرابة أن لاتحوجنا إلى أحد فما كان لنا فى أول الأمر من ذنب وإنما كنت أغشى مجلس حسان وأسمع ولا أقول ، فقال لمسطح إن لم تتكلم فقد ضحكت وشاركت فيما قيل ، فقال قد كان ذلك تعجبا من قول حسان فلم يقبل عذره وقال: إنطلقوا أيها القوم فإن الله لم يجعل لكم عذرا ولا فرجا فخرجوا لايدرون أين يذهبون وأين يتوجهون من الأرض وبعض الصحابة أقسموا أن لايتصدقوا على من تكلم بشئ من الإفك ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى بكر وقرأ عليه الآية فلما وصل إلى قوله ( أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ) قال بلى يارب إنى أحب أن تغفر لى فذهب أبوبكر إلى بيته وأرسل إلى مسطح وأصحابه وقال : " قبلت ما أنزل الله تعالى على الرأس والعين وإنما فعلت بكم ما فعلت إذ سخط الله عليكم أما إذ عفا عنكم فمرحبا بكم ، فرجع إلى مسطح نفقته وحلف ألا ينزعها منه أبدا وألطف بقرابته وأحسن إليهم "[1].

ولق أكد الرسول صلى الله عليه وسلم هذه المعانى التى جاءت بها الآية فقد ثبت عن حكيم بن حزام أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الصدقات أيها أفضل قال على ذى الرحم الكاشح[2] "[3].

---

١) مراح لبيد ، جـ٢ ، ص ٧٩.

٢) الكاشح : المعادى . انظر : المعجم الوسيط ، قام بإخراج هذه الطبعة د /إبراهيم أنيس ود /عبدالحليم منصور ، عطية الصوالحى،محمد شوقى أمين ، جـ٢ ، ص ٧٨٨ ، دار إحياء التراث العربى ، ط٢ ، بدون تاريخ.

٣) سنن الدارمى ، كتاب الزكاة ، باب الصدقة على القرابة ، جـ١ ، ص ٣٩٧.

كما ثبت عن عبدالله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، " ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها "[١].

ولقد جاء فى الصحيح أن الله سبحانه وتعالى مؤيد وناصر للمسلم الذى يصبر على أذى قرابته ولايقطع إحسانه عليهم .

عن أبى هريرة أن رجلا قال : يارسول الله ! إن لى قرابة ، أصلهم ويقطعونى ، وأحسن إليهم ويسيؤون إلىّ ، وأحلم عنهم ويجهلون علىّ[٢] ، فقال : " إن كنت كما قلت فكأنما تُسِفُّهُمُ الملّ[٣] ، ولايزال معك من الله ظهير[٤] عليهم مادمت على ذلك "[٥].

## المطلب الخامس

## الإحسان إلى اليتامى

اليتامى : جمع يتيم مثل أسير وأسارى " وهو الذى مات أبوه وهو طفل صغير فإذا بلغ الحلم زال عنه اليتم "[٦] ويدخل فى اليتامى الذكور منهم والإناث[٧].

ولقد اعتنى الإسلام باليتامى وحث علي رعاية حقوقهم وذلك لأن اليتيم مخصوص بأنواع من العجز وهى " الصغر واليتم وعدم المنفق " ولاشك أن من هذا حاله

---

١) مسند الحميدى ، حديث ٥٩٤ ، جـ٢ ، ص ٢٧١ .
٢) ويجهلون علىّ : أى يسيؤون ، والجهل هنا القبيح من القول .
٣) الملّ : هو الرماد الحار أى كأنما تطعمهموه .
٤) ظهير : الظهير المعين والدافع لأذاهم .
٥) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب صلة الرحم وتحريم قطعيتها ، حديث ٢٢ جـ٤ ، ص ١٩٨٢ .
٦) مختصر تفسير الخازن ، جـ١ ، ص ٤٢ .
٧) تفسير الطبرى ، جـ١ ، ص ٣٠٩ .

كان فى غاية العجز واستحقاق الرحمة . فهو لايقدر أن ينتفع بنفسه أو يقـــوم بحوائجه [١].

كان اليتيم ضائعا فى المجتمع العربى الجاهلى، وكثرة التوجهات الـــواردة فى القرآن تشى بما كان فاشيا فى ذلك المجتمع من ضيعة اليتيم فيه، حتى انتدب الله يتيما كريما فيه، فعهد إليه بأشرف مهمة فى الوجود حين عهد إليه بالرسالة إلى الناس كافة وجعل من آداب هذا الدين رعاية اليتيم وكفالته [٢].

ومن أوائل مانزل من الآيات فى حق اليتامى قوله تعالى: ( أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ) [٣] ثم طلب سبحانه من محمد صلى الله عليه وسلم أن يشكر تلك النعمـــة - وهى رعاية الله له - وأن يكون شكرها من جنسها عطفا على اليتيم ورحمة بـــه ( فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ) [٤].

ثم جعل سبحانه وتعالى ازدراء اليتيم وإهمال أمره آية من آيات التكذيـــب بيوم الدين ( أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ . فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ) [٥].

كما جعل سبحانه وتعالى الوصية باليتيم إحدى الوصايا العشر التى لم تنسخ فى ملة من الملل ونظمها مع الإيمان بالله فى سلك واحد .
( قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ) إلى قوله ( وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ) [٦].

---

١) انظر : تفسير الرازى، جـ١٠ ، ص ٩٩ ، مختصر تفسير الخازن، جـ١ ،ص٤٢ ، جـ٢ ،ص٢٤٠.
٢) انظر : فى ظلال القرآن، جـ٣ ، ص ١٢٣٢ .
٣) سورة الضحى. ٦.
٤) سورة الضحى. ٩.
٥) الماعون. ١ - ٢.
٦) الأنعام. ١٥٢.

كما كرر سبحانه وتعالى الوصية بالأيتام في سورة الإسراء حيث قال : ( وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ )(١) .

والمراد من الآية أن الله سبحانه وتعالى قضى بأن لاتقربوا مال اليتيم بأكل إسرافا وبدارا أن يكبروا ولكن اقربوه بالفعلة التي هي أحسن والخلة التي هي أجمل وذلك أن تتصرفوا فيه له بالتثمير والإصلاح والحيطة(٢) فلا يجوز لنا أن نتصرف في مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ، أي بما فيه صلاحه وتثميره وذلك بحفظ أصوله وتثمير فروعه(٣) .

" والنهي عن قربانه - أي قربان مال اليتيم - مبالغة في النهي عن المباشرة له وإتلافه "(٤) .

" والأولى في تحقيق بلوغ الأشد أنه البلوغ إلى سن التكليف مع إيناس الرشد وهو أن يكون في تصرفاته بماله سالكا مسلك العقلاء لامسلك أهل السفه والتبذير"(٥) . ويدل على هذا قوله تعالى : ( وابْتَلُوا ٱلْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُم "(٦) فجعل بلوغ النكاح وهو بلوغ سن التكليف مقيدا بإيناس الرشد " .

إن الإسلام يحفظ على المسلم دمه وعرضه وماله ولكنه يشدد في مال اليتيم وذلك لأن اليتيم ضعيف عن تدبير ماله ، ضعيف عن الذود عنه والجماعة الإسلامية مكلفة برعاية اليتيم وماله حتى يبلغ أشده ويرشد .

---

١) الإسراء . ٣٤ .
٢) انظر : تفسير الطبري ، جـ١٥ ، ص ٦٠ .
٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ، جـ٤ ، ص ٢٥٧٠ .
٤) فتح القدير ، جـ٣ ، ص ٢٢٦ .
٥) المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٧٧ .
٦) النساء . ٦ .

ولقد تأثرت نفوس المسلمين بالوصايا المكية التى جاءت فى حق اليتيم وصاروا فى حرج وحيرة ، أيتركون القيام عليه فيفسد أمره أم يقدمون عليه ويعزلونه عن أبنائهم فى مأكله ومشربه أم يخالطونه فيعرضون أنفسهم لأكل شيء من ماله .

ولقد استفسروا عن ذلك من الرسول صلى الله عليه سلم فأنزل الله قوله تعالى: ( وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ )(1) .

فأفهمهم أن المخالطة مع العدل والإصلاح من مقتضى مابينهم من الأخوة الإنسانية والدينية والرحم .

عن ابن عباس قال : لما أنزل الله تعالى : ( وَلَاتَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) ، ( إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا ...الآية) إنطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه عن طعامه وشرابه عن شرابه فجعل يفضل من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد فاشتد ذلك عليهم ، فشكوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى : ( وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ )... الآية فخلطوا طعامهم بطعامه وشرابهم بشرابه "(2) .

وقد أكد سبحانه وتعالى حق الرعاية لليتيم فى سورة النساء التى ابتدأت بالحث على تقوى الله والرحم كتمهيد للحث على رعاية الأيتام .

إن الله سبحانه وتعالى يخبر بأن الناس جميعا خلقوا من نفس واحدة ، واليتيم حتى لو كان من غير أسرتكم فهو أخوكم ورحمكم فقوموا له بحق الأخوة وحق الرحم واحفظوا أمواله وهذبوا نفسه .

---

1) سورة البقرة. ٢٢٠.

2) سنن أبى داود ، كتاب الوصايا ، باب مخالطة اليتيم فى الطعام ، جـ٣ ، ص ٢٩٢ ، وأخرجه النسائى فى الوصايا ، حديث ٣٦٩٩ ، باب ما للوصى من مال اليتيم إذا قام عليه .

ولقد حذر القرآن الأوصياء على اليتامى من أمرين تحذيرا شديدا.

الأمر الأول :

أكل أموال اليتامى بمعنى أخذ أموالهم أو شيء منها بغير حق وفي ذلك نزل قوله تعالى : (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ ٱلْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا )[1].

الأمر الثاني :

أن يستبدل الرديء من ماله بالطيب من مال اليتيم.

قال تعالى : ( وَآتُوا ٱلْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا )[2].

ولقد طلب القرآن من كل وصي في حجره يتيم أن يعامل هذا اليتيم كما يعامل سائر أبنائه فإنه ربما مات هذا الوصي وترك أيتاما.

قال تعالى : ( وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا )[3].

حمل بعض العلماء هذه الآية على أنها في الوصية بأكثر من الثلث.

غير أن الغزالي فهم من الآية شيئا آخر وهو أن الخطاب لمن في حجره يتيم أن يحسن إليه في الخطاب فلا يخاطبه إلا بنحو يابني مما يخاطب به أولاده ويفعل معه من البر والمعروف والإحسان والقيام في ماله ما يحب أن يفعل بماله وبذريته من بعده فإن الجزاء من جنس العمل. فليخش العاقل على أولاده وماله إن لم يكن

---

١) سورة النساء. ١٠.
٢) سورة النساء. ٢.
٣) سورة النساء. ٩.

له خشية على دينه ويتصرف على الأيتام الذين فى حجره بما يحب أن يتصرف ولى أولاده من بعده فى أمواله[(١)].

## الهدى النبوى فى رعاية اليتامى

وقد ورد فى الهدى النبوى أحاديث كثيرة تحث على كفالة اليتيم والقيام بحقه. عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه ، وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه"[(٢)].
كما صح عن سهل بن سعد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا . وقال بأصبعيه السبابة والوسطى "[(٣)].

كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن المرأة التى ترفض الزواج بعد موت زوجها رغبة فى رعاية أبنائها معه فى الجنة .
عن عوف بن مالك الأشجعى[(٤)] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أنا وامرأة سفعاء[(٥)] الخدين كهاتين فى الجنة "[(٦)].

كما جاء فى فضل رعاية الأيتام ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من عال ثلاثة من الأيتام كان كمن قام ليله وصام

---

١) انظر : مكاشفة القلوب ، ص ٢٨٩.
٢) سنن ابن ماجة ، كتاب الأدب ، باب فى حق اليتيم ، حديث ٣٦٧٩ ، جـ٢ ، ص١٢١٣.
٣) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الأدب ، باب فضل من يعول يتيما ، جـ١٠ ، ص٤٥٠ ، وأخرجه أبوداود فى الأدب ، باب من عال يتيما ، جـ٥ ، ص٣٥٦ ، والترمذى فى البر ، حديث ١٩١٩ ، باب رحمة اليتيم وقال ( هذا حديث حسن صحيح ).
٤) عوف بن مالك بن أبى عوف الأشجعى ، يكنى أبا عبدالرحمن وقيل أبو حماد وقيل أبو عمرو ، أول مشاهده خيبر ، وكانت معه راية أشجع يوم الفتح ، سكن الشام وتوفى بدمشق سنة ثلاث وسبعين ، انظر : أسد الغابة ، جـ٤ ، ص ١٣١٢.
٥) سفعاء : هى التى تغير لونها إلى السواد من طول الأيمة وترك التزين .
٦) سنن أبى داود ، كتاب الأدب ، باب من عال يتيما ، جـ٥ ، ص ٣٥٦.

نهــــاره ، وغدا وراح شاهرا سيفه فى سبيل الله وكنت أنا وهو فى الجنــــة أخوين كهاتين ، أختان" والصق أصبعيه السبابة والوسطى"(١) .

ومما روى فى فضل رعاية اليتامى : قول بعض السلف :"كنت فى بــدء أمرى سكّيرا مكبا على المعاصى فرأيت يوما يتيما فكرمته كما يكرم الولد بل أكثر ثـم نمت فرأيت الزبانية أخذونى أخذا مزعجا إلى جهنم وإذا باليتيم قد اعترض فقـال دعوه حتى أراجع ربى فيه فأبوا فإذا النداء : خلوا عنه فقد وهبنا له ما كان منه بإحسانه إليه فاستيقظت وبالغت فى إكرام اليتامى من يومئذ "(٢) .

ولقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من أكل مال اليتيم بغير حق وجعـل ذلك من الموبقات أى المهلكات ونظمه مع الشرك بالله فى سلك واحد .
عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إجتنبوا السبـع الموبقات ، قالوا يارسول الله وما هنّ ؟ قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق وأكل الرباء وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنـات المؤمنات الغافلات "(٣) .

## المطلـب السـادس

## الإحسـان إلى الفقراء والمساكيـن

والفقير هو الذى لايقتنى شيئا(٤) وهو المذكور فى قوله تعالى : ( لِلْفُقَـرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِـنَ

١) سنن ابن ماجة ، كتاب الأدب ، باب حق اليتيم ، حديث ٣٦٨٠ ، جـ٢ ، ص ١٢١٣ .
٢) مكاشفة القلوب ، ص ٣٢٦ .
٣) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الوصايا ، باب قول الله تعالى ( إن الذين يأكلون أمـوال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا ...) ، جـ٥ ، ص ٤٦٢ .
٤) أنظر : مفردات غريب القرآن ، ص ٣٨٣ .

التَّعَفُّفِ تَعرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لايَسْئَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا )[١].

وأصل الفقير هو المكسور الفِقار ، يقال فَقرتْهُ فَاقِرَة ، أى داهية تكسر الفقار[٢].

"والمسكين هو المتخشع المتذلل من الفاقة والحاجة وهو فعيل من المسكنة ، والمسكنة هى ذل الحاجة والفاقة "[٣].

وقيل بأن المسكين أسوأ حالا من الفقير ، فالمسكنة أدنى درجات الفقر أما قوله تعالى : ( وأَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ )[٤] فإنه جعلهم مساكين بعد ذهاب السفينة[٥].

عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ليس المسكين بهذا الطواف[٦] الذى يطوف على الناس ، فترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان" قالوا : فما المسكين ؟ يارسول الله ! قال : الذى لايجد غنى يغنيه ، ولايُفطن له فيتصدق عليه ولايسأل الناس شيئا "[٧].

ولقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالإحسان إلى المساكين فقال : ( وبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِى الْقُرْبَىٰ والْيَتَامَىٰ والْمَسَاكِينِ )[٨].

---

١) البقرة ٠ ٢٧٣٠
٢) مفردات غريب القرآن ، ص ٣٨٣٠
٣) تفسير الطبرى ، جـ١ ، ص ٣٠٩٠
٤) الكهف ٠ ٧٩٠
٥) انظر : مفردات غريب القرآن ، ص ٢٣٧٠
٦) ليس المسكين بهذا الطواف : معناه المسكين الكامل المسكنة الذى هو أحق بالصدقة وأحوج إليها ليس هو هذا الطواف ، بل هو الذى لايجد غنى يغنيه ولايفطن له ولايسأل الناس٠
٧) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب المسكين الذى لايجد غنى ولايفطن له فيتصدق عليه ، حديث ١٠١ ، جـ٢ ، ص ٧١٩٠ وأخرجه الدارمى فى سننه بنحوه ، كتاب الزكاة ، باب المسكين الذى يتصدق عليه ، جـ١ ، ص ٣٧٩٠
٨) سورة النساء ٠ ٣٦٠

وهذه الآية تتضمن الحض على الصدقة والمواساة وتفقد أحوال المساكين والضعفاء[١].
فإذا كان الإنسان صاحب مال فليحسن إلى الفقراء والمساكين بالصدقة عليهم وإن لم يكن عنده ما يتصدق به وجب عليه أن يحسن إليهم بالرد الجميل.

إنه لذنب عظيم أن يعيش الرجل فى بيته أو قصره منعما مترفا وهناك على بعد خطوات مسكين تلتهب أمعاؤه من شدة الجوع ، ويتيم ضائع لايجد من يرعاه، وفقير يلملم ثوبه الممزق ليستر به عورته، وأرملة فقدت عائلها فصارت تتغذى بدموعها وتكتسى بهمومها وتنظر بعينين زائغتين لعلها تجد إنسانا تهزه إنسانيته فيرعاها[٢].

إن الذى يهمل المسكين الذى أذلته الحاجة وعضه الفقر والبؤس هو كافر مكذب بلقاء الله، ولو أنه آمن بالله واليوم الآخر لاندفع بقلب ملىء بالرحمة فأكرم المسكين وأعطى المحتاج مما أنعم الله به عليه.
قال تعالى : ( أَرَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ.فَذَلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ.وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ.فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ.الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ.الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُنَ.وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ )[٣].

وهذه السورة فى آياتها الأخيرة تفضح المتظاهرين بالصلاح - الذين يصلّون غير أنه لا أثر لصلاتهم فى حياتهم الإجتماعية، بل الآثار الصادرة عنهم تدل على فساد قلوبهم لأنهم يمنعون خيرهم عن المحتاجين.
ولذلك فإن الله تعالى توعدهم بالويل والشقاء الأبدى فى الجحيم.

---

١) انظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم، جـ١، ص ٤١٠.
٢) انظر : السلوك الإجتماعى فى الإسلام، ص ١٤.
٣) سورة الماعون. ١ ـ ٧.

قال تعالى : ( خُذُوهُ فَغُلُّوهُ.ثُمَّ الْجَحِيْمَ صَلُّوهُ.ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ.إِنَّهُ كَانَ لَايُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ.وَلَايَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ )(١).

إن هذا الذى أخذ إلى جهنم مكبلا بالسلاسل إنما إستحق هذا العقاب لأمرين :-

الأول : أنه كان لايؤمن بالله العظيم ، والثانى : ولايحض على طعام المسكين .

وعدم الإيمان بالله هو أكبر ذنب على الإطلاق ، ولقد قرن الله تعالى بهذا الذنب ذنبا آخر وهو عدم الحض على طعام المسكين ، وهذا يدل على عظيم قبح هذا الذنب عندالله(٢).

ولقد حذرنا سبحانه وتعالى من زجر السائل أو نهره فقال : ( وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ )(٣) فقد يتحول الزمان ويصبح الغنى فقيرا والفقير غنيا .

"حكى أن رجلا جلس يوما يأكل هو وزوجته وبين أيديهما دجاجة مشوية فوقف سائل ببابه فخرج إليه وانتهره فذهب ، فاتفق بعد ذلك أن الرجل افتقر وزالت نعمته وطلق زوجته ، وتزوجت بعده برجل آخر ، فجلس يأكل معها فى بعض الأيام وبين أيديهما دجاجة مشوية وإذا بسائل يطرق الباب ، فقال لزوجته : إدفعى إليه هذه الدجاجة ، فخرجت بها إليه ، فإذا هو زوجها الأول ، فدفعت إليه الدجاجة ورجعت وهى باكية ، فسألها زوجها عن بكائها فأخبرته أن السائل كان زوجها وذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذى انتهره زوجها الأول ، فقال لها زوجها الثانى : أنا والله ذلك السائل"(٤).

---

١) الحاقة . ٣٠ ـ ٣٤.
٢) انظر : السلوك الإجتماعى فى الإسلام ، ص ١٤.
٣) سورة الضحى. ١٠.
٤) محاسن الجود والكرم ، جمع وترتيب أحمد حسين كعكو ، ص ٧٤ ، مكتبة قباء بحلب ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ .

ولقد ورد فى السنة أحاديث كثيرة تحث على إكرام المساكين والإحسان إليهم • عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله "(١).

وفى رواية أخرى للبخارى عن صفوان بن سليم(٢) يرفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال : الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله ، أو كالذى يصوم النهار ويقوم الليل "(٣).

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يستغل كل فرصة ممكنة من أجل مواساة الفقراء وإكرامهم ولو بالكلمة الطيبة والفكاهة البريئة •

عن جابر بن عبد الله قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة فلما أقبلنا تعجلت على بعير لى قطوف(٤) فلحقنى راكب خلفى ، فنخس بعيرى بعنزة(٥) كانت معه• فانطلق بعيرى كأجود ما أنت راء من الإبل ، فالتفت فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : "مايعجلك ياجابر ، قلت : يارسول الله ! إنى حديث عهد بعرس ، فقال" أبكرا تزوجتها أم ثيبا ؟" قال : قلت : بل ثيبا ، قال هلا جارية تلاعبها وتلاعبك؟ "قال : فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل فقال"أمهلوا حتى ندخل ليلا - أى عشاء - كى تمتشط الشعثة(٦) وتستحد المغيبة(٧) "(٨).

---

١) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الأدب ، باب الساعى على المسكين ، جـ١٠ ، ص ٤٥٢•

٢) صفوان بن سليم المدنى ، كنيته أبو عبد الله وقيل أبو الحارث القرشى الزهرى ، وهو ثقة من خيار عباد الله الصالحين ، مشهور العبادة والزهد ، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة وهو ابن اثنتين وسبعين سنة • انظر : تهذيب التهذيب ، جـ٤ ، ص ٤٢٥- ٤٢٦•

٣) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الأدب ، باب الساعى على الأرملة ، جـ١٠ ، ص٥٤١ ، وأخرج نحوه مسلم فى صحيحه ، كتاب الزهد والرقائق ، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم ، جـ٤ ، ص٢٢٨٦•

٤) قطوف : أى بطىء المشىء •

٥) بعنزة : هى عصا فى أسفلها حديدة•

٦) الشعثة : المرأة المتفرق شعر رأسها ، والمراد لتتزين المرأة لزوجها•

٧) وتستحد المغيبة : الإستحداد هو إزالة شعر العانة بالموسى• والمغيبة هى التى غاب عنها زوجها •

٨) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب النكاح ، باب تزويج الثيبات ، جـ٩ ، ص٢٤ ، وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الرضاع ، باب استحباب نكاح البكر ، جـ٢ ، ص ١٠٨٨ •

ومن خلال هذا الحديث يتبين لنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يراعى أحوال الفقراء والضعفاء وكان يسير معهم ويمازحهم ويلاطفهم حتى لايشعروا بالدونية .

كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم حث على التكسب وعلى أن يأكل المرء من كسبه حتى لايكون عالة على المجتمع .

عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " لأن يغدو أحدكم فيحطب على ظهره فيتصدق به ويستغنى به عن الناس ، خير له من أن يسأل رجلا : أعطاه أو منعه ذلك ، فإن اليد العليا أفضل من اليد السفلى وابدأ بمن تعول "(١) .

كما حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من الرجل غير المحتاج الذى يسأل رغبة فى تكثير ماله .

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من سأل الناس أموالهم تكثرا فإنما يسأل جمرا ، فليستقل أو ليستكثر "(٢) .

## المطلب السابع

## الإحسان إلى الجيران

قال تعالى : ( وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ )(٣) .

---

١) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب كراهة المسألة للناس ، حديث ١٠٦ ، جـ٢ ، ص ٧٢١ ، وأخرجه البخارى بنحوه ، فتح البارى ، كتاب البيوع ، باب كسب الرجل بيده ، جـ٤ ، ص٣٥٥ والحميدى فى مسنده بنحوه ، حديث ١٠٥٦ ، جـ٢ ، ص ٤٥٦ .

٢) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب كراهة المسألة للناس ، حديث ١٠٥ ، جـ٢ ، ص ٧٢٠ .

٣) سورة النساء ، ٣٦ .

" واسم الجار يشمل المسلم والكافر والعابد والفاسق والصديق والعدو والغريب والبلدى والنافع والضار والأقرب دارا والأبعد ، وله مراتب بعضها أعلى من بعض فأعلاها من اجتمعت فيه الصفات الأول كلها ثم أكثرها ثم هلم جرا "(١) .

ولقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالإحسان إلى " الْجَارِ ذِى الْقُرْبَىٰ " وهو الذى قرب جواره وإلى " الْجَارِ الْجُنُبِ " وهو الذى بعد جواره(٢) .
أما "الصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ " الذى أمرنا بالإحسان إليه فهو كما يراه الطبرى الرفيق فى السفر والمرأة والمنقطع إلى الرجل الذى يلازمه رجاء نفعه ، وقد أوصى الله بجميعهم لوجوب حق الصاحب على المصحوب(٣) .

فالوصاة بالجار مأمور بها مندوب إليها مسلما كان أو كافرا .
عن أبى هريرة قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الجيران ثلاثة جار له حق واحد وهو أدنى الجيران وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق ، فأما الذى له حق واحد فجار مشرك لارحم له له حق الجوار ، وأما الذى له الحقان فجار مسلم له حق الإسلام وحق الجوار ، وأما الذى له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم له حق الإسلام وحق الجوار وحق الرحم "(٤)
فالجوار يقتضى حقا وراء ماتقتضيه أخوة الإسلام العامة فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة .

---

١) فتح البارى ، جـ١٠ ، ص ٤٥٦ .
٢) انظر : تفسير الطبرى ، جـ٥ ، ص ٥١ ، تفسير الرازى ، جـ١٠ ، ص ٩٩ ، مختصر تفسير الخازن ، جـ١ ، ص ٢٤١ .
٣) انظر: تفسير الطبرى ، جـ٥ ، ص ٥٣ ، الكشاف ، جـ١ ، ص ٥٢٦ .
٤) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، كتاب البر والصلة ، باب حق الجار والوصية بالجار جـ٨ ، ص ١٦٤ .

إن جارك الذى يتراءى وجهك ووجهه فى غدوك أو رواحك إلى دارك جدير بحسن العشرة ولطف المعاملة ، وهذه المعاملة الطيبة لها أثر حسن على سكون النفس واطمئنانها [(١)].

وإحسان الجار لجاره والمشارك فى السكن لشريكه كما يكون حسيا يكون نفسيا. فلا يجوز للجار أن يؤذى سمع جاره بالصوت المنكر أو المرتفع، ولايجوز له أيضا أن يؤذى بصره بعرض المناظر الكريهة عليه. كما لايجوز له أن يؤذى أنفاسه بالهواء المحمل بالغبار أو الدخان" [(٢)].

والإحسان الحسى والنفسى للجار أدب إنسانى عام لايقل أهمية عن الإحسان للوالدين والأقربين ، فكما أن قرابة الدم توجب الإحسان ودفع الإيذاء فكذلك الجوار فهو كالقرابة .

صح عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه " [(٣)].

وهذا الحديث يشير إلى عظيم حق الجار على جاره .

" واختلف الناس فى حد الجيرة فكان الأوزاعى [(٤)] يقول : أربعون دارا من كل ناحية وقال على بن أبى طالب من سمع النداء فهو جار وقالت فرقة من سمع إقامة الصلاة

---

١) انظر : تفسير المنار ، جـ٥ ، ص ٧٥.

٢) انظر : الإسلام فى حياة المسلم ، ص ٣٧٦.

٣) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الأدب ، باب الوصاة بالجار ، جـ١٠ ، ص ٤٥٥ ، وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب البر والصلة ، باب الوصية بالجار والإحسان إليه ، حديث ١٤١ ، جـ٤ ، ص ٢٠٢٥ ، والترمذى فى سننه ، كتاب البر والصلة ، باب ماجاء فى حق الجوار ، جـ٤ ، ص ٢٩٣ ، والحميدى فى مسنده ، حديث ٥٩٣ ، جـ٢ ، ص ٢٧١.

٤) الأوزاعى : هو عبدالرحمن بن عمرو بن أبى عمرو الأوزاعى نسبة إلى قرية أوزاع بدمشق ، وقيل غير ذلك ، وهو فقيه عالم ، قال ابن حبان فى الثقات كان من فقهاء أهل الشام وقرائهم وزهادهم ، ولد سنة ٨٨ هـ ، نزل مرابطا فى بيروت وتوفى فيها سنة ١٥٨هـ ، انظر : تهذيب التهذيب ، جـ٦ ، ص ٢٣٨ - ٢٤٢.

فهو جار ذلك المسجد وقالت فرقة من ساكن رجلا فى محله أو مدينته فهو جار"[١].

" ويحصل امتثال الوصيّة به - أي بالجار - بإيصال ضروب الإحسان إليه بحسب الطاقة كالهدية والسلام وطلاقة الوجه عند لقائه وتفقد حاله ومعاونته فيما يحتاج إليه إلى غير ذلك، وكف أسباب الأذى عنه على اختلاف أنواعه حسية كانت أو معنوية "[٢].

إن الإحسان إلى الجار دليل كمال الإيمان كما أن الإساءة إلى الجار دليل على نقصان الإيمان.

عن أبى شريح الخزاعى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره ..... "[٣].

كما صح عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ... "[٤].

كما صح عن أبى شريح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: والله لايؤمن والله لايؤمن والله لايؤمن، قيل: من يارسول الله؟ قال: الذى لايأمن جاره بوائقه[٥]"[٦].

وفى رواية لمسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

١) الجامع لأحكام القرآن الكريم، جـ٣، ص ١٧٥٥.
٢) فتح البارى، جـ١٠، ص ٤٥٦.
٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، حديث ٧٧، جـ١، ص٦٩، وأخرجه الدارمى فى سننه، كتاب الأطعمة، باب الإحسان إلى الجار والضيف، جـ٢، ص ٩٨، والحميدى فى مسنده، حديث ٥٧٥، جـ١، ص ٢٦١.
٤) فتح البارى، صحيح البخارى، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، جـ١٠، ص ٤٦٠، وأخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، حديث ٧٥، جـ١، ص٦٨، وأبوداود فى سننه، كتاب الأدب، باب فى حق الجوار، جـ٥، ص ٣٥٨.
٥) البوائق: جمع بائقة وهى الداهية والشىء المهلك والأمر الشديد الذى يوافى بغتة، فتح البارى، جـ١٠، ص ٤٥٧.
٦) فتح البارى، صحيح البخارى، كتاب الأدب، باب من لايأمن جاره بوائقه جـ١٠، ص ٤٥٧.

قال : " لايدخل الجنة من لايأمن جاره بوائقه "(١) .

ولقد جاء في الصحيح أن إيذاء الجار من أعظم الذنوب عندالله تعالى عن عبدالله بن مسعود قال : سألت رسول الله أي الذنوب أعظم عند الله ، قال : " أن تجعل لله ندا وهو خلقك " قال : قلت له إن ذلك لعظيم ، قال : قلت ثم أي ؟ قال:" ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك " قال : قلت ثم أي ؟ قال " ثم أن تزاني حليلة جارك "(٢) .

وكلمة "تزاني" تشير إلى أن الزنا وقع برضاها وفي ذلك إفساد كبير للمرأة على زوجها ، والزنا بحليلة الجار من أقبح الفواحش وذلك لأن الجار يتوقع من جاره الذب عنه وعن حريمه ويأمن بوائقه ويطمئن إليه .

إن جارك هو أول من يسمع صريخك فيسرع إليك مبادرا إلى مساعدتك في ظلمة الليل وبرد الشتاء وحر الصيف وهجعة الناس ، وهو الذي تطلب معونته فتجده بجانبك ، وتترك زوجتك في جواره وأنت آمن ، وتدع مالك ومتاعك في دارك ثم تغيب اعتمادا على أمانته ، لذلك فإن خيانته ليست كخيانة البعيد وهي تعدل الإشراك بالله سبحانه وتعالى (٣) .

عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " خير الأصحاب عندالله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عندالله خيرهم لجاره "(٤) .

وأولى الجيران بالإحسان والإكرام أقربهم بابا من الإنسان .

عن عائشة قالت : قلت يارسول الله إن لي جارتين فإلي أيهما أهدي ؟ قال : إلى

---

١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب تحريم إيذاء الجار ، حديث ٧٣ ، جـ١ ، ص ٦٨ .
٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الشرك أقبح الذنوب ، حديث ١٤١ ، جـ١ ، ص ٩٠ .
٣) انظر : السلوك الإجتماعي في الإسلام ، ص ٢٨٢ .
٤) سنن الدارمي ، كتاب السير ، باب في حسن الصحبة ، جـ٢ ، ص ٢١٥ .

أقربهما منك بابا "(١).

والجار الكتابى كالجار المسلم فى وجوب الإحسان إليه .

عن مجاهد أن عبدالله بن عمرو ذبحت له شاة فى أهله فلما جاء قال : أهديتم لجارنا اليهودى ؟ أهديتم لجارنا اليهودى ؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه "(٢).

ويستحب لأهل البيت إن صنعوا طعاما أن يكثروا المرق ويتعاهدوا جيرانهم.

عن أبى ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا أباذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد(٣) جيرانك "(٤).

إن الهدية إلى الجار أو تقديم الطعام إليه له أثر طيب فى تعميق التحابب والتوادد بين الجيران، ولذلك حث الرسول صلى الله عليه وسلم على تقديم الهدية أو الطعام إلى الجار وإن كان فى أعيننا قليلا أو حقيرا لأنه فى عين الجار عظيم . إنه ليس فقط مجرد شئ مادى يصل إليه بل إنه يستشعر من ذلك التقدير والإحترام .

عن أبى هريرة قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : يانساء المسلمات،

---

١) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الأدب ، باب حق الجوار فى قرب الباب ، جـ١٠ ، ص ٤٦١ ، وأخرجه بنحوه أبوداود ، كتاب الأدب ، باب إكرام الضيف ، جـ٥ ، ص ٣٥٨.

٢) سنن الترمذى ، كتاب البر والصلة ، باب ماجاء فى حق الجوار ، حديث ١٩٤٣ ، جـ٤ ، ص ٢٩٤ ، وأخرجه الحميدى فى مسنده ، حديث ٥٩٣ ، جـ٢ ، ص ٢٧٠.

٣) تعاهد : أى تفقد جيرانك .

٤) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب الوصية بالجار والإحسان إليه ، حديث ١٤٢ ، جـ٤ ، ص ٢٠٢٥ ، وأخرجه بنحوه الدارمى فى سننه ، كتاب الأطعمة ، باب فى إكثار الماء فى القدر ، جـ٢ ، ص ١٠٨ ، والحميدى فى مسنده بنحوه ، حديث ١٣٩ ، جـ١ ، ص ٧٦.

لاتحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة[(١)] "[(٢)] ٠

ولقد خص الرسول صلى الله عليه وسلم النساء في هذا الحديث " لأنهن موارد المودة والبغضاء ، ولأنهن أسرع إنفعالا في كل شيء "[(٣)] ٠

وحتى يدوم الصفاء بين الجيران فإن الرسول صلى الله عليه وسلم ندب إلى عدم منع الجار من غرس الخشبة في الجدار ٠٠ ويدخل في هذا عدم الوقوف في وجه أي مصلحة للجار ٠

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لايمنع جار جاره أن يغرس خشبة في جداره "[(٤)] ٠

**مثل رائع في القيام بحق الجوار**

كان لأبي حنيفة[(٥)] جار يعمل نهاره فإذا رجع إلى منزله ليلا تعشى ثم شرب فإذا دبّ الشراب فيه غنى وقال :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا *** ليوم كريهة وسداد ثغر

---

١) فرسن شاة: حافر شاة أو الظلف٠

٢) فتح الباري ، صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب لاتحقرن جارة لجارتها ٠٠ ، جـ١٠ ، ص٤٥٩ وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بالقليل ، حديث ٩٠ ، جـ٢ ، ص ٧١٤٠

٣) فتح الباري ، جـ١٠ ، ص ٤٥٩٠

٤) فتح الباري ، صحيح البخاري ، كتاب المظالم ، باب لايمنع جار جاره أن يغرس خشبته في جداره ، جـ٥ ، ص ١٣١ ، وأخرجه مسلم في كتاب المساقاة ، باب غرز الخشب في جدار الجار حديث ١٣٦ ، جـ٣ ، ص ١٢٣٠ ،والحميدي في مسنده ، حديث ١٠٧٧ ، جـ٢ ، ص ٤٦٢ ٠

٥) أبوحنيفة هو النعمان بن ثابت التيمي الكوفي فقيه عالم ، أحد الأئمة الأربعة ، قال الشافعي فيه " الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة " مات سنة خمسين ومائة وقيل سنة إحدى وخمسين ومائة ٠ انظر : تهذيب التهذيب ، جـ١٠ ، ص ٤٤٩ - ٤٥٢ ٠

ولايزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم ، وكان أبو حنيفة يصلي الليل كله ففقد أبو حنيفة صوته فسأل عنه فقيل : أخذته الشرطة منذ ليال ، فصلى أبو حنيفة الفجر من غده ثم ركب بغلته وأتى إلى دار الأمير وحينما سأله الأمير عن حاجته قال : أشفع لجارى ، فقال الأمير أطلقوه وكل من أخذ فى تلك الليلة . فأطلقوهم ، وركب أبو حنيفة بغلته وخرج جاره يمشي وراءه ، فقال له أبوحنيفة يافتى هل أضعناك ؟ فقال : بل حفظت ورعيت ، جزاك الله خيرا عن حرمة الجوار [1] .

"ويروى أن رجلا جاء إلى ابن مسعود رضى الله عنه فقال له إن لى جارا يؤذينى ويشتمنى ويضيق علىّ فقال : اذهب فإن هو عصى الله فيك فأطع الله فيه" [2] .

## المطلب الثامن

## الإحسان إلى الضيف

والضيف فى الأصل مصدر بمعنى الميل تقول "مال إليك" أى نزل عندك ويطلق لفظ الضيف على الواحد والمتعدد ، وقد يجمع فيقال أضياف وضيوف وضيفان [3] .

وقد أرشدنا الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم إلى آداب الضيافة من خلال قصة إبراهيم عليه السلام مع ضيفه .

قال تعالى : ( هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا

---

١) انظر : الخلق الكامل ، تأليف محمد أحمد جاد المولى بك ، جـ٢ ، ص ٢٨٨ .

٢) مكاشفة القلوب ، ص ٤٠٩ .

٣) انظر : روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ، للعلامة أبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى البغدادى ، جـ٢٧ ، ص ١١ ، المفردات فى غريب القرآن ، ص ٣٠٠ .

قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ. فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ)[1].

وفي هذه الآيات ثناء على إبراهيم من وجوه متعددة[2]:

أحدها: إعداد مكان خاص بالضيافة يدخله الضيف بدون استئذان، قال تعالى: (إذ دخلوا) ولم يذكر استئذانهم وهذا دليل على أن إبراهيم عليه السلام كان قد عرف بإكرام الضيفان وأنه قد اتخذ حجرة خاصة بالضيافة.

الثاني: أن يُحيّا الضيف بتحية أفضل من تحيته، قال تعالى: (فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ) والسلام بالرفع أكمل لأنه يدل على الجملة الإسمية الدالة على الثبوت. أما المنصوب فإنه يدل على الفعلية الدالة على الحدوث والتجدد.

الثالث: الإحتشام وعدم مواجهة الضيف بلفظ منفر، قال تعالى: (قَوْمٌ مُّنكَرُونَ) فإبراهيم حين أنكر ضيفه ولم يعرفهم لم يقل لهم أنتم منكرون ولكن احتشم وقال قوم منكرون.

الرابع: أن ينطلق رب المنزل المضيف إلى أهله خفية من أجل إحضار الطعام بحيث لايشعر به الضيف فيشق عليه ويستحى، قال تعالى: (فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ) فليس من الآداب أن يُحدث المضيِّفُ ربكة في البيت فيقول لضيفه مكانكم حتى آتيكم بالطعام أو ينادى أهله أين السكين... إلىّ بالشاة..

الخامس: إعداد لوازم الضيافة في البيت حتى لايفاجأ الإنسان إن نزل به ضيف قال تعالى: (فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ) فإن إبراهيم عليه السلام لم يغادر بيته

---

١) الذاريات. ٢٤ـ ٢٨.
٢) انظر: التفسير القيم، للإمام ابن القيم، ص ٢٤٦ ـ ٢٤٨.

من أجل إحضار طعام الضيف ولكنه كان قد أعد ذلك في بيته .

السادس : أن يتولى رب المنزل خدمة الضيف بنفسه ، قال تعالى : ( فَجَاءَ بِعِجْلٍ ) فإن إبراهيم عليه السلام هو الذى قدم الطعام بنفسه للضيف ولم يبعثه مع الخادم . وهذا أبلغ فى إكرام الضيف .

السابع : أن يقدم رب البيت للضيف أجود ما عنده ، قال تعالى : ( فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ) فإن إبراهيم لم يختر للضيف الهزيل ولكنه اختار الأجود السمين .

الثامن : أن يقرب رب البيت الطعام إلى الضيوف وأن لايضع الطعام فى مكان ثم يقول للضيف قوموا إلى الحجرة المجاورة أو المكان الفلانى ، قال تعالى : ( فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ ) .

التاسع : التلطف فى مخاطبة الضيف ، قال تعالى : ( أَلَا تَأْكُلُونَ ) وهو أحسن من قوله كلوا أو مدوا أيديكم .

العاشر : إذا بدا لرب البيت أى ريبة أو خوف من الضيف فعليه أن لايظهر ذلك. فإن إبراهيم عليه السلام حينما رأى أيدى الضيف لاتمتد إلى الطعام أوجس منهم خيفة أى أحسها وأضمرها فى نفسه ولم يبدها لهم .

ولم تقل عناية السنة بالإحسان إلى الضيف وإكرامه عن القرآن الكريم فقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على إكرام الضيف ..

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من كان

يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه "(١).

ومن إكرام الضيف أن يلقاه رب البيت بطلاقة الوجه وحسن الحديث ولطف اللقاء .

حق الضيف:

عن أبي شريح العدوي(٢) قال : أبصرت عيناي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعته أذناي حين تكلم به قال : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته ، قالوا : وما جائزته ؟ قال : يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام وما كان بعد ذلك فهو صدقة .. "(٣).

وهذا الحديث صريح في بيان حق الضيف على المضيف ، إنه من الواجب على المضيف أن يكرم ضيفه ثلاثة أيام ، أما بعد ذلك فيعد إكرام المضيف للضيف صدقة ، ولايحل للضيف أن يثوى عند صاحبه حتى يحرجه .

عن أبي شريح الخزاعي(٤) عن النبي صلى الله عليه وسلم : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلة ، ولايحل له أن يثوى عند صاحبه حتى يحرجه . الضيافة ثلاثة أيام ، وما أنفق عليه بعد ثلاثة أيام فهو صدقة "(٥).

---

١) فتح الباري ، صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، جـ١٠ ، ص ٤٦٠ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الحث على إكرام الجار والضيف ، حديث ٧٥ ، جـ١ ، ص ٦٨ ، والدارمي في سننه ، كتاب الأطعمة ، باب في الضيافة ، جـ٢ ، ص ٩٨ ، والحميدي في مسنده ، حديث ٥٧٥ ، جـ١ ، ص ٢٦١ .

٢) هو هانئ بن يزيد بن نهيك بن دريد بن سفيان الضبابي ويقال المذحجي وقيل نسبه غير ذلك ، كنيته أبو شريح ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وذكره ابن سعد وغيره في أهل الكوفة ، انظر : تهذيب التهذيب ، جـ١١ ، ص ٢٣ .

٣) سنن الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ماجاء في الضيافة كم هو؟ حديث ١٩٦٧ ، جـ٤ ، ص ٣٠٤ ، وقال ( حسن صحيح ).

٤) هو خويلد بن عمرو ، أسلم يوم فتح مكة وكان يحمل أحد ألوية بن كعب ، مات بالمدينة سنة ثمان وستين ، وكان من عقلاء المدينة ، انظر : تهذيب التهذيب ، جـ١٢ ، ص١٢٥-١٢٦ .

٥) سنن ابن ماجة ، كتاب الأدب ، باب حق الضيف ، حديث ٣٦٧٥ ، جـ٢ ، ص ١٢١٢ .

## المطلـــب التــاســـع

## الإحســـان إلى الخــــدم

قال تعالى : ( وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ )[١].

والمراد من قوله تعالى : ( وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم ) الذين ملكتموهم من أرقائكم فأضاف الملك إلى اليمين كما يقال تكلم فوك ومشت رجلك وبطشت يدك إذا تكلمت ومشيت وبطشت[٢].

وكان المملوكون فى الجاهلية يمثلون نسبة كبيرة من سكان العالم وذلك بسبب الحروب الكثيرة التى كانت تحدث بين الناس ، وكان الأسياد يعاملون المملوكين أسوأ معاملة ، وكانوا يكلفون الإماء البغاء وهو الكسب بفروجهن وبضوعهن[٣].

ثم جاء الإسلام لينهى عصر العبيد والجوارى ، وصار الخدم كلهم فى هذا العصر من الأحرار .

فالإسلام هو الذى رفع من شأن المملوكين وأعطاهم من الحقوق ما لايحصل عليه الأحرار اليوم .

"عن جابر بن عبدالله أن جارية لعبد الله بن أبى بن سلول يقال لها مسيكة ، وأخرى يقال لها أُميمة ، فكان يكرههما على الزنا ، فشكتا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله : ( وَلَاتُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ) إلى قوله غفور رحيم"[٤].

وكان هدف عبدالله بن أبى بن سلول من دفع جواريه إلى الفاحشة هو تحصيل المال .

---

١) النساء ، ٣٦ .

٢) تفسير الطبرى ، جـ٥ ، ص ٥٣ .

٣) انظر : تفسير الرازى ، جـ١٠ ، ص ١٠٠ .

٤) صحيح مسلم ، كتاب التفسير ، باب قوله تعالى ( ولاتكرهوا فتياتكم على البغاء ) حديث ٢٧ ، جـ٤ ، ص ٢٣٢٠ .

بدليل رواية جابر الأخرى :

عن جابر قال : كان عبدالله بن أبى بن سلول يقول لجارية له اذهبى فابغينا شيئا . فأنزل الله عز وجل ( وَلَاتُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا ، وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ)(١) "(٢) .

فدفع الفتيات إلى البغاء من أجل عرض دنيوى لايجوز والإسلام يعد هذا العمل من الكسب الحرام ، فالغاية يجب أن تكون نظيفة والوسيلة يجب أن تكون نظيفة أيضا .

ولقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم الإنسان عن نداء خادمه أو مملوكه بـ ياعبدى ، ويا أمتى وذلك من أجل أن يستشعر المملوك بإنسانيته التى أهدرت وبكرامته العظيمة عندالله .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لايقولن أحدكم عبدى وأمتى ، كلكم عبيدالله ، وكل نسائكم إماء الله ، ولكن ليقل : غلامى وجاريتى وفتاى وفتاتى "(٣) .

كما حث الرسول صلى الله عليه وسلم على تحرير العبيد ، فقد صح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " من أعتق رقبة مؤمنة ، أعتق الله بكل إرب(٤) منها إربا منه من النار "(٥) .

كما أن الإسلام أوجب للمملوكين حقوقا وأمر بصيانتها .

---

١) النور ٠ ٣٣ .

٢) صحيح مسلم ، كتاب التفسير ، باب قوله تعالى ( ولاتكرهوا فتياتكم على البغاء )، حديث ٢٦ ، جـ٤ ، ص ٢٣٢٠ .

٣) صحيح مسلم ، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها ، باب حكم إطلاق لفظة العبد والأمة والمولى والسيد ، حديث ١٣ ، جـ٤ ، ص ١٧٦٤ .

٤) الإرب : هو العضو .

٥) صحيح مسلم ، كتاب العتق ، باب فضل العتق ، حديث ٢١ ، جـ٢ ، ص ١١٤٧ .

ولقد بين الرازى وجوه الإحسان إلى الخدم والمماليك فقال :" واعلم أن الإحسان إليهم من وجوه :

أحدها : ألا يكلفهم ما لاطاقة لهم به .

وثانيها : ألا يؤذيهم بالكلام الخشن بل يعاشرهم معاشرة حسنة .

وثالثها : أن يعطيهم من الطعام والكسوة ما يحتاجون إليه "(١).

عن المعرور بن سويد(٢) قال : لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسألته عن ذلك فقال : إنى ساببت رجلا فعيرته بأمه فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم "يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية ، إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولاتكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم "(٣) فالخادم ليس أقل رتبة من المخدوم ، فكلاهما سواء فى الإنسانية ولافضل لأحد على آخر إلا بالتقوى .

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناوله أكلة أو أكلتين أو لقمة أو لقمتين فإنه ولى حره وعلاجه "(٤).

---

١) تفسير الرازى ، جـ١٠ ، ص ١٠٠.

٢) المعرور بن سويد الأسدى ، أبو أمية الكوفى وهو تابعى ثقة من أصحاب عبد الله ، وكان كثير الحديث ، قال الأعمش : رأيته وهو ابن عشرين ومائة سنة ، انظر : تهذيب التهذيب ، جـ١٠ ، ص ٢٣٠.

٣) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الإيمان ، باب المعاصى من الجاهلية ، جـ١ ، ص ١٠٦ ، وأخرجه مسلم فى كتاب الإيمان ، باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس ولايكلفه من العمل ما يغلبه ، حديث ٣٨ ، جـ٣ ، ص ١٢٨٢ - ١٢٨٣ ، وأبو داود فى سننه ، بنحوه كتاب الأدب ، باب فى حق المملوك ، جـ٥ ، ص ٣٦٠.

٤) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الأطعمة ، باب الأكل مع الخادم ، جـ٩ ، ص ٤٩٥ ، وأخرجه بنحوه الدارمى فى سننه ، كتاب الأطعمة ، باب إكرام الخادم عند الطعام ، جـ ٢ ، ص ١٠٧.

ولقد خدم أنس رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، ثم تحدث عن أخلاق الرسول العظيمة مع الخادم فقال : " خدمت النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى أف ولا : لم صنعت ؟ ولا : ألا صنعت ؟ "[١].

ولم يؤثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه ضرب خادما له.

عن عائشة قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خادما قط ولاضرب بيده شيئا قط،إلا أن يجاهد فى سبيل الله "[٢].

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ينهى عن ضرب الغلمان وحينما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم أبا مسعود الأنصارى يضرب غلامه ناداه وأخبره بأن الله أقدر عليه منه على الغلام.

عن أبى مسعود الأنصارى قال : كنت أضرب مملوكا لى فسمعت قائلا من خلفى يقول : إعلم أبا مسعود ، إعلم أبا مسعود ، فالتفت فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال، لله أقدر عليك منك عليه، قال أبومسعود : فما ضربت مملوكا لى بعد ذلك "[٣].

ولقد زاد مسلم فى روايته " فقلت يارسول الله- القائل هو أبومسعود - هو حر لوجه الله، فقال: أما لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار "[٤].

وهذا الحديث يبين أن كفارة من لطم عبده أو ضربه هى إعتاقه.

---

١) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الأدب ، باب حسن الخلق والسخاء ومايكره من البخل ، جـ١٠ ، ص ٤٧١ ، وأخرجه مسلم فى كتاب الفضائل ، باب كان رسول الله أحسن الناس خلقا ، حديث ٥١ ، جـ٤ ، ص ١٨٠٤.

٢) سنن الدارمى ، كتاب النكاح ، باب النهى عن ضرب النساء ، جـ٢ ، ص ١٤٧.

٣) سنن الترمذى ، كتاب البر والصلة ، باب النهى عن ضرب الخدم وشتمهم ، حديث ١٩٤٨ ، جـ٤ ، ص ٢٩٦.

٤) صحيح مسلم ،كتاب الإيمان، باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده ، حديث ٣٥ ، جـ٣، ص ١٢٨١.

ولقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بدوام العفو عن المملوكين والخدم .

عن عبدالله بن عمر قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله كم نعفو عن الخادم ؟ فصمت ، ثم أعاد عليه الكلام فصمت فلما كان فى الثالثة قال : " اعفوا عنه فى كل يوم سبعين مرة "[(١)] .

والخادم إذ نصح لسيده وأحسن عبادة ربه فإن له الأجر العظيم عند الله .

عن عبدالله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن العبد إذا نصح لسيده وأحسن عبادة ربه فله أجره مرتين "[(٢)] .

ولقد امتثل سلفنا الصالح أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم التى تحث على الإحسان إلى الخدم وإكرامهم ، ولقد خبرنا التاريخ عن نماذج من هذه المعاملات الحسنة .

قال عبدالله بن طاهر[(٣)] كنت عند المأمون يوما فنادى الخادم : يا غلام فلم يجبه أحد ، ثم نادى ثانيا وصاح : ياغلام ، فدخل غلام تركى وهو يقول : أما ينبغى للغلام أن يأكل ويشرب ؟ كلما خرجنا من عندك تصيح : ياغلام ياغلام ، إلى كم

---

١) سنن أبى داود ، كتاب الأدب ، باب فى حق المملوك ، جـ٥ ، ص ٣٦٢ - ٣٦٣ ، وأخرجه بنحوه الترمذى فى سننه ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء فى العفو عن الخادم ، حديث ١٩٤٩ ، جـ٤ ، ص ٢٩٦ ، وقال ( حسن غريب ) .

٢) سنن أبى داود ، كتاب الأداب ، باب فى حق المملوك ، جـ٥ ، ص ٣٦٥ ، وأخرجه البخارى فى كتاب العتق ( ١٩٥/٣ ) باب العبد إذا أحسن عبادة ربه ونصح سيده . ومسلم فى كتاب ثواب العبد وأجره إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله ، حديث ١٦٦٤ .

٣) لم أعثر على ترجمة لعبد الله بن طاهر بعد البحث المضنى فى المراجع الآتية : تهذيب التهذيب ، لابن حجر ، لسان الميزان لابن حجر ، الثقات لابن حبان ، الجرح والتعديل لأبى حاتم الرازى ، ميزان الإعتدال فى نقد الرجال للذهبى .

ياغلام ، فنكس المأمون رأسه طويلا ،فما شككت فى أن يأمرنى بضرب عنقه ، ثم نظر إلىّ فقال : يا عبدالله إن الرجل إذا حسنت أخلاقه ساءت أخلاق خدمه ، وإذا ساءت أخلاقه حسنت أخلاق خدمه وإنا لانستطيع أن نسئ أخلاقنا لنحسن أخلاق خدمنا"(١).

هذه هى أخلاق سلفنا مع الخدم .

فماذا نال الخدم الأحرار من مخدوميهم فى هذا العصر - عصر المدنية الزائفة والمتع والشهوات .

إن الأكثرية منهم تسحق فى خدمة المخدومين وتهدر كرامتها وإنسانيتها بسبب ماتلقى من قسوة المخدومين الذين لاشعور لهم ولا إنسانية ولا دين ولا خلق ، فضلا عن ضآلة أجورهم .

فالأسياد لايعطون خدمهم مايكفيهم ، ويختارون لهم أردأ الملابس نوعا ومظهرا ويلزمونهم بالعمل من الفجر إلى ما بعد العشاء ، ويحملونهم ما لايطيقون من الأعمال الشاقة ويسمعونهم أسوأ الشتائم (٢).

لقد كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الوصية بالمحافظة على الصلاة وبتقوى الله فى معاملة الناس لخدمهم . فالرسول لأجل اعتنائه العظيم بالخدم والمماليك أوصى بهم خيرا وهو على فراش الموت .

عن على عليه السلام قال : كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة الصلاة ، إتقوا الله فيما ملكت أيمانكم"(٣).

---

١) الخلق الكامل ، جـ٢ ، ص ٢٩٧ .

٢) انظر : السلوك الإجتماعى ، ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

٣) سنن أبى داود ، كتاب الأدب ، باب فى حق المملوك ، جـ٥ ، ص ٣٥٩ ، وأخرجه ابن ماجة فى الوصايا ، حديث ٢٦٩٨ ، باب هل أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس فيه " اتقوا الله "، ولفظه عنده " الصلاة وما ملكت أيمانكم ".

## المطلـــب العاشـــــر

## الاحســـان الى ابن السبيـــل

قال تعالى : ( وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ )[١].

قال الطبرى : " إن ابن السبيل هو صاحب الطريق ، والسبيل هو الطريـــق وابنه صاحبه الضارب فيه فله الحق على من مر به محتاجا منقطعا به إذا كان سفره فى غير معصية الله أن يعينه إن احتاج إلى معونة ويضيفه إن احتاج إلى ضيافـة وأن يحمله إن احتاج إلى حملان"[٢].

ولقد عبر سبحانه وتعالى عن المسافر بلفظ "ابن السبيل" وذلــك لأن المسافر منقطع فى السفر فلا يتصل بأهل ولا قرابة ، فكأن السبيل أبوه وأمه ورحمـه وأهله[٣].

فطالب العلم الذى سافر من أجل طلب العلم وانقطع عن الأهل والأحباب جدير بكل رعاية وكل إحسان .

وكذلك الرجل الذى يسافر إلى قطر آخر من أجل إغناء نفسه وإعفاف زوجته وأبنائه رجل مجاهد يستحق كل رعاية وإحسان .

ولقد سمح الإسلام لابن السبيل المنقطع فى الطريق أن يأكل ويشرب من أى مال يجده - وإن لم يحصل على الإذن بذلك من صاحب هذا المال - شريطة عـــدم الإفساد .

---

١) النساء . ٣٦.

٢) تفسير الطبرى ، جـ٥ ، ص ٥٣.

٣) انظر : تفسير المنار ، جـ٥ ، ص ٧٦.

عن أبى سعيد الخدرى قال: عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إذا أتيت على راعى إبل فناد : ياراعى الإبل ثلاثا فإن أجابك ، وإلا فاحلب واشرب من غير أن تفسد وإذا أتيت على حائط بستان فناد ، ياصاحب الحائط ثلاثا فإن أجابك وإلا فكل ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الضيافة ثلاثة أيام فمازاد فصدقة"(١).

إن الرجل الذى يمنع فضل مائه أو زاده أو ظهره عن ابن السبيل قد استحق غضب الله عليه والعذاب الأليم فى الآخرة .

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ثلاث لايكلمهم الله يوم القيامة ولاينظر إليهم ولايزكيهم ولهم عذاب أليم ، رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل ، ورجل بايع رجلا بسلعة بعد العصر فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك ، ورجل بايع إماما لايبايعه إلا لدنيا ، فإن أعطاه منها وفّى وإن لم يعطه منها لم يف "(٢).

كما صح عن أبى هريرة أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : "إن ثلاثة فى بنى إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى ، فأراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكا ، فأتى الأبرص فقال : أى شيء أحب إليك ؟ قال : لون حسن وجلد حسن ويذهب عنى الذى قد قذرنى الناس . قال فمسحه فذهب عنه قذره ، وأعطى لونا حسنا وجلدا حسنا ، قال فأى المال أحب إليك ؟ قال : الإبل فأعطى ناقة عشراء ، فقال : بارك

١) مسند الإمام أحمد ، جـ٣ ، ص ٢١ .

٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف ، وبيان الثلاثة الذين لايكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولايزكيهم ولهم عذاب أليم ، حديث ١٧٣ ، جـ١ ، ص ١٠٣ ، وأخرجه ابن ماجة فى سننه كتاب التجارات ، باب ما جاء فى كراهية الأيمان فى الشراء والبيع ، حديث ٢٢٠٧ ، جـ٢ ، ص ٧٤٤ .

الله لك فيها ، قال فأتى الأقرع ، فقال : أى شىء أحب إليك ؟ قال : شعر حسن ويذهب عنى هذا الذى قذرنى الناس . قال فمسحه فذهب عنه ، وأعطى شعرا حسنا ، قال : فأى المال أحب إليك ؟ قال : البقر . فأعطى بقرة حاملا . فقال: بارك الله لك فيها . قال فأتى الأعمى فقال: أى شىء أحب إليك قال : أن يرد الله إلىّ بصرى فأبصر به الناس ، قال فمسحه فرد الله إليه بصره ، قال فأى المال أحب إليك؟ قال : الغنم ، فأعطى شاة والدا فأنتج هذان وولد هذا ، قال : فكان لهذا واد من الإبل ، ولهذا واد من البقر ، ولهذا واد من الغنم. قال ثم أتى الأبرص فى صورته وهيئته فقال : رجل مسكين ، قد انقطعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرا أتبلغ عليه فى سفرى ، فقال : الحقوق كثيرة ، فقال له : كأنى أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس ، فقيرا فأعطاك الله ، فقال إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر ، فقال : إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ماكنت . قال وأتى الأقرع فى صورته فقال له مثل ما قال لهذا ، ورد عليه مثل مارد على هذا . فقال : إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ماكنت . قال وأتى الأعمى فى صورته وهيئته فقال: رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بى الحبال فى سفرى ، فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك ، أسأل الله بالذى رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها فى سفرى فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلىّ بصرى ، فخذ ماشئت ودع ماشئت فوالله لا أجهدك اليوم شيئا أخذته لله ، فقال أمسك مالك ، فإنما ابتليتم ، فقد رضى عنك وسخط على صاحبيك" (١) .

---

١) صحيح مسلم كتاب الزهد والرقائق ، حديث ١٠ ، جـ٤ ، ص ٢٢٧٥ - ٢٢٧ ، وأخرجه البخارى بنحوه ، فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب حديث أبرص وأعمى وأقرع ، فى بنى إسرائيل ، جـ٦ ، ص ٥٠٠ - ٥٠١ .

## المبحـث الرابـع

## الإحسـان فـي مجـال المعـامـلات

ويشتمل هذا المبحث على خمسة مطالب :

الأول : الإحسان فى القضاء وأداء الحقوق .

الثانى : الإحسان فى البيع والشراء .

الثالث : الإحسان إلى أهل الكتاب .

الرابع : الإحسان فى الحرب .

الخامس: الإحسان إلى الحيوان .

### المطلـب الأول

### الإحسان فى القضـاء وأداء الحقـوق

معنى القضاء شرعا : عرف الجمهور القضاء بأنه " الفصل بين النـاس فـى الخصومات حسما للتداعى وقطعا للنزاع بالأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة"(١) .

#### القضاء فى الجاهلية:

لم يكن للعرب فى الجاهلية نظام يحكم تصرفاتهم ولم يكن فى ذلك الواقـع سلطة تحرس الحق وتحميه ، وكانت الحقوق ضائعة وكان الذئب الضارى راعيا والخصم الجائر قاضيا .

"رُوى أن رجلا قتل رجلا من الأشراف ثم اجتمع أقارب القاتل عند والد المقتـول فقالوا ماذا تريد قال : إحدى ثلاث ، قالوا وماهى قال : تُحيون ولـدى أو تملـؤون دارى من نجوم السماء أو تدفعون إلىّ جملة قومكم حتى أقتلهم ثم لا أرى أنى أخذت عوضا "(٢) .

---

١) نظام القضاء فى الإسلام ، ص٨ ، من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامى ، ١٤٠٤هـ ، طباعة ونشر إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٢) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، جـ ٢ ، ص ١٤٠.

فهذه الرواية تبين سوء الأوضاع فى الجاهلية ، وكانوا يجعلون دية الشريف أضعاف دية الخسيس فبعث الله محمدا بالعدل وسوى بين عباده فى القصاص .

قال تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى ، فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ، فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيم )[1] .

إن الغضب للدم فطرة وطبيعة، والاسلام يلبيها بتقرير شريعة القصاص .

فالعدل الجازم هو الذى يكسر شره النفوس ويردع الجانى عن التمادى. ولكن الإسلام فى نفس الوقت يحبب العفو ، والدعوة إلى العفو بعد تقرير القصاص دعوة إلى التسامح فى حدود التطوع[2] .

والمراد من قوله تعالى : ( فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوف ) أى فعلى العافى الذى هو ولى الدم أن يتبع القاتل بالمعروف وهو أن يطالب بالمال من غير تشديد وأذى[3] ، فإن كان القاتل معسرا فالنظرة وإن كان واجدا لعين المال فلا يطالبه بالزيادة على قدر الحق وإن كان واجدا لغير المال الواجب فالإمهال إلى أن يستبدل[4] .

- والمراد من قوله تعالى ( وَأَدَاءٌ إِلَيْه بِإِحْسَان ) أى على القاتل الذى عفى له أن لايدّعى الإعدام عند الإمكان ، فالمطل والتسويف فى هذه الحالة حرام . إنه من الواجب عليه أن يؤدى ذلك المال إلى ولى المقتول ببشر وطلاقة وقول جميل[5] .

- أما قوله تعالى ( ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِن رَبِّكُم وَرَحْمَة ) ففيه بيان لفضل الله العظيم على

---

١) البقرة. ١٧٨.
٢) انظر : فى ظلال القرآن ، جـ١ ، ص ١٦٤ - ١٦٥.
٣) الوجيز فى تفسير القرآن العزيز ، جـ١ ، ص ٤٦.
٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، جـ٢ ، ص ١٤٨.
٥) انظر : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٤٨.

الأمة الإسلامية فقد خيرها سبحانه بين ثلاث : القصاص والدية والعفو[(١)].

- وأما قوله تعالى ( فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) فالإعتداء هنا تجاوز المشروع بقتل غير القاتل، أو بقتل القاتل بعد أخذ الدية والعفو ، ولقد توعد الله من تجاوز الشرع أو نقض العهد بالعذاب الشديد[(٢)].

دليل مشروعية القضاء

قال تعالى : ( فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا )[(٣)].

وقال : ( وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ )[(٤)].

وفى هذه الآية " تحذير للرسول صلى الله عليه وسلم أولا ولأمته ثانيا أن يفتنهم المضللون عن تحكيم الكتاب والسنة أو يضلوهم عن طريق الرشد كما أنها تقطع الطريق على المتساهلين بالأحكام الشرعية والمترخصين ممن يريدون تحميلها مالا تتحمله "[(٥)].

أما الدليل من السنة : فقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يبعث معاذا إلى اليمن قال : كيف تقضى إذا عرض لك قضاء ؟ قال : أقضى بكتاب الله ، قال "فإن لم تجد في كتاب الله ؟ قال فبسنة رسول الله صلى الله

١) انظر : تفسير مراح لبيد ، جـ١ ، ص ٤٦.
٢) انظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، جـ٢ ، ص ١٤٩.
٣) سورة النساء. ٦٥.
٤) سورة المائدة. ٤٩.
٥) رسالة مع القضاة ، ص ٦.

عليه وسلم قال : " فإن لم تجد فى سنة رسول الله ولا فى كتاب الله ؟ قال : أجتهد رأيى ولا آلو . فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال : " الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله "(١) .

- كما صح عن ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " لا حسد إلا فى اثنتين، رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها الناس "(٢) .

- كما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله : " إذا حكمتم فاعدلوا وإذا قتلتم فأحسنوا فإن الله محسن يحب المحسنين "(٣) .

ولقد حذر الله سبحانه وتعالى من الجور فى الحكم كما حذر من عدم تحكيم شريعة الله فى الحياة ، ووصف كل شخص أو هيئة تقف فى وجه تطبيق الشريعة بالكفر تارة وأخرى بالظلم وثالثة بالفسق .

قال تعالى : ( وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ )(٤) .

وقال : ( وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ )(٥) .

وقال : ( وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ )(٦) .

ومما يؤسف له فى واقعنا المعاصر عدم تحكيم شريعة الله فى معظم الأقطار العربية والإسلامية . إنهم يحكمون دين نابليون- القانون الوضعى- فى معظم الخصومات والمنازعات وفى معظم مناهج الحياة . لقد نجح الثالوث الصليبى والشيوعى

---

١) سنن أبى داود ، كتاب الأقضية ، باب فى الإجتهاد ، جـ٤ ، ص ١٨ ، ١٩ ، وأخرجه الترمذى فى الأحكام ، حديث ١٣٢٧ ، باب القاضى كيف يقضى، جـ٣ ، ص٦١٦ ، وقال ( وليس إسناده عندى بمتصل ) .

٢) صحيح البخارى ، كتاب الزكاة ، باب إنفاق المال فى حقه ، جـ٢ ، ص٥١١ ، وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب المسافرين ، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ، حديث ٢٦٨ ، جـ١ ، ص ٥٥٩ .

٣) الجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير للحافظ جلال الدين السيوطى ، جـ١ ، ص ٢٤ ، دار الكتب العلمية ، ط٤ ، بدون تاريخ .

٤) ٥) ٦) سورة المائدة . ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ .

والصهيونى فى زحزحة المسلمين عن مصدر عزتهم بإقصاء القرآن عن الحكم .
قال تعالى : ( أَفَحُكْمَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ )(١).

لقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم المتخاصمين على الصدق عند عرض قضاياهم لأن القاضى يحكم على وفق ما يسمع ، إنه لايعلم الغيب .
عن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سمع خصومة بباب حجرته ، فخرج إليهم فقال : " إنما أنا بشر وإنه يأتينى الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صادق فأقضى له بذلك ، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هى قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها "(٢).

كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن من اقتطع حق أخيه بيمينه أوجب الله له النار ، ويستوى فى هذه الحالة كون هذا الحق يسيرا أم جليلا ، عن أبى أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرّم عليه الجنة ، فقال له رجل وإن كان شيئا يسيرا يارسول الله قال : " وإن قضيبا من أراك "(٣).

كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن بغض الله تعالى للألد الخصم وهو الرجل المعوج المنحرف عن الحق الذى يريد قلب الموازين .
عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أبغض

---

١) المائدة. ٥٠.
٢) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الأحكام ، باب من قضى له بحق أخيه فلا يأخذه ، جـ١٣، ص ١٨٤ ، وأخرجه مسلم فى صحيحه بنحوه ، كتاب الأقضية ، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة ، حديث ٥ ، جـ٣ ، ص ١٣٣٧ - ١٣٣٨.
٣) سنن الدارمى ، كتاب البيوع ، باب فيمن اقتطع مال امرئ مسلم بيمينه ، جـ٢ ، ص ٢٦٦.

الرجال إلى الله الألد الخصم "(١).

ولقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم القضاة من الجور فقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : "القضاة ثلاثة واحد فى الجنة وإثنان فى النار فأما الذى فى الجنة فرجل عرف الحق فقضى به ، ورجل عرف الحق فجار فى الحكم فهو فى النار ، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار "(٢)

من قضاء الرسول:

عن أنس رضى الله عنه قال : " قالت الأنصار يوم فتح مكة - وأعطى قريشا - والله إن هذا لهو العجب ، إن سيوفنا تقطر من دماء قريش وغنائمنا تردّ عليهم فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فدعا الأنصار ، قال : فقال : ما الذى بلغنى عنكم ؟ - وكانوا لايكذبون- فقالوا : هو الذى بلغك ، قال : أَوَلَا ترضون أن يرجع الناس بالغنائم إلى بيوتهم وترجعون برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيوتكم ؟ لو سلكت الأنصار واديا أو شعبا لسلكت وادى الأنصار أو شعبهم "(٣).

وفى رواية أخرى لمسلم قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مخاطبا الأنصار : " ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والإبل وتذهبون برسول الله إلى رحالكم؟ الأنصار

---

١) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الأحكام ، باب الألد الخصم وهو الدائم فى الخصومة، جـ١٣ ، ص ١٩٢ .

٢) سنن أبى داود ، كتاب الأقضية ، باب فى القاضى يخطىء ، جـ٤ ، ص ٥ ، وأخرجه الترمذى فى الأحكام ، حديث ١٣٢٢ - باب ماجاء فى القاضى . وابن ماجة فى الأحكام ، حديث ٢٣١٥ ، باب الحاكم يجتهد فيصيب الحق ، جـ٢ ، ص ٧٧٦.

٣) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب مناقب الأنصار ، باب مناقب الأنصار ، جـ٧ ، ص١٣٧ . وأخرجه مسلم فى كتاب الزكاة ، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم ، حديث ١٣٤ ، جـ٢، ص ٧٣٥.

شعار والناس دثار[1] ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادى الأنصار وشعبهم ، إنكم ستلقون بعدى أثرة ، فاصبروا حتى تلقونى على الحوض "[2].

فهاتان الروايتان تبينان قدرات الرسول العظيمة على استيعاب الرعية وفض منازعاتها قبل أن يتسع الخرق وينشق الصف .

فبعد فتح مكة خص الرسول صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم بالغنائم فحزن الأنصار واعترضوا ظانين أن هذه القسمة ليست عادلة وأن الرسول خص قرابته بالغنائم وحينما علم الرسول صلى الله عليه وسلم بقول الأنصار تكلم فيهم وأشعرهم بحبه الشديد لهم ودعاهم إلى النظر إلى النعيم الأخروى لا إلى الدنيا ومتاعها الحقير .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم القضاة ويرشدهم قبل أن يتولوا أعمالهم .

عن على عليه السلام قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قاضيا ، فقلت : يارسول الله ترسلنى وأنا حديث السن ولا علم لى بالقضاء ؟ فقال : " إن الله سيهدى قلبك ويثبت لسانك ، فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء "[3].

ولعظيم أمر القضاء نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحاكم أن يحكم

---

١) الشعار : الثوب الذى يلى الجسد ، والدثار فوقه ، والمراد أن الأنصار هم البطانة والخاصة والأصفياء .

٢) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم ، حديث ١٣٩ ، جـ٢ ، ص٧٣٨ .

٣) سنن أبى داود ، كتاب الأقضية ، باب كيف القضاء ، جـ٤ ، ص ١١ ، وأخرجه الترمذى مختصرا فى الأحكام ، حديث ١٣٣١ ، باب القاضى لايقضى بين الخصمين حتى يسمع كلامهما ، جـ ٣ ، ص ٦١٨ ، وقال ( حديث حسن ).

بين اثنين وهو غضبان •

كتب أبوبكرة إلى ابنه[(١)] - وكان بسجستان- بأن لاتقضى بين اثنين وأنت غضبان ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " لايقضى حكم بين اثنين وهو غضبان"[(٢)] •

فالغضب قد يفوت على القاضى مقاصد الحق وقد يغطى على تفكيره ويفوت عليه الكثير من استحضار مستلزمات الحكم • ولذلك نهى الرسول الحاكم عن القضاء أثناء الغضب •

" ويقاس على الغضب كل مايفوت على القاضى استقراره النفسى من عوارض جوع أو عطش أو حر أو برد شديدين أو حاقنا[(٣)] أو حاقبا[(٤)] أو مشغول الفكر فحكمه حكم الغضب فى المنع "[(٥)] •

ولايجوز للقاضى أن يقبل شفاعة أى إنسان فى الحدود •

عن عائشة أن قريشا أهمتهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : ومن يجترىء عليه[(٦)] إلا أسامة ، حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فكلمه أسامة فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم " أتشفع فى حد من حدود الله ؟ " ثم قام فاختطب فقال : " أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم ، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف

---

١) ابنه : هو عبيد الله بن أبى بكرة وكان قاضيا على سجستان •

٢) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الأحكام ، باب هل يقضى القاضى أو يفتى وهو غضبان ، جـ١٣ ، ص ١٤٦ ، ومسلم فى صحيحه بنحوه ، كتاب الأقضية ، باب كراهة قضاء القاضى وهو غضبان ، حديث ١٦ ، جـ٣ ، ص ١٣٤٣ - ١٣٤٤ •

٣) الحاقن : الذى احتبس بوله فتجمع • يقال لا رأى لحاقن ، انظر : المعجم الوسيط ، جـ١ ، ص ١٨٩ •

٤) الحاقب : الذى يحبس غائطه ، المعجم الوسيط ، جـ١ ، ص ١٨٧ •

٥) رسالة مع القضاة ، ص٥ ، انظر : نظام القضاء فى الإسلام ، ص ١٨٦ •

٦) ومن يجترىء عليه : أى لايتجاسر على الكلام فى ذلك أحد لمهابته •

أقاموا عليه الحد ، وأيم الله ! لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها "(١).

ومن الجدير بالذكر أنه لايجوز للقاضى أن يجلد المتهم ليعترف بما اتهم به وخصوصا إذا كانت التهمة تتعلق بشىء من حقوق الله وذلك لأن حقوق الله مبنية على التسامح. فمثلا إتهم بشرب مسكر وأنكر ولم يكن سكران أو اتهم بحادثة أخلاقية وأنكر ولابينة فلا نحاول حمله على الإعتراف.

أما المتهمون بجرائم القتل والسطو والخيانة بالإخلال بالأمن والتجسس لحساب الأعداء فإن المصلحة تحتم معاملتهم بما يستحقون حتى يتم كشف الغموض(٢).

كما يجب على القاضى أن يكون فطنا يقظا ولايجوز له أن يصدر الحكم بالحد إلا إذا كانت البينة واضحة وضوح الشمس. فخطأ القاضى فى العفو خير من خطئه فى إقامة الحد. فالأصل درء الحدود بالشبهات.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إدفعوا الحدود ما وجدتم له مدفعا "(٣).

كما ثبت عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إدرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن كان له مخرج فخلوا سبيله فإن الإمام أن يخطىء فى العفو خير من أن يخطىء فى العقوبة "(٤).

ولقد بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيفية التثبت قبل تنفيذ الحد من خلال الحوار الذى دار بينه وبين الأسلمى.

---

١) صحيح مسلم ، كتاب الحدود ، باب قطع السارق الشريف وغيره ، حديث ٨ ، جـ٣ ، ص ١٣١٥.
٢) انظر : رسالة مع القضاة ، ص ٢٣.
٣) سنن ابن ماجة ، كتاب الحدود ، باب الستر على المؤمن ودفع الحدود بالشبهات ، حديث ٢٥٤٥ ، جـ٢ ، ص ٨٥٠.
٤) سنن الترمذى ، كتاب الحدود ، باب ماجاء فى درء الحدود ، جـ٦ ، ص ١٩٨.

عن أبى هريرة يقول : جاء الأسلمى نبىّ الله صلى الله عليه وسلم فشهد على نفسه أنه أصاب امرأة حراما أربع مرات، كل ذلك يعرض عنه النبى صلى الله عليه وسلم فأقبل فى الخامسة فقال " أ " ؟ قال : نعم ، قال "حتى غاب ذلك منك فى ذلك منها " قال : نعم . قال : كما يغيب المرود فى المكحلة والرشاء فى البئر"؟ قال: نعم، قال : " فهل تدرى ما الزنا "؟ قال : نعم أتيت منها حراما ما يأتى الرجل من امرأته حلالا ، قال : " فما تريد بهذا القول ؟ قال : أريد أن تطهرنى ، فأمر به فرجم "[1] .

ومن خلال هذا الحديث يتبين لنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأمر برجم الأسلمى بمجرد إخباره عن نفسه بأنه زنى، ولكنه أعرض عنه، فلما ألحّ الأسلمى على الرسول صلى الله عليه وسلم في طلب التطهر من هذه الفاحشة استجوبه فعلم أنه عاقل وفى كامل قواه العقلية وأنه فعلا قام بتلك الفاحشة، وحينها أمر برجمه .

وإذا ثبت الحد بالرجم على امرأة حامل فلا يجوز رجمها حتى تضع وذلك إحسانا إليها وإلى جنينها .

عن عمران بن حصين أن امرأة أتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : إنها زنت وهى حبلى فدعا النبى صلى الله عليه وسلم وليا لها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم " أحسن إليها فإذا وضعت فجئ بها " فلما أن وضعت جاء بها، فأمر بها النبى صلى الله عليه وسلم فشكت[2] عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم أمرهم فصلوا عليها ، فقال عمر : يارسول الله تصلى عليها وقد زنت ؟ قال :"والذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو قسمت على سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل

---

١) سنن أبى داود ، كتاب الحدود ، باب رجم ماعز بن مالك ، جـ٤ ، ص ٥٨٠.

٢) شكت عليها ثيابها : أى شدت عليها لئلا تتجرد فتبدو عورتها .

وجدت أفضل من أن جادت بنفسها "(١).

صور من سماحة السلف الصالح في القضاء :

إختار المسلمون أبابكر الصديق خليفة لهم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم . " ولقد استعمل أبوبكر عمر بن الخطاب على قضاء المدينة فمكث عمر سنة لايتقدم إليه أحد فما هو السر ؟.

إن عدل الخليفة الرائد الأول فى رعيته هو الذى أراح قضاته من عناء القضاء ووطد الأمن وحقق المقاصد الإسلامية بين المسلمين والألفة والوفاء والمحبة وحسن الجوار والإقتضاء بنطاق الإحسان وأخوة الإيمان "(٢).

وبعد وفاة أبى بكر اختار المسلمون عمر للخلافة ، وفى عصر عمر اتسعت الدولة الإسلامية بالفتوحات الإسلامية وكثرت الأمصار التابعة للدولة وكان للدولة عمال كثيرون فى كل مصر .

فقال عمر بن الخطاب : " أيها الناس إنى والله ما أرسل إليكم عمالا ليضربوا أبشاركم وليأخذوا أموالكم ولكنى أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم فمن فعل به شئ غير ذلك فليرفعه إلىّ فوالذى نفس عمر بيده لأقتصن منه "(٣).

ويأتيه مصرى يشكو إليه بأن ابن عمرو بن العاص قد اعتدى عليه وضربه فيبعث فى طلبه ، ويأمر المصرى بضرب ابن عمرو .. وعمرو حينذاك وال لمصر .

---

١) سنن أبى داود ، كتاب الحدود ، باب المرأة التى أمر النبى صلى الله عليه وسلم برجمها ، من جهينة ، جـ٤ ، ص ٥٨٧ .

٢) رسالة مع القضاة ، ص ١٧ .

٣) تاريخ الأمم والملوك ، لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، جـ٤ ، ص ٢٠٤ ، دار سويدان ، بيروت ، بدون تاريخ .

ثم يقول له " أدر عصاك على صلعة عمرو" ، فيقول المصرى : يا أمير المؤمنين لقد ضربت من ضربنى ، فيقول له : فما ضربك الإبن إلا لمكانة أبيه ثم يقول : ياعمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ [(١)].

ومما يؤكد قدرات عمر بن الخطاب العظيمة فى القضاء .. قضاؤه فى المرأة الحبلى من غير بعل .

"أتى عمر رضى الله عنه بامرأة حبلى من غير بعل من أهل اليمن ، قالوا بغت فقالت: والله يا أمير المؤمنين ما خاللت خليلا ولا خادنت خدنا منذ أسلمت ولكن بينما أنا نائمة بفناء بيتى فوالله ما أيقظنى إلا الرجل رفصنى وألقى فى بطنى مثل الشهاب ثم نظرت إليه مقنعا ما أدرى من أى خلق الله هو ؟ فقال عمر رضى الله عنه يمانية نؤومة شابة ، فخلى عنها ومتعها بعطاء وكساها وأوصى بها قومها خيرا "[(٢)].

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقرب العلماء والفقهاء منه ويسمع لقولهم.جاءت امرأة إلى عمر بن الخطاب فقالت :

" يا أمير المؤمنين إن زوجى يصوم النهار ويقوم الليل وأنا أكره أن أشكوه وهو يعمل بطاعة الله ، فقال لها : نِعمَ الزوج زوجك ، فجعلت تكرر عليه القول وهو يكرر عليها الجواب ، فقال له كعب بن سور الأزدى[(٣)] يا أمير المؤمنين هذه المرأة تشكو

---

١) انظر : أخبار عمر وعبدالله بن عمر ، تأليف على الطنطاوى وناجى الطنطاوى ، ص١٥٥ـ١٥٦ دار الفكر ، بيروت ، ط٣ ، ١٣٩٢ هـ ، ١٩٧٣م ، الإسلام وتربية الإنسان ، ص ١٤١ .

٢) رسالة مع القضاة ، ص ٢١ .

٣) كعب بن سور الأزدى قيل إنه أدرك النبى وهو قاضى البصرة ، استقضاه عمر بن الخطاب عليها ، وظل قاضيا عليها إلى أن قتل يوم الجمل مع عائشة ، حيث وقف بين الصفين يدعو إلى تحكيم القرآن ، فأصابه سهم فقتله . انظر : أسد الغابة ، جـ٤ ، ص ١٨٠ .

زوجها فى مباعدته إياها عن فراشه ، فقال له عمر رضى الله عنه :كما فهمت كلامها فاقض بينهما ، فقال كعب علىّ بزوجها فأتى به فقال : إن امرأتك تشكوك ، فقال: أفى طعام أو شراب ؟ قال : لا فى واحد منهما ، فقالت المرأة ( من الرجز )٠

يا أيُّهَا القاضِى الحكيمُ رُشْدُهُ *** ألهىٰ خَليلِى عَنْ فِرَاشِى مَسْجِدُهْ
زَهَّدَنى فِى مَضْجَعِى تَعَبُّدُهْ *** نَهارُهُ وَليلهُ ما يَرقُدُهْ
فَلستُ فِى أمرِ النِّسَاءِ أحْمَدُهْ *** فَاقْضِ الْقَضَا يَاكَعْبُ لاتَرَدَّدُهْ

فقال الزوج من الرجز :

زَهَّدَنى فِى فرشِهَا وَفِى الحَجَلْ *** أنّى امْرؤ أذهَلَنِى مَا قد نَزَلْ
فِى سُورةِ النَّحْلِ وَفِى السَّبعِ الطّوَلْ *** وَفِى كِتَابِ اللّهِ تَخْوِيفٌ جَلَلْ

فقال كعب من الرجز :

إنَّ لَهَا حَقّاً عَلَيْكَ يَا رَجُلْ *** نَصِيبُهَا فِى أرْبَعٍ لِمَنْ عَقَلْ
فَأعْطِهَا ذَاكَ وَدَعْ عَنْكَ الْعِلَلْ" (١)٠

## المطلب الثانى

## الإحسان فى البيع والشراء

إعتنى الإسلام عناية خاصة بتنظيم المعاملات بين الناس حتى يأخذ كل إنسان حقه من غير ظلم أو جور ٠

إن التاجر فى عمله لايقل عن القاضى فى مهمته فيجب عليه أن يتحلى بمكارم الأخلاق وأن يتجنب محقرات الأشياء ، إنه من الواجب عليه أن يكون أمينا فى معاملته صادقا فى قوله ٠

وقد تضافرت الأديان على هداية الناس إلى الصراط المستقيم فى المعاملة : قال تعالى:

---

١) الأحكام السلطانية فى الولايات الدينية ، تأليف أبى الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى الماوردى (٣٧٠ ـ ٤٥٠) خرّج أحاديثه وعلق عليه خالد عبداللطيف السبع العلمى ، ص ١٦٦ ـ ١٦٧ ، دار الكتاب العربى ، ط١ ، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م٠

( وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَاتَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَاتُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِين )[1].

وفى هذه الآية جمع الله فى دعوة شعيب بين الأمر بعبادته والأمر بتوفية الكيل والميزان والنهى عن الإفساد فى الأرض ، فنقص الكيل والميزان إفساد فى الأرض.

ولما فشت معصية عدم إيفاء الكيل فى أهل مدين أمرهم الله على لسان نبيهم بالإستقامة فى الإعطاء ، كما أمرهم بالكف عن ظلم الناس باقتطاع شئ من أموالهم وأمتعتهم مما يكال أو يوزن[2].

والتعبير بالأشياء دون الحقوق فى قوله ( وَلَاتَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُم ) للتعميم فإن مفهوم الشئ أعمّ بالنسبة إلى مفهوم الحق، فلا يجوز اقتطاع أى شئ من أموال الناس . فالحقير كالجليل من ناحية الحظر[3].

" إن بخس الناس أشياءهم فى المكيل والموزون من خساسة النفس ودناءة الهمة وغلبة الحرص ومتابعة الهوى والظلم "[4].

قال تعالى : ( وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ.الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ.وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ.أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ.لِيَوْمٍ عَظِيم )[5].

<u>مناسبة الآيات :</u>

" قال ابن عباس لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا

---

١) الأعراف. ٨٥.

٢) انظر : المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ، للقاضى أبى محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسى ، تحقيق المجلس العلمى بفاس ، جـ٧ ، ص ١٠٨ ، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٣) انظر : تفسير روح البيان ، تأليف الإمام إسماعيل حقى البروسوى ، المتوفى ١١٣٧هـ، جـ٣، ص ٢٠٠ ، دار الفكر ، بدون تاريخ.

٤) المصدر السابق، جـ٣ ، ص ٢٠٠.

٥) سورة المطففين. ١ - ٥.

من أخبث الناس كيلا فأنزل الله تعالى ( وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ) فأحسنوا الكيل بعد ذلك"(١)

وقال السدى(٢) : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يقال له : أبوجهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فأنزل الله هذه الآية (٣).

والمراد من التطفيف البخس فى الكيل والوزن، وقد توعد الله عز وجل المطففين بالويل وهو شدة الشر وقيل الحزن والهلاك وقيل العذاب الأليم(٤).

وفى قوله تعالى ( أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ) إنكار شديد من حال المطففين فى الإجتراء على التطفيف فلو أنهم كانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر الذى يحاسبون فيه على مقدار الذرة لما نقصوا فى الكيل والوزن(٥).

ولقد أمر الله تعالى الأمة الإسلامية بإيفاء الكيل فقال :

( وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا )(٦).

وهذه الآية تشير إلى أن عاقبة إيفاء الكيل والوزن أحسن العواقب وذلك لأن التاجر إذا اشتهر بالإحتراز عن التطفيف مالت إليه القلوب لأمانته وحصل له الإستغناء فى الزمان القليل، والذكر الجميل، هذا فى الدنيا أما فى الآخرة فالفوز بالثواب العظيم والخلاص من العقاب الأليم(٧).

" والتجارات عندنا تقوم على الطمع البالغ، البائع يريد الغلو والشارى يريد

---

١) سنن ابن ماجة كتاب التجارات ، باب التوقى فى الكيل والوزن ، حديث ٢٢٢٣ ، جـ٢ ، ص ٧٤٨ ، وأخرجه الحاكم فى مستدركه على الصحيحين ، كتاب البيوع ، جـ٢ ، ص ٣٣.

٢) السدى : هو إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبى كريمة ، وهو السدى الكبير كان يقعد فى سدة باب الجامع فسمى السدى ، روى عن أنس وابن عباس وغيرهم ، مات سنة ١٢٧هـ ، قال العجيلى فيه ثقة عالم وجرحه إبراهيم النخعى ، انظر : تهذيب التهذيب ، جـ١ ، ص٣١٣-٣١٤.

٣) زاد المسير فى علم التفسير ، للإمام أبى الفرج الجوزى القرشى البغدادى ، جـ٨ ، ص٢٠٠.

٤) انظر : روح المعانى ، للألوسى ، جـ٣٠ ، ص ٦٧.

٥) انظر : تفسير النسفى ، جـ٣ ، ص ٦٦٢ ، التفسير الواضح ، جـ٣٠ ، ص ٢٦.

٦) الإسراء ٣٥.

٧) انظر : تفسير الرازى ، جـ٢٠ ، ص ٢٠٨ ، تفسير أبى السعود ، جـ٢ ، ص ٣٢٧.

البخس ، والأثرة هى التى تسود حركات التبادل فى الأسواق والمحال، وقد كـره الإسلام هذه المعاملة البشعة وما يشوبها من لغو ومراء "[١].

عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " رحم الله رجلا سمحا إذا باع، سمحا إذا اشترى، سمحا إذا اقتضى "[٢].
قال ابن حجر فى شرح هذا الحديث " وفيه الحض على السماحة فى المعاملة واستعمال معالى الأخلاق وترك المشاحة ، والحض على ترك التضييق على الناس فى المطالبة وأخذ العفو منهم "[٣].

<u>النبى ينصح التجار:</u> خرج الرسول صلى الله عليه وسلم ذات يوم إلى سوق الناس فرآهم يتساومون ويتبايعون فاستمع إليهم ورأى صور تبايعهم وأصناف المبيعات فقال : " يامعشر التجار " فاستجابوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه ، فقال : " إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارا إلا من اتقى وبرّ وصدق "[٤].

إن التجار لهم بأصل مهنتهم مكانة عظيمة عندالله وذلك إن اتقوا الله وبروا وصدقوا، والمراد من تقوى الله هنا إتقاء سخطه وغضبه فلم يظلموا أحدا من خلقه ، والمراد من الصدق عدم الكذب والتدليس .

---

١) خلق المسلم ، محمد الغزالى ، ص ٤٠ ، دار القلم ، ط٢ ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٢) سنن ابن ماجة ، كتاب التجارات ، باب السماحة فى البيع ، جـ٢ ، ص ٧٤٢ ، وأخرجه البخارى بنحوه ، فتح البارى ، كتاب البيوع ، باب السهولة والسماحة فى الشراء والبيع ، جـ٤ ، ص ٣٥٩.
٣) فتح البارى ، شرح صحيح البخارى ، جـ٤ ، ص ٣٥٩.
٤) سنن الترمذى ، كتاب البيوع ، باب ماجاء فى التجار ، حديث ١٢١٠ ، جـ٣ ، ص٥١٥ ، وقال: (حسن صحيح) ، وأخرجه ابن ماجة فى سننه ، كتاب التجارات ، باب التوقى فى التجارة ، حديث ٢١٤٦ ، جـ٢ ، ص ٧٢٦ ، والدارمى فى سننه بنحوه ، كتاب البيوع ، باب فى التجار ، جـ٢ ، ص ٢٤٧.

عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء "(١) .

<u>من غشنا فليس منا :</u>

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ على صبرة طعام(٢) فأدخل يده فيها ، فنالت أصابعه بللا ، فقال : " ماهذا ياصاحب الطعام ؟ " قال أصابته السماء(٣) يارسول الله ! قال : " أفلا جعلته فوق الطعام كى يراه الناس؟ من غش فليس منى "(٤) .

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يراقب الأسواق وما فيها من مواد تموينية فإذا ضبط حالة غش أو خيانة حاكم صاحبها ، وهو فى الحديث يصدر حكمه على الرجل الغاش بأنه ليس من المسلمين . إن الذى يغش واحدا من المسلمين غاش لجماعتهم .

ولقد توعد الله سبحانه وتعالى التجار الذين يستغلون سذاجة المشترى فى كسب مضاعف أو تغطية عيب بالعذاب الشديد .

أخرج البخارى عن عبدالله بن أبى أوفى(٥) أن رجلا أقام سلعة له فى السوق فحلف بالله لقد أعطى بها مالم يعط ليوقع فيها رجلا من المسلمين فنزلت هذه الآية (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ

---

١) سنن الترمذى ، كتاب البيوع ، باب ماجاء فى التجار ، حديث ١٢٠٩ ، جـ٣ ، ص ٥١٥ وقال: (حديث حسن) .

٢) صبرة طعام : الصبرة الكومة المجموعة من الطعام .

٣) أصابته السماء : أى المطر .

٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان ، باب قول النبى من غشنا فليس منا ، حديث ١٠٢ ، جـ١ ، ص ٩٩ .

٥) عبدالله بن أبى أوفى ، يكنى أبا معاوية ، شهد الحديبية ، وبايع بيعة الرضوان وشهد خيبر ومابعدها من المشاهد ، توفى بالكوفة سنة ست وثمانين وقيل سبع وثمانين بعد ما كف بصره ، انظر : أسد الغابة ، جـ٣ ، ص ٧٨ - ٧٩ .

وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَايَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَايُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (1) "(2).

كما صح عن أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة ولاينظر إليهم (3) ولايزكيهم (4) ولهم عذاب أليم" قال : فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ، قال أبوذر : خابوا وخسروا من هم يارسول الله ؟ قال " المسبل (5) والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب "(6).

كما صح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تناجشوا ولايبع المرء على بيع أخيه ... "(7).

والنجش : " هو الزيادة فى ثمن السلعة من غير رغبة فيها لتخديع المشترى وترغيبه ونفع صاحبها "(8).

أما بيع المرء على بيع أخيه " فمثاله أن يقول لمن اشترى شيئا فى مدة الخيار إفسخ هذا البيع وأنا أبيعك مثله بأرخص من ثمنه ، أو أجود منه بثمنه ونحو

١) سورة آل عمران، ٧٧.
٢) لباب النقول فى أسباب النزول ، ص ٥٤.
٣) ولاينظر إليهم : معناه الإعراض عنهم .
٤) ولايزكيهم : لايطهرهم من دنس ذنوبهم .
٥) المسبل : هو المرخى إزاره ، الجار طرفه خيلاء .
٦) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب غلظ تحريم إنفاق السلعة بالحلف ، حديث ١٧١ ، جـ١ ، ص ١٠٢.
٧) صحيح مسلم ، كتاب النكاح ، باب تحريم الخطبة على خطبة أخيه حتى يأذن ، حديث ٥٢ ، جـ٢ ، ص ١٠٣٣ ، وأخرجه البخارى بنحوه ، فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب البيوع ، باب لايبيع على بيع أخيه ، جـ٤ ، ص ٤١٣.
٨) صحيح مسلم ، جـ٢ ، ص ١٠٣٣.

ذلك ، وهذا حرام ، ويحرم أيضا الشراء على شراء أخيه ، وهو أن يقول للبائع في مدة الخيار ، إفسخ هذا البيع وأنا أشتريه منك بأكثر من هذا الثمن "(١).

ومن سماحة الإسلام في المعاملات أنه شرع الخيار بين المتعاقدين عن سمرة(٢) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " البيعان بالخيار مالم يتفرقا "(٣).

وإذا اشترى الإنسان شيئا ثم وجد فيه عيبا بعد التفرق من المجلس فإن من حقه أن يرد هذا الشيء إلى صاحبه في مدة لاتتجاوز الثلاثة أيام .

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من ابتاع مُصَرَّاة(٤) فهو بالخيار ثلاثة أيام ، فإن ردها ردّ معها صاعا من تمر ، لاسمراء " يعني الحنطة"(٥).

ولقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على الصدق في المعاملة لأن البركة تحصل بالصدق أما إذا كتم البيعان أو كذبا فإن بركة هذا البيع تمحق ،

عن حكيم بن حزام(٦)، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " البيعان بالخيار مالم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كذبا وكتما محق بركة بيعهما "(٧).

---

١) انظر : فتح الباري ، جـ٤ ، ص ٤١٥.

٢) سمرة بن جندب ، أجازه الرسول صلى الله عليه وسلم يوم أحد رغم حداثة سنه ، توفي سنة تسع وخمسين وقيل سنة ثمان وخمسين بالبصرة ، سقط في قدر مملوءة ماء حارا كان يتعالج بالقعود عليها من كزاز أي برد شديد أصابه ، انظر : أسد الغابة ، جـ٢ ، ص٣٠٢ - ٣٠٣.

٣) سنن ابن ماجة ، كتاب التجارات ، باب البيعان بالخيار مالم يتفرقا ، حديث ٢١٨٣ ، جـ٢ ، ص ٧٣٦.

٤) مُصَرَّاة من التصرية وهو حبس اللبن في ضروع الإبل والغنم تغريرا للمشتري .

٥) سنن ابن ماجة،كتاب التجارات ، باب بيع المصرّاة ، حديث ٢٢٣٩ ، جـ٢ ، ص ٧٥٣.

٦) حكيم بن حزام هو ابن أخي خديجة بنت خويلد ، ولد في الكعبة وهو من مسلمة الفتح ، وكان من أشراف قريش ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، أعطاه الرسول يوم حنين مائة بعير ثم حسن إسلامه ، وكان مولده قبل الفيل بثلاث عشرة سنة على اختلاف في ذلك ، عاش مائة وعشرين سنة. انظر : أسد الغابة جـ١ ، ص ٥٢٢.

٧) سنن الدارمي ، كتاب البيوع ، باب في البيعان بالخيار مالم يتفرقا ، جـ٢ ، ص ٢٥٠.

التحذير من احتكار السلع :

لقد اعترف الإسلام بالملكية الفردية ، وحينما قررها لم يغفل عن الطرق المشبوهة التى تضر بالمجتمع وتضيق عليه ، ومن ذلك احتكار الطعام واحتجاز السلع فى وقت تشتد حاجة الناس إليها ٠

عن معمر بن عبدالله بن نافع بن نضلة العدوى (١) قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لايحتكر إلا خاطئ مرتين" (٢) ٠

إن الطمع فى الربح الكثير هو الذى يسوق الكثير من التجار إلى احتكار السلع فيحجزون عن الناس طعامهم وشرابهم ودواءهم وكساءهم ، وبهذا يتحصل الضرر الكبير للناس ٠

ولقد أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم براءة المحتكرين من الله وبراءة الله منهم وذلك لما يسببه الإحتكار من أضرار للناس ٠

عن ابن عمر رحمه الله عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " من احتكر طعاما أربعين يوما فقد برئ من الله تبارك وتعالى وبرئ الله تبارك وتعالى منه ... " (٣) ٠

وهذه البراءة لم يعلنها القرآن إلا لجماعة المشركين " وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ " (٤) ٠

التحذير من الربا فى المعاملات:

قال تعالى : ( وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ) (٥) ٠

---

١) معمر بن عبدالله العدوي ، أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية وتأخرت هجرته إلى المدينة وقدمها مع أصحاب السفينتين من الحبشة ٠ عاش عمرا طويلا وهو الذى حلق شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ٠ انظر : أسد الغابة ، جـ٤ ، ص ٤٦٠ ٠
٢) سنن الدارمى ، كتاب البيوع ، باب فى النهى عن الإحتكار ، جـ٢ ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ ٠
٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، كتاب البيوع ، باب الإحتكار ، جـ٤ ، ص ١٠٠ ٠
٤) التوبة ٠ ٣ ٠
٥) سورة البقرة ٠ ٢٧٥ ٠

وقال : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ )(١).

كان الناس فى الجاهلية يتعاملون بالربا وفى هذا مشقة كبيرة على الفقراء الذين لايقدرون على سداد أصل الدين فضلا عن الفائض ، ثم جاء الإسلام ليعلن الحرب على أكلة الربا . وبالفعل فقد تحرر الفقراء من ظلم أصحاب رؤوس الأموال.

عن عبدالله بن مسعود قال : " لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا ومؤكله "(٢).

كما ثبت عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أتيت ليلة أسرى بى على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم فقلت من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة الربا "(٣).

ومما يؤسف له فى واقعنا المعاصر شيوع التعامل بالربا . فقد تمكن الأعداء من إقناع الكثير من المسلمين بأن التعامل بالربا ضرورة يفرضها التحضر والتمدن ، ولقد تنبأ الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هذا الحال فقد ثبت :

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ليأتين على الناس زمان لايبقى منهم أحد إلا آكل الربا فمن لم يأكل أصابه من غباره "(٤).

<u>التنفيس عن المعسر :</u>

قال تعالى : ( وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ

---

١) البقرة. ٢٧٨ - ٢٧٩.

٢) سنن الدارمى ، كتاب البيوع ، باب فى لعن آكل الربا ومؤكله ، ج٢ ، ص ٢٤٦.

٣) سنن ابن ماجة ، كتاب التجارات ، باب التغليظ فى الربا ، حديث ٢٢٧٣ ، ج٢ ، ص٧٦٣.

٤) سنن ابن ماجة ، كتاب التجارات ، باب التغليظ فى الربا ، حديث ٢٢٧٨ ، ج٢ ، ص ٧٦٥.

إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ )[١] .

لقد جاء الإسلام ليحمل الرحمة للدائن والمدين وللمجتمع الذى يظل الجميع فمنع مطاردة المعسر من صاحب الدين ومن المحاكم .

عن أبى قتادة أنه طلب غريماً له فتوارى منه ، ثم وجده ، فقال : إنى معسر . فقال: آلله ؟ قال : آلله ، قال : فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس[٢] عن معسر ، أو يضع عنه "[٣] .

وفى رواية أخرى عن أبى قتادة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نفس عن غريمه أو محا عنه كان فى ظل العرش يوم القيامة "[٤] .

وإذا كان الذى عليه الحق غنيا فلا يجوز له أن يماطل .

عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " مطل الغنى ظلم ، وإذا أتبع أحدكم على ملئ فليتبع "[٥] .

والمراد من المطل منع قضاء ما استحق أداؤه ، فمطل الغنى ظلم وحرام أما مطل الفقير فليس بظلم ولا حرام لمفهوم الحديث . فالفقير غير متمكن من الأداء لغيبة المال ولذلك يجوز له التأخير إلى الإمكان .

لقد رغب الرسول صلى الله عليه وسلم فى إنظار المعسر والتجاوز عنه لأنه يترتب على ذلك النجاة فى الدنيا والآخرة والفوز بالجنة والرضوان .

---

١) سورة البقرة . ٢٨٠ .

٢) فلينفس : أى يمد ويؤخر المطالبة ، وقيل معناه يفرج عنه .

٣) صحيح مسلم ، كتاب المساقاة ، باب فضل إنظار المعسر ، حديث ٣٢ ، جـ٣ ، ص ١١٩٦ .

٤) سنن الدارمى ، كتاب البيوع ، باب فيمن أنظر معسرا ، جـ٢ ، ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

٥) صحيح مسلم ، كتاب المساقاة ، باب تحريم مطل الغنى ، حديث ٣٣ ، جـ٣ ، ص ١١٩٧ .
وأخرجه الدارمى فى سننه ، كتاب البيوع ، باب فى مطل الغنى ، جـ٢ ، ص ٢٦١ .

عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم، فقالوا : أعملت من الخير شيئا ؟ قال : لا ، قالوا : تذكر ، قال: كنت أداين الناس فآمر فتياني أن ينظروا المعسر ويتجوزوا[١] عن الموسر ، قال : قال: الله عز وجل تجوزوا عنه "[٢].

كما صح عن أبي مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " حوسب رجل ممن كان قبلكم ، فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس ، وكان موسرا ، فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر ، قال : قال الله عز وجل نحن أحق بذلك منه تجاوزوا عنه "[٣].

## المطلب الثالث

## الإحسان إلى أهل الكتاب

إن الإسلام يقيم العلاقة بين أبنائه المسلمين وبين مواطنيهم من غير المسلمين على أسس من التسامح والعدالة والبر والرحمة وهي أسس لم تعرفها البشرية قبل الإسلام ولاتزال إلى اليوم تتطلع إلى تحقيقها في المجتمعات الحديثة.

فالإسلام ينظر إلى رعاياه من أهل الكتاب على أنهم قد أصبحوا من الناحية السياسية أو الجنسية مسلمين فيما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات وإن بقوا

---

١) ويتجوزوا : معناه المسامحة في الإقتضاء والإستيفاء وقبول مافيه نقص يسير .
٢) صحيح مسلم ، كتاب المساقاة ، باب فضل إنظار المعسر ، حديث ٢٦ ، جـ٣ ، ص ١١٩٤. وأخرجه الدارمي في سننه بنحوه ، كتاب البيوع ، باب في السماحة ، جـ٢ ، ص ٢٤٩.
٣) صحيح مسلم ، كتاب المساقاة ، باب فضل إنظار المعسر ، حديث ٣٠ ، جـ٣ ، ص ١١٩٦ ، وأخرجه البخاري بنحوه ، فتح الباري ، صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب من أنظر معسرا ، جـ٤ ، ص ٣٦١.

من الناحية الشخصية على عقائدهم وعباداتهم الخاصة ، ومن ثم فهو يقيم نظمه الإجتماعية على أساس من الإختلاط والمشاركة[١].

قال تعالى : ( الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ، وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ )[٢].

فالإسلام لايكتفى بأن يترك لأهل الذمة حريتهم الدينية ثم يعتزلهم فيصبحوا فى المجتمع الإسلامى مجفوين ولكنه يشملهم بجو من المشاركة الإجتماعية فيجعل طعامهم حلا للمسلمين وطعام المسلمين حلا لهم وذلك ليتم التزاور والتضايف والمؤاكلة والمشاربة وليظل المجتمع كله فى ظل المودة والسماحة .

وكذلك أباح الإسلام للمسلمين الزواج من الكتابيات ، وقرن ذكرهن بذكر الحرائر العفيفات من المسلمات ، وهى سماحة لم يشعر بها إلا أتباع الإسلام من بين سائر أتباع الديانات ، فإن الكاثوليكى ليتحرج من نكاح الأرثوذكسية أو البروتستانتية أو المارونية ، ولا يقدم على ذلك إلا المتحللون عندهم من العقيدة[٣].

<u>دستور العلاقة مع غير المسلمين</u>

وأساس هذه العلاقة قوله تعالى : ( لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ )[٤].

١) انظر : التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ، محمد الغزالى ، ص٥٥ ، دار الكتب الحديثة ، بدون تاريخ.
٢) سورة المائدة. ٥.
٣) انظر : في ظلال القرآن ، جـ٢ ، ص ٨٤٨.
٤) الممتحنة. ٨ـ ٩.

فالبر والقسط مطلوبان من المسلم للناس جميعاً ولو كانوا كفارا بدينه مالم يقفوا فى وجهه ويضطهدوا أهله وذلك لعموم الآية ( لَايَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِم )٠

ولا معنى لقول من قال بأن الآية منسوخة ، فبر الكافر والكتابى غير محرم ولا منهى عنه إذا لم يكن له دلالة لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام أو تقوية لهم بكراع أو سلاح[١]٠

عن أسماء ابنة أبى بكر رضى الله عنها قالت : أتتنى أمى راغبة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم فسألت النبى صلى الله عليه وسلم أصلها ؟ قال : نعم ، قال ابن عيينة[٢] : فأنزل الله تعالى فيها ( لَايَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِى الدِّينِ )"[٣]

وإذا أباح الإسلام صلة الكافر فإن صلة أهل الذمة أولى ٠ فلأهل الذمة من بين غير المسلمين منزلة خاصة فى المعاملات والتشريع وذلك لأن دينهم قائم فى الأصل على كتاب سماوى وإن حُرِّفَ وَبدل بعد كاليهود والنصارى الذين قام دينهم على التوراة والإنجيل[٤]٠

ولقد أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالعفو والصفح عن اليهود رغم الخيانات التى مازالت تظهر منهم ٠

---

١) انظر : تفسير الطبرى ، جـ٢٨ ، ص ٤٣٠

٢) ابن عيينة : هو سفيان بن عيينة بن أبى عمران ميمون الهلالى أبومحمد الكوفى ، وهو ثقة ثبت فى الحديث وكان حسن الحديث يعد من حكماء أصحاب الحديث ، أثنى عليه كثير من العلماء ، قال الشافعى " لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز " وقال ابن حبان فى الثقات عنه "كان من الحفاظ المتقنين وأهل الورع والدين" ٠ ولد سنة سبع ومائة ومات سنة ثمان وتسعين ومائة فى الكوفة"٠ انظر : تهذيب التهذيب ، جـ٤ ، ص ١١٧ ـ ١٢٢٠

٣) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الأدب ، باب صلة الوالد المشرك ، جـ١٠ ، ص ٤٢٧٠

٤) انظر : غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى د /يوسف القرضاوى ، ص٦ ، مؤسسة الرسالة ، طـ٤ ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م٠

قال تعالى : ( وَلَاتَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ واصْفَحْ إِنَّ اَللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)(١).

وهذه الآية خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم يصور حال اليهود فى المدينة فهم لايكفون عن محاولات الخيانة على الرغم من أن المجتمع الإسلامى هو المجتمع الوحيد الذى آواهم ورفع عنهم الإضطهاد وعاملهم بالحسنى ولكنهم كانوا دائما عقارب وحيات وثعالب وذئابا تضمر المكر والخيانة. ورغم هذا الكيد الذى لمسه الرسول من اليهود أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالعفو عن قبائحهم والصفح عن خياناتهم (٢).

وحينما ازداد طغيان اليهود وأصبح وجودهم يمثل خطرا كبيرا يهدد أمن الدولة الإسلامية الداخلى والخارجى أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم الحرب عليهم وأجلاهم عن الجزيرة كلها . إن اليهود هم الذين جنوا على أنفسهم ولقد كان بإمكانهم أن يعيشوا فى أمان وسلامة لو أوقفوا خياناتهم المتتالية وكيدهم المستمر.

تعصب أهل الكتاب ضد الإسلام:

إن غرور اليهود والنصارى وتعصبهم ضد الإسلام والمسلمين ليسا حديثين فقديما أكد الفريقان أن الدنيا والآخرة لهما وحدهما ولقد صور القرآن هذا التفكير الضيق ورد عليه بإيجاز .

قال تعالى : ( وقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وهُوَ مُحْسِنُ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ

---

١) سورة المائدة . ١٣.
٢) انظر : فى ظلال القرآن ، ج٢ ، ص ٨٥٩.

رَبِّهِ وَلَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ)[(١)] .

وبيـن القرآن أن على المسلمين مصابرة هؤلاء اليهود والنصارى ورد عدوانهم برقـة وحلم .

( وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَاتَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ )[(٢)] .

كما بيـن القرآن أن محاسنة هؤلاء لن تطفىء نيرانهم أبدا فراحتهم الكبرى في تدمير الإسلام وإبادة أهله ، ومع استبانة هذا القصد السيء فإن الإسلام لايعاملهم بالمثل[(٣)] .

( وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَالَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَانَصِيرٍ )[(٤)] .

عن عروة بن الزبير[(٥)] أن عائشة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت : دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : السام عليكم ، قالت عائشة : ففهمتها فقلت : وعليكم السام واللعنة ، قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مهلا يا عائشة ، إن الله يحب الرفق فى الأمر

---

١) سورة البقرة . ١١١ - ١١٢ .
٢) سورة البقرة . ١٠٩ .
٣) انظر : التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ، ص ٧٤ .
٤) البقرة . ١٢٠ .
٥) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ، تابعى جليل ، ذكره ابن سعد فى الطبقة الثانية من أهل المدينة وقال كان ثقة كثير الحديث ، فقيها عالما ثبتا ، مأمونا ، مات سنة أربع أو خمس وتسعين وقيل غير ذلك . انظر : تهذيب التهذيب ، جـ٧ ، ص١٨٠ - ١٨٥ .

كله ، فقلت : يارسول الله ، أو لم تسمع ماقالوا ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد قلت وعليكم "[(١)] .

وكان جابر بن عبدالله يحدث أن يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية ثم أهدتها إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخذ منها النبى صلى الله عليه وسلم الذراع فأكل منها وأكل الرهط من أصحابه معه ثم قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم إرفعوا أيديكم وأرسل النبى صلى الله عليه سلم إلى اليهودية فدعاها فقال لها أسممت هذه الشاة فقالت نعم ومن أخبرك ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم أخبرتنى هذه فى يدى الذراع فقالت نعم ، قال : فماذا أردت إلى ذلك ، قالت : قلت إن كان نبيا لم يضره وإن لم يكن نبيا استرحنا منه فعفا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها ، وتوفى بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة . واحتجم النبى صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجل الذى أكل من الشاة حجمه أبو هند[(٢)] مولى بنى بياضة بالقرن والشفرة وهو من بنى ثمامة وهم حى من الأنصار"[(٣)]

تسامح فريد :

وتبدو روح التسامح الإسلامي مع أهل الكتاب فى حسن المعاشرة ولطف المعاملة ورعاية الجوار وسعة المشاعر الإنسانية من البر والرحمة والإحسان .

---

١) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الأدب ، باب الرفق فى الأمر كله ، جـ١٠ ، ص ٤٦٣ ، وأخرجه الحميدى فى مسنده ، حديث ٢٤٨ ، جـ١ ، ص ١٢٠ .

٢) أبوهند : هو أبوهند الحجام البياضى ، مولى فروة بن عمرو البياض واسمه عبد الله وقيل يسار . تخلف عن بدر وشهد ما بعدها من المشاهد ، حجم النبى صلى الله عليه وسلم فى يافوخه من وجع كان به ، قال فيه رسول الله " إنما أبو هند امرؤ من الأنصار فأنكحوه وانكحوا إليه يابنى بياضة . أسد الغابة ، جـ٥ ، ص ٣٢٢ .

٣) سنن الدارمى ، المقدمة ، باب ما أكرم النبى صلى الله عليه وسلم من كلام الموتى ، جـ١ ، ص ٣٣ ، وأخرجه مسلم مختصرا فى كتاب السلام ، باب السم ، حديث ٤٥ ، جـ٤ ، ص١٧٢١ .

" روى أن طعمه بن أبيرق[1] أحد بنى ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان فى جراب دقيق فجعل الدقيق ينتشر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين ، رجل من اليهود ، فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودى فأخذوها فقال : دفعها إلىّ طعمة وشهد له ناس من اليهود ، فقالت بنو ظفر : إنطلقوا بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا إن لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودى فهمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل وأن يعاقب اليهودى وقيل هم أن يقطع يده فنزلت : ( إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَاتَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ... )[2] "[3] .

والمراد من قوله تعالى ( وَلَاتَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ) أى لاتكن لأجل الخائنين مخاصما للبراء يعنى لاتخاصم اليهود لأجل بنى ظفر .

ثم وجه الله التقريع إلى قوم السارق الذين حسبوا الإسلام عصبية عمياء .

( يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَايَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَالَايَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ، هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا )[4] .

والقصة السابقة تبين لنا مدى اعتناء الإسلام بالحقوق فالإنسان أيا كان دينه أو جنسه أو لونه يجب أن ينصف ، فالله تعالى يكره الظلم وإن وقع الظلم

---

١) طعمة بن أبيرق بن عمرو بن حارثة بن ظفر بن الخزرج بن عمرو الأنصارى ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا بدرا ، ولم يثبت شئ عن ولادته أو وفاته . انظر : أسد الغابة ، جـ٢ ، ص ٤٥٧ ، الإصابة فى تمييز الصحابة ، جـ٣ ، ص ٢٨٥ .

٢) سورة النساء . ١٠٥ .

٣) الكشاف للزمخشرى ، جـ١ ، ص ٥٦١ .

٤) سورة النساء . ١٠٨ - ١٠٩ .

من مسلم لكافر ٠

قال تعالى : ( وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَنْ لَاتَعْدِلُوا اِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ )[(١)] ٠

وتتجلى سماحة الإسلام لأهل الكتاب بمعاملة الرسول صلى الله عليه وسلم لهم فقد كان يزورهم ويكرمهم ويحسن إليهم ويعود مرضاهم ٠

عن أنس رضي الله عنه قال : " كان غلام يهودى يخدم النبى صلى الله عليه وسلم فمرض فأتاه النبى صلى الله عليه وسلم يعوده ، فقعد عند رأسه فقال له : أسلم ، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له : أطع أبا القاسم صلى الله عليه وسلم فأسلم ٠ فخرج النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول : الحمد لله الذى أنقذه من النار "[(٢)] ٠

ولقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أنه مرت به جنازة من غير المسلمين فقام لها ، فقيل : يارسول الله : إنها جنازة غير مسلم ، فقال : "أليست نفسا "[(٣)] ٠

كما تتجلى سماحة الإسلام مع أهل الكتاب فى معاملة الصحابة والتابعين لهم قال أبو يوسف : " وحدث أن مرَّ عمر بباب قوم وعليه سائل يسأل وكان شيخا ضرير البصر ، فضرب عمر عضده وقال له من أى أهل الكتاب أنت ؟ فقال : يهودى قال : فما ألجأك إلى ما أرى ؟ قال : الجزية والحاجة والسن ، فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله وأعطاه مما وجده ، ثم أرسل به إلى خازن بيت المال ، وقال له : أنظر هذا وضرباءه فوالله ما أنصفناه إذا أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم ، إنما الصدقات للفقراء والمساكين "[(٤)] ٠

---

١) سورة المائدة ٠ ٨٠

٢) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الجنائز ، باب اللحد والشق فى القبر ، جـ٣ ، ص٢٥٩٠

٣) صحيح البخارى ، كتاب الجنائز ، باب من قام لجنازة يهودى ، جـ١ ، ص ٤١١ ٠

٤) كتاب الخراج للقاضى أبى يوسف يعقوب بن إبراهيم صاحب الإمام أبى حنيفة ، ص٢٧٨ـ ٢٧٩ ، حققه د /إحسان عباس ، دار الشروق بيروت ،ط١ ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ٠

لقد قرر الإسلام مبدأ عاما وهو مبدأ الضمان الإجتماعى عند العجز والشيخوخة والفقر وهذا المبدأ يشمل أبناء المجتمع جميعا مسلمين وغير مسلمين ولايجوز أن يبقى فى المجتمع المسلم إنسان محروم من الطعام أو الكسوة أو المأوى أو العلاج لأن دفع الضرر عنه واجب دينى (١) .

وكان عمر رضى الله عنه يسأل الوافدين عليه من الأقاليم عن حال أهل الذمة خشية أن يكون أحد من المسلمين قد أفضى إليهم بأذى فيقولون له "ما نعلم إلا وفاء" (٢) .

وحينما تدانى أجل عمر بن الخطاب أوصى من بعده وهو على فراش الموت بأهل الذمة فقال : " أوصى الخليفة من بعدى بأهل الذمة خيرا ، وأن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من وراءهم ، وألا يكلفهم فوق طاقتهم" (٣) .

ومن الوقائع العظيمة التى تدلل على عظيم اعتناء الإسلام بأهل الكتاب هذه الواقعة .

" سقطت درع أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فوجدها عند رجل نصرانى فاختصما إلى القاضى شريح ، قال على : الدرع درعى ، ولم أبع ولم أهب فسأل القاضى ذلك النصرانى فى ما يقول أمير المؤمنين؟ فقال النصرانى : ماالدرع إلا درعى وما أمير المؤمنين عندى كاذب ، فالتفت شريح إلى على يسأله : يا أمير المؤمنين هل لك من بينة ؟ فضحك على وقال : أصاب شريح مالى بينة ، وقضى شريح للنصرانى بالدرع ، لأنه صاحب اليد عليها ولم تقم بينة على خلاف ذلك ، فأخذها هذا الرجل ومضى ، ولم يمش خطوات حتى عاد يقول : أما إنى أشهد أن هذه أحكام أنبياء ! أمير المؤمنين يدنينى إلى قاضيه فيقضى لى عليه ! أشهد أن لا

---

١) انظر : غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى ، ص ١٧ .
٢) تاريخ الطبرى ، جـ٤ ، ص ٢١٨ .
٣) كتاب الخراج لأبى يوسف ، ص ٢٧٨ .

إله إلا الله وأن محمدا رسول الله - الدرع درعك يا أمير المؤمنين ، إتبعت الجيش وأنت منطلق من حنين فخرجت من بعيرك الأروق ، فقال على رضى الله عنه : أما إذ أسلمت فهى لك "[(١)] .

ومن سماحة الإسلام مع أهل الذمة أنه صان لهم معابدهم ورعى شعائرهم بل جعل القرآن من أسباب الإذن فى القتال حماية حرية العبادة .
قال تعالى : ( وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا )[(٢)] .

ومن سماحة الإسلام مع أهل الذمة أنه أباح لهم حرية العمل والكسب قال آدم متز : " ولم يكن فى التشريع الإسلامى ما يُغلق دون أهل الذمة أى باب من أبواب الأعمال ، وكانت قدمهم راسخة فى الصنائع التى تدر الأرباح الوافرة فكانوا صيارفة وتجارا وأصحاب ضياع وأطباء ، بل إن أهل الذمة نظموا أنفسهم بحيث كان معظم الصيارفة الجهابذة فى الشام مثلا يهودا على حين كان أكثر الأطباء والكتبة نصارى ، وكان رئيس النصارى ببغداد هو طبيب الخليفة ، وكان رؤساء اليهود وجهابذتهم عنده .. "[(٣)] .

ولقد سمح الإسلام لأهل الذمة " بتولى وظائف الدولة كالمسلمين إلا ما غلب عليه الصبغة الدينية كالإمامة ورئاسة الدولة والقادة فى الجيش والقضاء بين المسلمين والولاية على الصدقات ونحو ذلك "[(٤)] .

---

١) البداية والنهاية لابن كثير ، جـ٨ ، ص ٤ - ٥ ، مكتبة المعارف ، ط٣ ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
٢) سورة الحج . ٤٠ .
٣) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى للأستاذ آدم ميتز أستاذ اللغات الشرعية بجامعة بازل بسويسرة ، ترجمة الأستاذ عبد الهادى أبوريدة ،جـ١ ، ص٨٦ ، فصل اليهود والنصارى ، ط٤ ، بدون تاريخ .
٤) غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى ، ص ٢٢ .

قال آدم متز : " من الأمور التى نعجب لها كثرة عدد العمال والمتصرفين غير المسلمين فى الدولة الإسلامية فكان النصارى هم الذين يحكمون المسلمين فى بلاد الإسلام والشكوى من تحكيم أهل الذمة فى أبشار المسلمين شكوى قديمة" (١) ٠

ومن سماحة الإسلام مع أهل الذمة أنه يحترم مايعدونه حسب دينهم مالا وإن لم يكن مالا محترما فى نظر المسلمين كالخمر والخنزير ، فلا يجوز للمسلم أن يتلف للكتابى خمرا أو يقتل له خنزيرا وإن فعل يغرم· لأن الخمر والخنزير مالان محترمان عند أهل الكتاب (٢) ٠

ومن سماحة الإسلام مع أهل الذمة أنه كفل لهم حق الحماية من كل عدوان خارجى ومن كل ظلم داخلى حتى ينعموا بالأمان والإستقرار ٠
عن عبدالله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما " (٣) ٠
كما صح عن مجاهد أن عبدالله بن عمر ذبحت له شاة فى أهله فلما جاء قال أهديتم لجارنا اليهودى ؟ أهديتم لجارنا اليهودى ، فدهش غلام ابن عمر من هذا الإعتناء بالجار اليهودى فسأل عن سبب هذا الإعتناء فقال ابن عمر " إن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه" (٤) ٠
إن سلوك ابن عمر هذا ناشئ عن فهمه العميق للإسلام فطالما أوصى الإسلام بأهل

---

١) الحضارة الإسلامية ، جـ١ ، ص ١٠٥٠
٢) انظر : غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى ، ص ١٥٠
٣) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الجزية والموادعة ، باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم ، جـ٦ ، ص ٣١١٠
٤) سنن الترمذى ، كتاب البر والصلة ، باب ماجاء فى حق الجوار ، حديث ١٩٤٠٣ ، جـ٤ ، ص ٢٩٤ ، وأخرجه الحميدى فى مسنده ، حديث ٥٩٣ ، جـ٢ ، ص ٢٧٠ ٠

الذمة خيرا ، غير أن أهل الكتاب قابلوا هذا الإحسان بالإساءة والنكران قال محمد الغزالى :

" ومن الحقائق التى لايجوز نسيانها أن هذا الصنيع – أى إحسان المسلمين إلى أهل الذمة – لم يقابل بحمد ولاتقدير ، بل أصاب الإسلام منه ما أصاب صاحب الأفعى حين نقلها من برد العراء إلى الدفء وطيب المأوى ، فكان الجزاء أن تحركت برأسها تريد أن تلدغه "(١) .

## المطلب الرابع

## الإحسان في الحرب

إن المسلمين هم أرحم الفاتحين الذين عرفهم التاريخ وأسماهم خلقا وسلوكا ومعاملة وليس هذا بدعا فى حق قوم تأدبوا بآداب القرآن وتخلقوا بأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم .

### مبادىء الإسلام الدولية التي تقيد مشروعية الحرب:

لقد فرض الإسلام مبادىء لمشروعية الحرب ، وبدونها تصبح الحرب غير مشروعة وهى :-

أولا : تحريم الإعتداء :

قال تعالى : ( وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَاتَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ )(٢) .

---

١) التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ، ص ٦٠ .
٢) سورة البقرة ١٩٠ .

ولقد فسر ابن كثير الإعتداء المنهى عنه فى هذه الآية بأنه ارتكاب المناهى من المثلة والغلول وقتل النساء والصبيان والشيوخ الذين لا رأى لهم ولا قتال فيهم والرهبان وأصحاب الصوامع وتحريق الأشجار وقتل الحيوان لغير مصلحة[(١)] .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث سرية يقول لهم أغزوا باسم الله فى سبيل الله تقاتلون من كفر بالله ، لاتغلوا ولاتغدروا ولاتمثلوا ولاتقتلوا وليدا "[(٢)] .

كما ثبت عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوصى الجند قائلا : " إنطلقوا باسم الله وعلى ملة رسول الله ولاتقتلوا شيخا فانيا ولاطفلا ولاصغيرا ولا امرأة ولاتغلوا وضموا غنائمكم وأصلحوا ( وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِين )[(٣)] "[(٤)] .

وحينما مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة مقتولة فى بعض مغازيه غضب لذلك ونهى عن قتل النساء والصبيان "[(٥)] .

ولقد امتثل الصحابة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعده :

فهذا أبوبكر الصديق رضى الله عنه يبعث جيوشا إلى الشام ثم يمشى مع يزيد بن

---

١) انظر : تفسير ابن كثير ، جـ١ ، ص ٢٢٧ .

٢) كتاب الموطأ للإمام مالك ، كتاب الجهاد ، باب النهى عن قتل النساء والولدان ، فى الغزو ، حديث ١١ ، ص ٣٦٠ ، وأخرجه بنحوه أبوداود فى سننه ، كتاب الجهاد ، باب دعاء المشركين ، جـ٣ ، ص ٨٥ - ٨٦ .

٣) سورة البقرة . ١٩٥ .

٤) سنن أبى داود ، كتاب الجهاد ، باب فى دعاء المشركين ، جـ٣ ، ص ٨٦ .

٥) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب تحريم قتل النساء والصبيان فى الحرب ، حديث ٢٥ ، جـ٣ ، ص ١٣٦٤ ، وأخرجه الدارمى فى كتاب السير ، باب النهى عن قتل النساء والصبيان ، جـ٢ ، ص ٢٢٣ .

أبى سفيان[1] وكان أمير ربع من تلك الأرباع، ثم يوصيه فيقول : " وإنى موصيك بعشر لاتقتلن امرأة ولا صبيا ولاكبيرا هرما ولاتقطعن شجرا مثمرا ولاتخربن عامرا ولاتعقرن شاة ولابعيرا إلا لمأكلة ولا تحرقن نخلا ولاتفرقنه، ولاتغلل ولاتجبن"[2] ٠

ومن خلال الأحاديث السابقة يتبين أنه :

" لايحل قتال غير المقاتلين ولا التخريب والتدمير إلا فى حدود الضرورة ، ولاتنتهك الأعراض وإن صنع العدو شيئا من ذلك لأن الأعراض حرمات الله تعالى ولاتباح فى أرض ولايختلف التحريم لها باختلاف الأشخاص أو الأجناس أو الأديان"[3]

ثانيا : الوفاء بالعهد والمواثيق وتحريم الغدر والخيانة:

إن الإسلام يعد الغدر من أبشع الجرائم وأخسها لأن الوفاء بالأمان والإخلاص للعهد من أوكد الواجبات الدينية ٠

قال تعالى : ( وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً )[4] ٠

وقال : ( وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَاتَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا )[5] ٠

والمسلمون مطالبون بالوفاء بالعهد حتى فى حال استنصار فئة مسلمة بالجماعة الإسلامية الكبرى ٠

قال تعالى : ( وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ

---

١) يزيد بن أبى سفيان ، واسم أبى سفيان صخر بن حرب القرشى الأموى ، أسلم يزيد يوم الفتح ، وشهد حنينا ، واستعمله أبوبكر على جيش وسيره إلى الشام و خرج معه يشيعه ، ولاه عمر على فلسطين ، مات سنة تسع عشرة بعد أن افتتح قيسارية ٠ انظر : أسد الغابة ، جـ٤ ،ص٧١٥-٧١٦ ٠

٢) كتاب الموطأ ، للإمام مالك ، كتاب الجهاد ، باب النهى عن قتل النساء والولدان فى الغزو، حديث ١٠ ، ص ٣٦٠٠

٣) آثار الحرب فى الفقه الإسلامى ، د /وهبة الزحيلى ، ص ١٤٣ ، المكتبة الحديثة ، ط٢ ،بدون تاريخ٠

٤) الإسراء ٣٤٠

٥) النحل ٩١٠

ميثاق)[1].

فالله سبحانه وتعالى جعل حق الميثاق فوق حق الأخوة الإسلامية فأوجب نصرة المعاهد غير المسلم ولم يوجب نصرة المسلم الذى ليس بينه وبين المسلمين ميثاق[2].

عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة فيقال " هذه غدرة فلان بن فلان "[3].

كما ثبت عن أبى بكرة[4] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من قتل معاهدا فى غير كنهه حرّم الله عليه الجنة "[5].

وقال عبد الله بن عباس : " ما ختر قوم بالعهد إلا سلط الله عليهم العدو "[6].

ثالثا : إحترام الإنسانية والدعوة إلى الإخاء الشامل حتى مع الوثنيين :

قال تعالى : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُم )[7].

وبناء على ذلك فلا يجوز التمثيل بالعدو ولايصح التجويع والإظماء والنهب والسلب[8].

جاء فى سيرة ابن هشام : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : حينما رأى ما

---

١) الأنفال، ٧٢.
٢) انظر : تفسير المنار ، جـ١٠ ، ص ١٠٨ - ١٠٩.
٣) سنن أبى داود ، كتاب الجهاد ، باب فى الوفاء بالعهد ، جـ٢ ، ص ١٨٨.
٤) أبوبكرة : اسمه نفيع بن الحارث بن كلدة بن عمرو الثقفى ، وهو ممن نزل يوم الطائف إلى رسول الله من حصن الطائف فأسلم وكنى أبوبكرة وأعتقه رسول الله ، وهو من فضلاء الصحابة وصالحيهم ، كان كثير العبادة حتى مات وكان أولاده أشرافا فى البصرة بكثرة المال والعلم والولايات ، توفى فى البصرة سنة إحدى وقيل اثنتين وخمسين ، انظر : أسد الغابة ، جـ٥ ، ص ٣٨ - ٣٩.
٥) سنن أبى داود ، كتاب الجهاد ، باب فى الوفاء للمعاهد وحرمة ذمته ، جـ٣ ، ص ١٩١.
٦) كتاب الموطأ ، كتاب الجهاد ، باب ماجاء فى الوفاء بالأمانة ، حديث ١٣ ، ص ٣٦١.
٧) الحجرات، ١٣.
٨) انظر : آثار الحرب فى الفقه الإسلامى ، ص ١٤٣.

رأى[1] قال : " لئن أظهرنى الله على قريش فى موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلا منهم " فلما رأى المسلمون حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيظه على من فعل بعمه ما فعل، قالوا : والله لئن أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب "[2] .

قال ابن إسحٰق وحدثنى من لا أتهم عن ابن عباس أن الله عز وجل أنزل فى ذلك، من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول أصحابه ( وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِين، وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُون )[3] فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصبر ونهى عن المثلة "[4] .

عن سمرة بن جندب وعمران بن حصين قالا : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحثنا على الصدقة وينهانا عن المثلة "[5] .

رابعا : الرحمة في الحرب :

" فإذا كان الغلب والرجحان فى القتال للمسلمين المعبر عنه بالإثخان فى الأعداء ، وأمنوا على أنفسهم ظهور العدو عليهم فالله تعالى يأمرهم أن يكفوا عن القتل ويكتفوا بالأسر "[6] .

قال تعالى : ( فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا

---

١) أى ما فعل المشركون من قريش بعمه حمزة من المثلة.
٢) السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج٣ ، ص ١٠١ .
٣) سورة النحل. ١٢٦ - ١٢٧.
٤) السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج٣ ، ص ١٠٢.
٥) سنن أبى داود ، كتاب الجهاد ، باب فى النهى عن المثلة ، ج٣ ، ص ١٢٠ - ١٢١.
٦) تفسير المنار ، ج١١ ، ص٢٣٠.

ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا )(١) ٠

خامسا : إحترام رسل الأعداء :

فقد أوجب الإسلام حرمة دم رسول الأعداء ، فلا يجوز قتل أو إيذاء أى رسول للأعداء ٠

فحينما جاء رسولا مسيلمة بكتاب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم قرأه ثم قال لهما " ماتقولان أنتما " ؟ قالا : نقول كما قال " ، قال : " أما والله لولا أن الرسل لاتُقتل لضربت أعناقكم "(٢) ٠

إن الجهاد الإسلامى حرب شرعية عادلة تهدف الخير للإنسانية ، شريفة فى بدئها ووسائلها وانتهائها ولاتستهدف فتحا ماديا أو توسعا إقليميا أو استعمارا بغيضا(٣) ٠

تقرير مصير الأسرى:

الأشخاص الذين يقعون فى قبضة الدولة عموما بسبب الحرب حسب ماقرره الفقهاء ثلاثة أصناف وهم :

الأسرى : وهم الرجال المقاتلون ، والسبى : وهم النساء والأطفال ، والعجزة : وهم الشيوخ والزمنى والعمى والمقعدون ومن فى حكمهم كالرهبان(٤) ٠

موقف الجاهلية ممن يقعون فى قبضتهم:

" كان الأسرى فى قديم الزمان يذبحون ويقدمون قرابين للآلهة ثم صاروا

---

١) سورة محمد ٠ ٤٠

٢) سنن أبى داود ، كتاب الجهاد ، باب فى الرسل ، جـ٣ ، ص ٨٩٢٠

٣) انظر : تفسير المنار ، جـ٢ ، ص ٢٠٧ ، جـ٩ ، ص ٦٦٥ ، جـ١٠ ، ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨٠

٤) انظر : الجهاد والحقوق الدولية العامة فى الإسلام تأليف ظافر القاسمى ، ص٥٢٥ ، دار العلم للملايين ، ط ١ ، نيسان ، أبريل ١٩٨٢م٠

يستعبدون ويتخذون رقيقا للبيع والشراء ٠

وقد عامل الفرس أسراهم بقسوة ، فكانوا ضحية التعذيب والتنكيل والقتل والصلب٠ وكذلك كان الإغريق يفعلون بأسراهم ، ولقد تأثر العرب فى الجاهلية بعادات مجاوريهم فلم تكن معاملة الأسير عندهم تتصف بصفات الرحمة والإنسانية ٠٠٠ فلما جاء الإسلام أمر بالرفق بالأسارى والرحمة بهم والعناية بشأنهم "[١]٠

موقف الإسلام من الأسرى :

بين الباحث أن الذين يقعون فى قبضة الدولة عموما بسبب الحرب ثلاثة أصناف وهم الأسرى والسبى والعجزة ٠ وموقف الإسلام من هؤلاء كالآتى :

السبى : ولايجوز باتفاق علماء المسلمين قتل السبى مالم يثبت إشتراكهم فى القتال بالسلاح أو بالرأى[٢]٠

والثابت فى حق السبى هو الإسترقاق أو الفداء أو المن ٠ قال الزحيلى : " إن الرق فى الإسلام لم يقر إلا معاملة بالمثل مع الأمم الأخرى بسبب الحروب إذ لو استرق الأعداء أسرى المسلمين دون مقابلتهم بالمثل لاستمرأ العدو فعله ولكان ذلك سببا فى زيادة عدد الرقيق فى العالم دون تقيد ذلك بقيد وفى هذا من المفسدة والضرر مالايخفى "[٣]٠

أما العجزة: ومن فى حكمهم : فإن كانوا يمدون المقاتلة برأيهم جاز قتلهم عند الظفر بهم ، لأن الرأى فى الحرب أبلغ من القتال ٠ وإن لم يخالطوهم فى رأى ولا تحريض فعند الجمهور لايقتلون لأن القاعدة عندهم أن كل من لايحل قتله فى حال القتال لايحل قتله بعد الفراغ من القتال[٤]٠

---

١) آثار الحرب فى الفقه الإسلامى ، ص ٤٠٤٠
٢) انظر : الجهاد والحقوق الدولية العامة فى الإسلام ، ص ٢٥٢٥٠
٣) آثار الحرب فى الفقه الإسلامى ، ص ٤٤٤ـ ٤٤٥٠
٤) انظر : الجهاد والحقوق الدولية العامة فى الإسلام ، ص ٥٢٦٠

أما الأسرى: فذهب الجمهور إلى أن للإمام أو نائبه أن يفعل بهم الأصلح للإسلام والمسلمين من أحد أمور أربعة : القتل والإسترقاق والمن والفداء بمال أو أسرى ، لأن الثابت من فعل الرسول أنه كان يمن على بعض الأسارى ويقتل بعضهم ويفادى بعضهم بالمال أو بالأسرى وذلك حسب ما تقتضيه المصلحة العامة (١) .

الإحسان إلى الأسري:

لقد حث النبى صلى الله عليه وسلم على الإحسان إلى الأسرى فبعد انتهاء غزوة بدر قام الرسول صلى الله عليه وسلم بتفريق الأسارى على صحابته ثم قال : "إستوصوا بالأسارى خيرا " (٢) .

وأما قوله تعالى : ( مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ، لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) (٣) .

فهذه الآية لاتدل على أن قبول الفدية أو المن غير جائز .

" فسبب نزول هذه الآية يدلنا على أن قتل المحاربين كان هو الشأن المطلوب فى مبدأ قيام دولة الإسلام حتى يضعف المتظاهرون عليه ويتضاءل الخطر على الدولة الناشئة ، ولئلا يتجسس أحد على المسلمين ، وليس الحكم المقرر فى الآية تشريعا دائما يعمل به حينما تستقر الأمور وتسير فى طريقها الطبيعى ، وهذا شأن كل دعوة أو ثورة إصلاحية لابد لظهورها من التمكين لها فى الأرض وعدم الإستخذاء أو الإستضعاف أمام الأعداء" (٤).

١) انظر : الجهاد والحقوق الدولية العامة فى الإسلام ، ص ٥٢٧.
٢) السيرة النبوية ، لابن هشام ، جـ٢ ، ص ٢٩٩ .
٣) سورة الأنفال. ٦٧ - ٦٨.
٤) آثار الحرب فى الفقه الإسلامى ، ص ٤٠٦ .

عن أنس أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه من جبال التنعيم [١] عند صلاة الفجر ليقتلوهم ، فأخذهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سلما [٢] فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل ( وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ ) [٣] ... إلى آخر الآية" [٤]

كما صح عن أبى هريرة قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد ، فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له ثُمامة بن أثال [٥] ، سيد أهل اليمامة فربطوه بسارية من سوارى المسجد ، فخرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " ما ذا عندك ؟ يا ثمامة " قال : عندى يامحمد خير ، إن تقتل تقتل ذا دم وإن تنعم تنعم على شاكر وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ماشئت ، فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان بعد الغد ، فقال : " ماعندك ؟ ياثمامة " قال : ماقلت لك ، إن تنعم تنعم على شاكر ، وإن تقتل تقتل ذا دم ، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت . فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان من الغد ، فقال : " ماعندك ؟ ياثمامة " فقال عندى ماقلت لك . إن تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذا دم وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ماشئت . فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أطلقوا ثمامة " فانطلق إلى نخل [٦] قريب من المسجد فانسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا

---

١) التنعيم : مكان مشهور يُحرم منه للعمرة وهو على ثلاثة أميال أو أربعة من مكة .

٢) سِلما : يعنى أسراء .

٣) الفتح . ٢٤ .

٤) سنن أبى داود ، كتاب الجهاد ، باب فى المن على الأسير بغير فداء ، ج٣ ، ص ١٣٧ـ١٣٨ وأخرجه مسلم فى الجهاد ، حديث ١٨٠٨ ، باب قول الله تعالى " وهو الذى كف أيديهم عنكم" والترمذى فى التفسير ، حديث ٣٢٦٠ ، وأحمد فى مسنده ، ج٣ ، ص١٢٤ـ ٢٩٠ .

٥) ثمامة بن أثال بن النعمان بن مسلمة ، أسلم فى المدينة بعد أن عفى عنه الرسول يوم كان أسيرا فى المسجد ، وحينما ارتد أهل اليمامة عن الإسلام لم يرتد ثمامة وثبت على إسلامه هو ومن اتبعه من قومه وكان فقيها باليمامة ، وكان ينهى الناس عن اتباع مسيلمة فلما عصوه عزم على مفارقتهم . انظر : أسد الغابة ، ج١ ، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥ .

٦) أى انطلق إلى نخل فيه ماء فاغتسل منه .

عبده ورسوله ... "[١].

ولقد أوجب الإسلام للأسير سكنا مناسبا ، وطعاما حسنا وكساء ساترا ولم يتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم للأسرى سكنا خاصا بهم ولكنه فرقهم على صحابته وأمر بهم خيرا .

أما بالنسبة للطعام فقد قال تعالى : ( وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا )[٢].

وهذه الآية فيها ثناء عظيم على الصحابة الأجلاء الذين كانوا يدفعون بطعامهم إلى المساكين واليتامى والأسرى رغم حبهم لهذا الطعام أو شدة حاجتهم إليه. ولقد ذكر ابن جزى الكلبى فى الأسير الوارد فى قوله تعالى : ( وأسيرا ) خمسة أقوال وهى : الأول : أن الأسير الكافر بين المسلمين ففى إطعامه أجر لأنه فى كل ذى كبد رطبة أجر . والثانى : أنه الأسير المسلم إذا خرج من دار الحرب لطلب الفدية والثالث : أنه المملوك والرابع : أنه المسجون والخامس أنه المرأة. ثم رجح ابن جزى القول الأول لأنه روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالأسير المشرك فيدفعه إلى بعض المسلمين ويقول له أحسن إليه[٣] .

قال ابن العربى : " وفى إطعامه - أى الأسير - ثواب عظيم وإن كان كافرا فإن الله يرزقه ، وقد تعين بالعهد إطعامه ولكن من الفضل فى الصدقة لا من الأصل فى الزكاة "[٤].

أما بالنسبة للكساء فقد أمر الإسلام للأسرى بالكساء الساتر .

---

١) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه ، حديث ٥٩ ، جـ٣ ، ص ١٣٨٦ - ١٩٨٧م.

٢) سورة الإنسان. ٨.

٣) انظر : التسهيل لعلوم التنزيل ، جـ٤ ، ص ١٦٨ .

٤) أحكام القرآن ، لابن العربى ، جـ٤ ، ص ١٨٩٨ .

عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال، لما كان يوم بدر أُتى بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبى صلى الله عليه وسلم له قميصا فوجدوا قميص عبدالله بن أُبى[١] يقدر عليه، فكساه النبى صلى الله عليه وسلم إياه فلذلك نزع النبى صلى الله عليه وسلم قميصه الذى ألبسه "[٢].

كما ثبت أن ابنة حاتم الطائى وقعت فى أيدى المسلمين وأنزلت بمكان يمرّ به النبى صلى الله عليه وسلم فتعرضت لهو قالت هلك الوالد وغاب الرافد - تعنى أخاها عديا[٣] - فامنن علىّ منَّ الله عليك فقال قد فعلت فلا تعجلى بخروج حتى تجدى من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك، وأقامت حتى قدم رهط من قومها فكساها رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملها وأعطاها نفقة فخرجت معه "[٤].

وحينما مكن الله تعالى المسلمين فى شبه الجزيرة العربية حث الرسول صلى الله عليه وسلم على الإحسان إلى الأسرى بفك أسرهم.

عن أبى موسى رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فكوا العانى - يعنى الأسير - وأطعموا الجائع وعودوا المريض "[٥].

---

١) عبدالله بن أبى بن مالك الخزرجى المشهور بابن سلول، وسلول جدته لأبيه من خزاعة، وهو رأس المنافقين، كان سيد الخزرج فى آخر جاهليتهم، وأظهر الإسلام بعد موقعة بدر تقية مات فى السنة التاسعة، انظر: أسد الغابة، ج٣، ص ١٩٢.

٢) فتح البارى، صحيح البخارى، كتاب الجهاد والسير، باب الكسوة للأسارى، ج٦، ص١٦٧.

٣) عدى بن حاتم الطائى، أبوه حاتم الموصوف بالجود، وأخته سفانة التى أسرت ثم أسلمت بعد أن رأت المعاملة الحسنة من المسلمين، كان عدى نصرانيا ثم أسلم سنة تسع وقيل سنة عشر، وكان جوادا شريفا، ثبت على الإسلام هو وقومه بعد وفاة الرسول، توفى سنة سبع وستين وقيل غير ذلك، انظر: أسد الغابة، ج٣، ص ٥٠٥ - ٥٠٧.

٤) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب الجهاد، باب المن على الأسير، ج٥، ص ٣٣٥، هذا الحديث ضعيف، فيه عبدالله بن هشام الدستوائى وهو متروك.

٥) فتح البارى، صحيح البخارى، كتاب الجهاد والسير، باب فكاك العانى، ج٦، ص ١٩٣، وأخرجه الدارمى فى سننه، بدون ذكر عيادة المريض، كتاب السير، باب فكاك الأسير، ج٢، ص ٢٢٣.

جواز استئصال العناصر الخبيثة :

إن الوقوع فى الأسر لايعنى صدور عفو عام عن الجرائم التى اقترفها الأسرى أيام حريتهم ٠

إن الحياة كما تتقدم بالرجال الأخيار فإنها تتأخر بالعناصر الخبيثة ، وإذا كان من حق الشجرة لكى تنمو أن تقلم، فمن حق الحياة لكى تصلح أن تنقى من العتاة والآثمين ، فإذا استحكمت أيدى المسلمين من خناق المجرمين فإن المصلحة العامة للأمة الإسلامية تقتضى قتلهم (١) ٠

صح عن أنس بن مالك رضى الله عنه : "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عام الفتح وعلى رأسه المغفر ، فلما نزعه جاء رجل فقال : إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة ، فقال أقتلوه " (٢) ٠

## المطلب الخامس

## الإحسان إلى الحيوان

كان العرب فى الجاهلية يعذبون الحيوان ويمثلون بالأنعام، وكان الشيطان يزين لهم هذه الأعمال ٠

قال تعالى : ( وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ، وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ) (٣) ٠

ومعنى التبتيك قطع الآذان أو شقها ٠

---

١) انظر : فقه السيرة ، محمد الغزالى ، ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ ، دار إحياء التراث العربى ، ط٧ ، ص ١٩٧٦م٠

٢) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الجهاد والسير ، باب قتل الأسير ، جـ٦ ، ص ١٩١٠

٣) سورة النساء ٠ ١١٨ ـ ١١٩٠

فقد كانوا فى الجاهلية يقطعون آذان الأنعام أو يشقونها إذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا ، بل كان بعضهم يفقأ عين فحل الإبل إذا طال مكثه حتى بلغ نتاج نتاجه (١) .

وكان أهل الجاهلية يضربون الشاة بنحو خشب أو حجر حتى تموت فإذا ماتت أكلوها (٢) .

ثم جاء الإسلام ليدعو إلى الرحمة والإحسان بالحيوان حتى فى حال قود الحيوان إلى الذبح .

عن شداد بن أوس قال : ثنتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" إن الله كتب الإحسان على كل شئ فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته " (٣) .

وفى هذا الحديث يحثنا الرسول صلى الله عليه وسلم على الإحسان إلى الذبيحة وذلك بإحداد السكين وتعجيل إمرارها حتى لاتتعذب أثناء الذبح .

عن ابن عباس قال مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل واضع رجله على صفحة شاة وهو يحد شفرته وهى تلحظ إليه ببصرها قال : " أفلا قبل هذا أويريد أن يميتها موتتين " (٤) .

---

١) انظر : روح المعانى ، جـ٥ ، ص ١٤٩ ـ ١٥٠ .
٢) انظر : تفسير ابن كثير ، جـ٢ ، ص ٩ ، تفسير روح البيان ، جـ٢ ، ص ٣٤١ .
٣) صحيح مسلم ، كتاب الصيد والذبائح ، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة ، حديث ٥٧ ، جـ٣ ، ص ١٥٤٨ .
٤) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، كتاب الصيد والذبائح ، باب إحداد الشفرة ، جـ٤ ، ص٣٣ ، وأخرجه الحاكم بنحوه فى المستدرك ، كتاب الذبائح ، جـ٤ ، ص ٢٣٣ .

وعن قرة بن إياس[1] أن رجلا قال يارسول الله إنى لأذبح الشاة وأنا أرحمها ، أو قال إنى لأرحم الشاة أن أذبحها فقال : " والشاة إن رحمتها رحمك الله والشاة إن رحمتها رحمك الله "[2].

وعن أبى أمامة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من رحم ذبيحة رحمه الله يوم القيامة "[3].

ومن تمام الرحمة بالذبيحة إحداد السكين وتعجيل إمرارها ، وأن لايحد السكين بحضرة الذبيحة وأن لايذبح واحدة بحضرة أخرى وألا يجرها إلى مذبحها جرا .

قال النووى : " ويستحب ألا يحد السكين بحضرة الذبيحة وأن لايذبح واحدة بحضرة أخرى ولايجرها إلى مذبحها "[4] ولكن ليقدها إلى مذبحها قودا جميلا .

النهى عن ضرب الحيوان أو وسمه أو تعذيبه:

عن جابر قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الضرب فى الوجه وعن الوسم[5] فى الوجه "[6].

كما صح عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " لاتتخذوا شيئا فيه روح غرضا "[7].

---

١) قرة بن إياس بن هلال المزنى ، أبومعاوية البصرى ، له صحبة ، سكن البصرة ولم يرو عنه غير ابنه ، قتل فى حرب الأزارقة فى زمن معاوية ، وذكره ابن سعد فى طبقة الخندقيين. انظر : أسد الغابة ، جـ٤ ، ص ١٠٠ ـ ١٠١ ، تهذيب التهذيب ، جـ٨ ، ص ٣٧٠.

٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، كتاب الصيد و الذبائح ، باب رحمة البهائم لذبحها ، جـ٤ ، ص ٣٢ ـ ٣٣.

٣) المصدر السابق ، كتاب الصيد والذبائح ، باب رحمة البهائم لذبحها ، جـ٤ ، ص ٣٣.

٤) صحيح مسلم بشرح النووى ، جـ١٣ ، ص ١٠٧ ، دار إحياء التراث العربى ، ط٢ ، ١٣٩٢هـ ـ١٩٧٢م

٥) الوسم : الكى بالنار.

٦) صحيح مسلم ، كتاب اللباس والزينة ، باب النهى عن ضرب الحيوان فى وجهه ووسمه فيه حديث ١٠٦ ، جـ٣ ، ص ١٦٧٣.

٧) صحيح مسلم ، كتاب الصيد والذبائح ، باب النهى عن صبر البهائم ، حديث ٥٨ ، جـ٣ ، ص١٥٤٩.

والنهى فى هذا الحديث للتحريم بدليل رواية ابن عمر : "إن النبى صلى الله عليه وسلم لعن من فعل هذا "(١).

وفى رواية أخرى عن ابن عمر قال : " لعن النبى صلى الله عليه وسلم من مثل بالحيوان "(٢).

ثم إن هذا الفعل - أى اتخاذ شىء فيه الروح غرضا - فيه تعذيب للحيوان وإتلاف لنفسه وتضييع لماليته وتفويت لذكاته إن كان مذكى ولمنفعته إن لم يكن مذكى(٣).

وتعذيب الحيوان فعل يُدخل صاحبه النار .

فقد صح عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " عذبت امرأة فى هرة ربطتها حتى ماتت فدخلت فيها النار ، لاهى أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها ولا هى تركتها تأكل من خشاش(٤) الأرض(٥).

كما ثبت عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " ما من إنسان يقتل عصفورا فما فوقها بغير حقها إلا سأله الله عز وجل عنها يوم القيامة قيل يا رسول الله وما حقها قال حقها أن يذبحها فيأكلها ولايقطع رأسها فيرمى به "(٦).

---

١) فتح البارى صحيح البخارى ، كتاب الذبائح ، باب مايكره من المثلة والمصبورة ، جـ٩ ، ص ٥٥٨ .

٢) المصدر السابق ، كتاب الذبائح ، باب مايكره من المثلة والمصبورة ، جـ٩ ، ص٥٥٩ ، وأخرجه الدارمى فى سننه ، كتاب الأضاحى ، باب النهى عن مثلة الحيوان ، جـ٢ ، ص٨٣ .

٣) انظر : صحيح مسلم شرح النووى ، جـ١٣ ، ص ١٠٨ .

٤) خشاش الأرض : هواها وحشراتها .

٥) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ٥٤ ، جـ٦ ، ص٥٩٤ ، وأخرجه مسلم بنحوه فى كتاب السلام ، باب تحريم قتل الهرة ، حديث ١٥١ ، جـ٤ ، ص ١٧٦٠ ، والدارمى بنحوه فى سننه ، كتاب الرقاق ، باب دخلت امرأة النار فى هرة ، جـ٢ ، ص ٢٣١ .

٦) المستدرك على الصحيحين ، كتاب الذبائح ، جـ٤ ، ص٢٣٣ ، وأخرجه الدارمى فى سننه بنحوه ، كتاب الأضاحى ، باب من قتل شيئا من الدواب عبثا ، جـ٢ ، ص٨٤ ، والحميدى فى مسنده ، حديث ٥٨٧ ، جـ٢ ، ص ٢٦٨ .

فضل الإحسان إلى الحيوان:

لقد رغب الرسول صلى الله عليه وسلم فى الإحسان إلى الحيوان فأخبر بأن إحسان الإنسان إلى الحيوان يجعل الإنسان أهلا لغفران ذنوبه وشكر الله له .

فقد صح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم : " أن امرأة بغيا [١] رأت كلبا فى يوم حار يطيف ببئر ، قد أدلع لسانه من العطش ، فنزعت له بموقها [٢] فغفرلها" [٣]

كما صح عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ بى ، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له . قالوا : يارسول الله ، وإن لنا فى البهائم أجرا ؟ فقال : " فى كل ذات كبد رطبة أجر " [٤] .

كما صح عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " مامن مسلم غرس غرسا فأكل منه إنسان أو دابة إلا كان له صدقة " [٥] .

ولقد امتثل السلف الصالح وصايا الرسول فى الإحسان إلى الحيوان فهذا عدى بن حاتم الطائى يفت الخبز للنمل ويقول : " إنهن جارات ولهن حق " [٦] .

---

١) بغيا : أى زانية.
٢) الموق : هو الخف - فارسى معوب ، ومعنى نزعت له بموقها أى استقت .
٣) صحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب فضل ساقى البهائم المحترمة وإطعامها ، حديث ١٥٤ ، جـ٤ ، ص ١٧٦١ ، وأخرجه البخارى بنحوه ، فتح البارى ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ٥٤ ، ٦ ، ص ٥٩١.
٤) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم ، جـ١٠ ، ص ٤٥٢ ، وأخرجه مسلم فى كتاب السلام ، باب فضل ساقى البهائم ، المحترمة وإطعامها ، حديث ، ١٥٣ ، جـ٤ ، ص ١٧٦١ .
٥) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم ، جـ١٠ ، ص٤٥٢.
٦) أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، جـ٣ ، ص ٥٠٧.

فرط الرأفة بالحيوان : بلغ الإمام أحمد بن حنبل أن رجلا وراء النهر يروى أحاديث ثلاثة ، فرحل الإمام أحمد إليه ، فلما ورد عليه وجده يطعم كلبا فسلم عليه أحمد رضى الله عنه ، فرد عليه السلام ثم اشتغل بإطعام الكلب ولم يقبل على الإمام ، فوجد الإمام أحمد فى نفسه شيئا إذ أقبل الرجل على الكلب ولم يلتفت إليه فلما فرغ الرجل من طعمة الكلب التفت إلى الإمام وقال : لعلك وجدت فى نفسك إذ أقبلت على الكلب ولم أقبل عليك ، قال : نعم ، فقال : حدثنى أبو الزناد عن الأعراج عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامة فلن يلج الجنة " ثم قال الرجل : أرضنا هذه ليست بها كلاب ، وقد قصدنى هذا الكلب فخفت أن أقطع رجاءه ، فقال الإمام أحمد يكفينى هذا الحديث "[1] .

كما ثبت عن عبدالله بن مسعود قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فانطلق لحاجته فرأينا حُمَّرة معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تُعَرِّش فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فقال : " من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها لها "[2] .

رأفة وإيثار : خرج عبدالله بن جعفر[3] إلى ضيعة له فنزل على نخل قوم فيها غلام أسود يقوم عليها ، فأتى بثلاثة أقراص من الخبز فدخل كلب فدنا منه فرمى إليه

---

١) الخلق الكامل ، ج٢ ، ص ٢٩٨ .

٢) سنن أبى داود ، كتاب الأدب ، باب فى قتل الذر ، ج٥ ، ص ٤١٩ - ٤٢٠ .

٣) عبدالله بن جعفر بن أبى طالب ، له صحبة وأمه أسماء بنت عميس الخثعمية ، ولد بأرض الحبشة وكان أبواه رضى الله عنهما هاجرا إليها ، وهو أول مولود ولد فى الإسلام بأرض الحبشة ، كان جوادا كريما حليما يسمى بحر الجود ، وأخباره فى جوده وكرمه وحلمه كثيرة ، توفى سنة ثمانين عن عمر يناهز التسعين سنة وقيل غير ذلك ، تولى غسله والصلاة عليه أبان بن عثمان . انظر : أسد الغابة ، ج٣ ، ص ٩٤ - ٩٦ ، تهذيب التهذيب ، ج٥ ، ص ١٧ - ١٧١ .

بواحد فأكله ثم رمى إليه بالثانى والثالث فأكلهما ، وعبدالله ينظر إليه فقال : يا غلام كم قوتك كل يوم ؟ قال : ما رأيت ، قال : فلم آثـرت الكلب ؟ قال : لأن أرضنا ماهى بأرض كلاب ، وأخاله جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده قال : ما كنت صانعا اليوم ؟ قال : أطوى يومى هذا ، فقال عبدالله بن جعفر : الأمـر على السخاء ، والله إن هذا لأسخى منى ، فاشترى النخل والعبد فأعتقه ووهب ذلـك له "(١).

---

١) الخلق الكامل ، جـ٢ ، ص ٣٠١.

# الفصـــل الثّالث

## ثمـــار الإحسان

ويشتمل علــى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الثمار الدنيويـة .

المبحث الثاني : الثمار الأخرويـة .

المبحث الثالث : الثمار الدّنيوية والأخروية .

## المبحث الأول
## الثمار الدنيوية

ويشتمل هذا المبحث على خمسة مطالب وهى :ـ

المطلب الأول : الرضا والسعادة .

المطلب الثانى : شيوع التكافل والمحبة بين الناس .

المطلب الثالث: العلم والحكمة .

المطلب الرابع : النجاة وتفويج الكربات .

المطلب الخامس: الأجر العظيم .

### المطلب الأول
### الرضا والسعادة

إن السعادة هى جنة الأحلام التى ينشدها كل إنسان من الفيلسوف فى قمة تفكيره إلى العامى فى سذاجته ولانحسب أحدا يبحث عن الشقاء لنفسه[1] .

**مصدر السعادة:**

يعتقد بعض الناس أن السعادة فى الغنى وفى رخاء العيش ورفاهية الحياة غير أن الواقع يشهد بأن البلاد التى ارتفع بها مستوى المعيشة كالسويد وتيسرت فيها مطالب الحياة المادية من مأكل ومشرب وملبس ومسكن ومركب ٠٠ لاتزال تشكو من تعاسة الحياة لذا فإنهم يهربون من هذه الحياة النكدة عن طريق الإنتحار الذى يلجأ إليه الألوف من الناس تخلصا مما يعانونه من عذاب نفسى

١) انظر : الإيمان والحياة ، د / يوسف القرضاوى ، ص ٨٣.

أليم[١] .

فكثرة المال والأعراض الدنيوية قد تكون سببا في تعاسة الإنسان .

قال تعالى : ( فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا )[٢] .

وفي الحديث " من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ماكتب له ، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة "[٣] .

ويعتقد بعض الناس أن سعادتهم تتحقق بالزواج من الحسناوات، ولكن الواقع المشاهد يدل على أن كثيرا ممن أقبلوا على الحسناوات فتزوجوهن لحسنهن عاشوا حياة بائسة فكم من فتاة حسناء الوجه غير أنها سوداء السيرة سيئة السمعة .

قال تعالى : ( وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُم )[٤] .

عن عبدالله بن عمر قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لاتتزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ، ولاتزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة خرماء[٥] سوداء ذات دين أفضل "[٦] .

كما يعتقد آخرون بأن السعادة تتحقق بالأبناء ، والمشاهد أن الأبناء قد يكونوا سببا في شقاء الآباء .

---

١) انظر : الإيمان والحياة ، د /يوسف القرضاوي ، ص ٨٣ ـ ٨٥ .
٢) سورة التوبة . ٥٥ .
٣) سنن ابن ماجة كتاب الزهد ، باب الهم بالدنيا ، ج٢ ، ص ١٣٧٥ .
٤) سورة البقرة . ٢٢١ .
٥) خرماء : أي مقطوعة بعض الأنف ، ومثقوبة الأذن .
٦) سنن ابن ماجة ، كتاب النكاح ، باب تزويج ذات الدين ، ج١ ، ص ٥٩٧ .

قال تعالى : ( وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا )[١].
وقال : ( إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ )[٢].

فإذا فعل الزوج والولد فعل العدو كان عدوا وإن كانت عداوته غير ظاهرة إنه لافعل أقبح من الحيلولة بين العبد وبين الطاعة[٣].

ثم إن بعض الأبناء العاقين قد يسفرون عن العداء للآباء .

" كم من أولاد جروا على آبائهم الويل وجزوهم بالعقوق والكفران بدل البر والإحسان بل كم من آباء ذاقوا حتفهم على يد أولادهم طمعا فى ثروتهم أو لوقوفهم فى سبيل شهواتهم "[٤].

إن جميع الرغائب الأرضية التى يتعلق بها كثير من الناس ويظنون أنها تحقق لهم السعادة هى مجرد متاع لا وزن له أمام ما أعده الله للمحسنين فى الآخرة .

قال تعالى : ( زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ )[٥].

وفى هذه الآية ذكر الله سبحانه وتعالى أحب شهوات الأرض إلى الإنسان وهى النساء والبنين والأموال المكدسة والخيل والأرض المخصبة والأنعام .. وهى خلاصة الرغائب الأرضية إما بذاتها وإما بما تستطيع أن توفره لأصحابها من لذائذ أخرى[٦].

---

١) سورة الكهف. ٨٠.
٢) سورة التغابن. ١٤.
٣) انظر : تفسير روح البيان ، جـ١٠ ، ص ١٦.
٤) الإيمان والحياة ، ص ٨٧.
٥) سورة آل عمران. ١٤.
٦) انظر : فى ظلال القرآن ، جـ١ ، ص ٣٧٣.

وفى الآية التالية للآية السابقة ذكر عز وجل لذائذ العالم الآخر ، اللذائذ الجديرة بالعمل من أجل تحقيقها ، إنها جنات تجرى من تحتها الأنهار وأزواج مطهرة وفوق ذلك رضوان من الله .

قال تعالى : ( قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ )(١).

إفتخار الكفار بالمظاهر الجوفاء :

قال تعالى : ( وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا )(٢).

مناسبة الآية :

كان المسلمون يقرأون الآيات على الكفار ، وحينما سمع الكفار الآيات البينات وعجزوا عن معارضتها شرعوا فى الإفتخار بما لهم من حظوظ الدنيا .

روى أن المشركين كانوا يرجلون شعورهم ويدهنونها ويتطيبون ويتزينون بالزينة الفاخرة ثم يدعون فقراء المؤمنين ويقولون مفتخرين عليهم انظروا إلى منازلنا فتروها أحسن من منازلكم وانظروا إلى مجالسنا عند التحدث ومجلسكم فترونا نجلس فى صدر المجلس وأنتم فى طرفه الحقير فإذا كنا بهذه المثابة وأنتم بتلك فنحن عندالله خير منكم ولو كنتم على خير لأكرمكم بهذه الأمور كما أكرمنا بها .

وحينما افتخر المشركون بمالهم من حظوظ دنيوية أعلمهم الله تعالى بأنه أهلك أمما قبلهم كانوا أحسن منهم متعة ومنظرا كعاد وثمود ، ولم يغن عنهم متاعهم

---

١) سورة آل عمران. ١٥.
٢) سورة مريم. ٧٣ ـ ٧٤.

من الله شيئا [١] .

إن الله سبحانه وتعالى قد يؤتى الكفار الكثير من الحظوظ الدنيوية ، وهذه التوسعة عليهم لاتعنى خيريتهم أو كرامتهم على الله ولكنها محض استدراج .

عن سهل بن سعد قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى الحليفة. فإذا هو بشاة ميتة شائلة برجلها [٢] فقال : " أترون هذه هينة على صاحبها ؟ فوالذى نفسى بيده ! للدنيا أهون على الله من هذه على صاحبها ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها قطرة أبدا " [٣] .

السعادة الحقيقية:

إن السعادة شئ معنوى لاتحتويه الخزائن ولايشترى بالدينار والدرهم إنها صفاء نفس وطمأنينة قلب وانشراح صدر وراحة ضمير .

فالسعداء هم الذين استجابوا لربهم فى الإعراض عما سوى الله وفى الإقبال بالكلية على عبودية الله تعالى ، وأما الأشقياء فهم الذين لم يستجيبوا لربهم فأحبوا الدنيا وأعرضوا عن المولى [٤] .

إن منفعة الإحسان تعود أول ما تعود على المحسن .

قال تعالى : ( إِنْ أَحْسَنْتُم أَحْسَنْتُم لِأَنْفُسِكُمْ وإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ) [٥] .

كما قال تعالى : ( مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُون ) [٦] .

---

١) انظر : تفسير مراح لبيد ، جـ٢ ، ص ١٢ .
٢) شائلة برجلها : أى رافعة رجلها من شدة الإنتفاخ .
٣) سنن ابن ماجة كتاب الزهد ، باب مثل الدنيا ، جـ٢ ، ص ١٣٧٧ .
٤) انظر : تفسير الرازى ، جـ١٩ ، ص ٤٠ .
٥) سورة الإسراء . ٧ .
٦) سورة النحل. ٩٧ .

مناسبة الآية :

جلس ناس من أهل التوراة وناس من أهل الإنجيل وناس من أهل الأوثان فقال هؤلاء نحن أفضل وقال هؤلاء نحن أفضل فنزلت [١] .

إن الله سبحانه وتعالى لايفضل إنسانا على إنسان للحمه ودمه ، فالإنسان يرتفع فى ميزان الله بإيمانه وسلوكه الصالح كما ينحدر حتى يصل أسفل سافلين بكفره وسلوكه الفاسد .

وكلمة ( من ) فى قوله ( مَنْ عَمِلَ صَالِحًا ) تشمل الذكر والأنثى ولكنه سبحانه وتعالى قال : ( مِن ذَكَرٍ أَو أُنثَى ) تأكيدا وإزالة لوهم التخصيص [٢] .

ثم جعل سبحانه وتعالى الإيمان فى قوله ( وهُوَ مُؤْمِنٌ ) شرطا فى كون العمل الصالح منتجا للثواب " إذ لا اعتداد بأعمال الكفرة فى استحقاق الثواب وإنما المتوقع عليها تخفيف العقاب " [٣] .

المراد من الحياة الطيبة :

وأكثر المفسرين على أن هذه الحياة الطيبة هى فى الدنيا لافى الآخرة لأن حياة الآخرة قد ذكرت بقوله : ( ولَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) [٤] .

ولقد وقع الخلاف بين المفسرين فى الحياة الطيبة فى الدنيا بماذا تكون ؟

فقيل بالرزق الحلال وقيل بالقناعة وقيل بالتوفيق إلى الطاعات لأنها تؤدى إلى رضوان الله وقيل بالسعادة وقيل بالمعرفة بالله وصدق المقام بين يدى الله وقيل بالإستغناء عن الخلق والافتقار إلى الحق وقيل بالرضا بالقضاء [٥] .

١) الجامع لأحكام القرآن الكريم ، جـ٦ ، ص ٣٧٩٠ .
٢) انظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، جـ١٤ ، ص ١١٥ .
٣) تفسير البيضاوى ، ص ٣٦٥ .
٤) انظر : فتح القدير للشوكانى ، جـ٣ ، ص١٩٣ ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، جـ١٤ ، ص١١٥ .
٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ، جـ٦ ، ص ٣٧٩٠ .

وأولى الأقوال السابقة بالصواب قول من قال" فلنحيينه حياة طيبة بالقناعة وذلك لأن من قنعه الله بما قسم له من رزق لم يكثر للدنيا تعبه ولم يعظم فيها نصبه ولم يتكدر منها عيشه باتباعه بغية ما فاته منها وحرصه على ما لعله لايدركه فيها "(١).

قال المحققون : " وهذا هو المختار-أى حمل الحياة الطيبة على القناعة - لأن المؤمن الذى صلح عمله إن كان موسرا فذاك وإن كان معسرا فمعه من القنوع والعفة والرضا بالقضاء مايطيب عيشه وأما الكافر والفاجر فإن الحرص لايدعه أن يتهنأ بعيشة أبدا ويعظم أسفه على ما يفوته لأنه عانق الدنيا معانقة العاشق لمعشوقه بخلاف المؤمن المنشرح قلبه بنور المعرفة والجمال فإنه قلما ينزع لحب الدنيا - مالها وجمالها - ويستوى عنده وجودها وفقدها وخيرها وشرها نفعها وضرها . وبركة الصلاح والقنوع مما لاينكرها عاقل"(٢).

إن المؤمن المحسن ليشعر بالسعادة العظيمة إذا واسى محروما أو نصر ضعيفا أو آمن مروعا قلقا أو آوى هائما أو أحصن عرضا أو حقن دما .

كما أن اللذة أو النفحات الإيمانية التى يجدها العابد فى خلوته أو الذاكر فى سبحاته ، هذه النفحات الإيمانية التى تثلج الصدر بالطمأنينة والرضى وتدفىء النفس بالرجاء والأمل لاتعدلها لذة فى الحياة على الإطلاق .

ولانجحد أن للجانب المادى مكانا فى تحقيق السعادة .

فقد ثبت عن سعد بن أبى وقاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من

---

١) تفسير الطبرى ، جـ١٤ ، ص ١١٥.

٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، جـ١٤ ، ص ١١٦ .

سعادة ابن آدم ثلاثة، ومن شقوة ابن آدم ثلاثة ، من سعادة ابن آدم المرأة الصالحة والمسكن الصالح والمركب الصالح . ومن شقوة ابن آدم المرأة السوء والمسكن السوء والمركب السوء "(١).

## المطلب الثاني
## شيوع التكافل والمحبة بين الناس

ومن ثمار الإحسان الدنيوية التكافل الإجتماعى ومعناه " أن يتساند المجتمع أفراده وجماعاته بحيث لاتطغى مصلحة الفرد على مصلحة الجماعة .. وإنما يبقى للفرد كيانه وإبداعه ومميزاته وللجماعة هيئتها وسيطرتها فيعيش الأفراد في كفالة الجماعة كما تكون الجماعة متلاقية مع مصالح الآحاد ودفع الضرر عنهم"(٢).

والمجتمع الإسلامى يقوم على التكافل ولايكون مجتمع إسلامى بغير تكافل . إن نظام الإسلام وأعرافه تقرر التكافل فى المجتمع والدليل على ذلك الكتاب والسنة .

أما الكتاب فقوله تعالى :

( واعْبُدُوا اللَّهَ وَلَاتُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِى الْقُرْبَىٰ والْيَتَامَىٰ والْمَسَاكِينِ والْجَارِ ذِى الْقُرْبَىٰ والْجَارِ الْجُنُبِ والصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وابْنِ السَّبِيلِ ومَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لايُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا )(٣).

فبعد أن أمر الله سبحانه وتعالى بعبادته وحده أمر بالإحسان إلى الفئات المذكورة دعما للروابط الإجتماعية بين كافة طبقات المجتمع المسلم وأفراده .

---

١) مسند الإمام أحمد ، جـ١ ، ص ١٦٨ .

٢) المجتمع المتكافل فى الإسلام ، ص ٧٤ .

٣) النساء . ٣٦ .

فالآية جمعت أصنافا تسعة وأمرت بالإحسان إليهم ، والترتيب يفيد أن أولى الناس بالطاعة والإحسان الوالدين ثم تتسع الدائرة لتشمل الإحسان إلى المجتمع المسلم كله .

ولقد عقب سبحانه وتعالى بعد الأمر بالإحسان إلى الأصناف التسعة بقوله ( إِنَّ اللَّهَ لَايُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا ) وخص هاتين الصفتين بالبغض وذلك لأنهما تحملان صاحبهما على الأنفة من القربى والفقير والجار وغيرهم ممن ذكر فى الآية[(١)] إنه ليس من خلق المسلم الحق أن يرى أحد المسلمين محتاجا وهو فى سعة من العيش ولايسد حاجته بعد أن علم أنه مثاب على الحسنة أضعافا كثيرة .

قال الرازى : " واعلم أن الإحسان إلى الغير إما أن يكون بإيصال النفع إليه أو بدفع الضرر عنه . أما إيصال النفع إليه فيدخل فيه إنفاق العلم بأن يشتغل بتعليم الجاهلين وهداية الضالين ويدخل فيه إنفاق المال فى وجوه الخيرات والعبادات . وأما دفع الضرر عن الغير فهو إما فى الدنيا بأن لايشتغل بمقابلة تلك الإساءة بإساءة أخرى فهذا داخل فى كظم الغيظ وإما فى الآخرة بأن يبرىء ذمة الغير عن المطالبات فهذا داخل فى العفو عن الناس "[(٢)] .

وأما السنة :

فقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى "[(٣)] .

---

١) انظر : تفسير فتح القدير ، جـ١ ، ص ٤٦٥ .

٢) تفسير الرازى ، جـ٩ ، ص ٩ ، مراح لبيد ، جـ١ ، ص ١٢٠ .

٣) صحيح مسلم كتاب البر والصلة ، باب تعاون المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ، جـ٤ ، ص ١٩٩٩ - ٢٠٠٠ ، وأخرجه الحميدى فى مسنده بنحوه ، حديث ٩١٩ ، جـ٢ ، ص ٤٠٩ .

كما صح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، ثم شبك بين أصابعه "[(١)] .

كما صح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل "[(٢)] .

كما صح عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه " أو قال لجاره " مايحب لنفسه "[(٣)] .

كما صح عن أبى سعيد الخدرى قال : بينما نحن فى سفر مع النبى صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجل على راحلة له ، قال : فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا ، فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لاظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له "[(٤)] .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقوم بأود المحتاجين ويحرص على سد عوزهم فى كل أمر حتى فى نفقة الزواج .

عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه رجل فقال : إنى تزوجت امرأة من الأنصار فقال على كم تزوجتها ؟ قال على أربع أواق فقال النبى صلى الله عليه وسلم : على أربع أواق ، كأنكم تنحتون من عرض هذا الجبل . ما عندنا ما نعطيك ولكن عسى أن نبعثك فى بعث تصيب منه "[(٥)] .

---

١) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الأدب ، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا ، جـ١٠ ، ص ٤٦٤ . وأخرجه الحميدى فى مسنده ، حديث ٧٧٢ ، جـ٢ ، ص ٣٤٠ .

٢) صحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمى والنظرة ، جـ٤ ، ص ١٧٢٦ ، وأخرجه أحمد فى مسنده ، جـ٣ ، ص ٣٠٢ .

٣) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم مايحب لنفسه من الخير ، جـ١ ، ص٦٧ ، وأخرجه ابن ماجة فى سننه ، المقدمة ، حديث ٦٦ ، جـ١ ، ص٢٦ .

٤) صحيح مسلم ، كتاب اللقطة ، باب استحباب المواساة بفضول المال ، جـ٣ ، ص١٣٥٤ .

٥) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار للشيخ محمد بن على الشوكانى ، كتاب الصداق ، باب ، استحباب الزواج على القليل والكثير واستحباب القصد فيه ، جـ٦ ، ص ٣١٢ .

إن مغزا التكافل الإجتماعى وفوائده أن يُحس كل فرد فى المجتمع بأن عليه واجبات يجب عليه أداؤها ، وأن للفرد حقوقا فى هذا المجتمع يجب على القوامين عليه أن يعطوا كل ذى حق حقه من غير تقصير وأن يرفعوا الضرر عن الضعفاء وأن يسدوا خلل العاجزين (١) .

عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر على مسلم ستر الله عليه فى الدنيا والآخرة والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه " (٢) .

أما شيوع المحبة بين الناس كثمرة من ثمرات الإحسان ، فإن النفس مجبولة على حب من أحسن إليها بتوصيل نفع أو دفع ضرر .

أَحْسِنْ إلى النّاسِ تَستعبد قُلوبَهم *** فطالما استعبَدَ الإنسانَ إحسانُ

كما أن الإحسان إلى المسىء يطفىء نار الفتنة ويقلب العداوة إلى محبة والخصام إلى وفاق .

قال تعالى : ( وَلَاتَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ " (٣) .

---

١) انظر : المجتمع المتكافل فى الإسلام ، ص ٧٧ .

٢) صحيح مسلم ، كتاب الذكر ، باب فضل الإجتماع على تلاوة القرآن ، حديث ٣٨ ، جـ٤ ، ص٢٠٧٤ وأخرجه أبو داود فى كتاب الأدب - باب المعونة للمسلم ، جـ٥ ، ص ٢٣٥ ، والترمذى فى القراءات ، حديث ٢٩٤٦ ، باب فضل مدارسة القرآن ، وابن ماجة فى المقدمة ، حديث ٢٢٥ ، باب من أحيا سنة قد أميتت .

٣) سورة فصلت . ٣٤ .

## المطلب الثالث

## العلم والحكمة

والعلم والحكمة ثمرتان من ثمار الإحسان فى الدنيا . ولقد أخبر سبحانه وتعالى فى أكثر من موضع من القرآن الكريم أنه يمنح المحسنين العلم والحكمة فى هذه الحياة الدنيا وذلك كجزاء عاجل لهم على إحسانهم .

قال تعالى فى حق يوسف عليه السلام : ( وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ )(١) .

والمراد من قوله تعالى : ( ولما بلغ أشده ) أى وحينما بلغ يوسف عليه السلام منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين إلى الأربعين(٢) .

المراد من الحكم والعلم :

ذكر المفسرون فى المراد من الحكم والعلم الوارد فى قوله تعالى : (آتيناه حكما وعلما ) عدة أقوال وسوف يذكر الباحث هذه الأقوال وتوجيهها :

القول الأول : " إنها النبوة وما يقرن بها من العلوم والأخلاق "(٣) .

وهذا القول بعيد لعدة وجوه :

الأول : لأن الله تعالى قال : ( آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ) وهذا يدل على أنه إنما أعطاه الحكم والعلم مجازاة على إحسانه والنبوة لا تكون جزاء على العمل فهى غير مكتسبة(٤) .

قال الألوسى : " وفى تعليق الجزاء المذكور بالمحسنين إشعار بعلية الإحسان له وتنبيه على أنه تعالى إنما آتاه ما آتاه لكونه محسنا فى أعماله متقيا فى

---

١) سورة يوسف . ٢٢ .

٢) انظر : تفسير البيضاوى ، ص ٣١٢ ، روح المعانى ، جـ١٢ ، ص٢٠٩ ، تفسير أبى السعود ، جـ٣ ، ص ٩٢ .

٣) تفسير الرازى ، جـ٢٤ ، ص ٢٣٢ .

٤) انظر : تفسير الرازى ، جـ٢٤ ، ص ٢٣٣ .

عنفوان أمره"[1].

والثانى : لو كان المراد من الحكم النبوة لوجب حصول النبوة لكل من كان من المحسنين لقوله تعالى : ( وكذلك نجزى المحسنين ) فكلمة (كذلك) إشارة إلى ماتقدم ذكره من الحكم والعلم[2].

القول الثانى: المراد من الحكم صيرورة نفسه المطمئنة حاكمة على نفسه الأمارة بالسوء مستعلية عليها قاهرة لها ومتى صارت القوة الشهوانية والغضبية مقهورة ضعيفة فاضت الأنوار القدسية والأضواء الإلهية من عالم القدس على جوهر النفس[3]. وهذا القول محتمل وليس ببعيد وله ارتباط وثيق بالقول الثالث.

القول الثالث : المراد من الحكم الحكمة العملية والمراد من العلم الحكمة النظرية وإنما قدم الحكمة العملية على النظرية وذلك لأن أصحاب الرياضات والمجاهدات يشتغلون أولا بالحكمة العملية ثم يترقون إلى الحكمة النظرية وهى العلم اللدنى بخلاف أصحاب الأفكار العقلية فإنهم يصلون إلى الحكمة النظرية أولا ثم ينزلون منها إلى الحكمة العملية. والأولى طريقة يوسف عليه السلام لأنه صبر على البلاء ففتح الله تعالى عليه أبواب المكاشفات[4].

وهذا القول قريب ومحتمل - والله أعلم - وذلك لأن من اشتغل بالطاعة واتقى الله فحبس نفسه عن هواها ومنعها مما يشينها كان أهلا لعلم الموهبة أو العلم اللدنى.

---

١) تفسير روح المعانى ، جـ١٢ ، ص٢١٠.

٢) انظر : تفسير الرازى ، جـ٢٤ ، ص ٢٣٣.

٣) انظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان، جـ١٢ ، ص ١٢٠-١٢١، تفسير الرازى، جـ١٨، ص١١٤، مراح لبيد ، جـ١ ، ص ٤٠٢.

٤) انظر : تفسير الرازى ، جـ١٨ ، ص ١١٤ ، مراح لبيد ، جـ١ ، ص٤٠٢.

قال تعالى : ( واتَّقُوا اللَّهَ ويُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ )(١) كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم:
" اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله "(٢).

" فللوسائط والمعدات مدخل عظيم في كل ما يصل الإنسان من الفيوض والآثار فالأنوار السابقة تصير سببا للأضواء اللاحقة وهلم جرا "(٣).

لقد كان يوسف عليه السلام محسنا في عمله متقيا في عنفوان أمره فجزاه الله على ذلك الحكمة والعلم في الحياة الدنيا.

وهذه سنة في جزاء المحسنين عامة ولكل محسن منها بقدر إحسانه وعلى هذا فإن حظ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أعظم من حظ يوسف وغيره من الأنبياء عليهم السلام(٤).

قال الحسن : " من أحسن عبادة الله سبحانه في شبيبته آتاه الله تعالى الحكمة في اكتهاله "(٥).

قال تعالى في حق موسى عليه السلام :

( وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ واسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِين )(٦).

قال الطبري في مدلول هذه الآية :

" يقول تعالى ذكره : وكما جزينا موسى على طاعته إيانا وإحسانه بصبره على أمرنا كذلك نجزي كل من أحسن من رسلنا وعبادنا فصبر على أمرنا وأطاعنا وانتهى

---

١) سورة البقرة. ٢٨٢.
٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، كتاب الزهد ، باب ماجاء في الفراسة ، جـ١٠ ، ص ٢٦٨.
٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، جـ١٢ ، ص ١٢١.
٤) انظر : الكشاف ، جـ٢ ، ص ٢١٠ ، تفسير المنار ، جـ١٢ ، ص ٢٢٦.
٥) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، جـ١٢ ، ص ١٢١ ، مراح لبيد ، جـ١ ، ص ٤٠٢.
٦) سورة القصص. ١٤.

عما نهيناه عنه "[١].

## المطلـــب الرابـــــع

## النجـاة وتفريج الكـربـات

ومن الثمار الدنيوية للإحسان النجاة وتفريج الكربات. ولايريد الباحث من النجاة نجاة الأجساد من الآلام وإنما يريد النجاة من عذاب الله ونجاة الفكـرة أو الجماعة من كيد الكافرين.

قال تعالى: ( ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ )[٢].

" إنها الكلمة التى كتبها الله على نفسه أن تبقى البذرة المؤمنة وتنبت وتنجو بعد كل إيذاء وكل خطر وكل تكذيب وكل تعذيب "[٣].

وسوف يتعرض الباحث إلى أخبار بعض الأنبياء عليهم السلام الذين هم القدوة الأولى لمن بعدهم فى الإحسان - وسوف يبين الباحث كيف نجاهم الله تعالى من الكروب العظيمة بإحسانهم.

نوح عليه السلام:

قال تعالى: ( وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ )[٤].

---

١) تفسير الطبرى، جـ٢٠، ص ٢٨.
٢) سورة يونس. ١٠٣.
٣) فى ظلال القرآن، جـ٣، ص ١٨٢٤.
٤) سورة الصافات. ٧٥ - ٨٠.

لقد مكث نوح فى قومه يدعوهم إلى الله تعالى ألف سنة إلا خمسين عاما غير أن دعوته لم تقابل إلا بالتكذيب والإيذاء ولم يؤمن معه إلا القليل • وحينما اشتد على نوح تكذيب قومه له غضب منهم فدعا عليهم فاستجاب الله لدعوته ونجاه ومن آمن معه وأهلك المكذبين[(١)] •

وفى قوله تعالى : ( إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحسنين ) تعليل لنجاة نوح عليه السلام من الكرب العظيم أى الغم الشديد • فقد كان عليه السلام من زمرة المعروفين بالإحسان الراسخين فيه ، فما وقع له من قبيل مجازاة الإحسان بالإحسان ، وإحسانه مجاهداته أعداء الله تعالى بالدعوة إلى دينه والصبر الطويل على أذاهم[(٢)] •

## إبراهيم عليه السلام:

ولقد نجا الله تعالى إبراهيم عليه السلام من النار التى ألقى فيها ، فقد جعلها الله تعالى عليه بردا وسلاما جزاء إحسانه •

قال تعالى : ( قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ، قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ )[(٣)] •

كما قال سبحانه وتعالى فى موضع آخر : ( قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ )[(٤)] •

فحينما قهر إبراهيم عليه السلام قومه بالحجة قصدوا تعذيبه والقضاء عليه لئلا يظهر للعامة عجزهم غير أن الله تعالى أبطل كيدهم ونجاه •[(٥)] •

ثم ذكر سبحانه وتعالى قصة أخرى لإبراهيم عليه السلام فقال : ( فَلَمَّا بَلَغَ

---

١) انظر : تفسير ابن كثير ، جـ٤ ، ص ١٢ •
٢) انظر : تفسير روح المعانى ، جـ٢٣ ، ص ٩٩ •
٣) الأنبياء • ٦٨ - ٧٠ •
٤) سورة الصافات • ٩٧ - ٩٨ •
٥) انظر : تفسير روح المعانى ، جـ٢٣ ، ص ١٢٦ •

مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ، فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ، وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ، وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ، وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ، سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ، كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)[١] .

ولقد علل سبحانه وتعالى نجاة إبراهيم عليه السلام من النار ونجاة ولده إسماعيل من الذبح بكونهما من المحسنين .

قال ابن كثير في قوله تعالى (إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) بعد ذكر قصة إبراهيم " أي هكذا نصرف عمن أطاعنا المكاره والشدائد ونجعل لهم من أمرهم فرجا ومخرجا "[٢] .

يوسف عليه السلام:

ولقد نجى الله تعالى يوسف عليه السلام من كيد إخوته حينما ألقوه في البئر كما نجاه من الوقوع في الفتنة حينما دعته امرأة العزيز لمباشرتها ، ونجاه كذلك من آلام السجن الذي هو قبر الأحياء ثم مكن له في الأرض وجمع شمله مع أهله ، كل ذلك جزاء إحسانه عليه السلام .

قال تعالى : ( وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)[٣] .

كما ذكر سبحانه وتعالى مادار بين يوسف عليه السلام وإخوته من حديث

---

١) سورة الصافات . ١٠٢ - ١١٠ .
٢) تفسير ابن كثير ، جـ٤ ، ص ١٧ .
٣) سورة يوسف . ٥٦ .

حينما جمع الله بينهم فقال : ( قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ ، قَالَ : أَنَا يُوسُفُ وَهَـٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لايُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ )(١).

فحينما جمع الله تعالى يوسف بإخوته عرفوه بالخطاب الذى لايصدر إلا عن حنيف مسلم فقالوا : "أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُف" فقال : "أَنَا يُوسُف" أى أنا الذى ظلمتمونى فأوصلنى الله إلى أعظم المناصب ، أنا ذلك الأخ العاجز الذى قصدتم قتله ثم صرت كما ترون ، ولهذا قال" وَهَذَا أَخِي" مع أنهم كانوا يعرفونه لأن مقصوده أن يقول وهذا أيضا كان مظلوما فصار منعما عليه وذلك قوله" قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا " أى بالخلاص مما ابتلينا به والإجتماع بعد الفرقة والعزة بعد الذلة والأنس بعد الوحشة(٢).

ولقد ذكر الله تعالى على لسان يوسف ما استأهله وأخاه لهذه المنة وهو الصبر والتقوى المعبر عنه بالإحسان ( إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لايُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ). " وإنما وضع المظهر - أى لفظ المحسنين- موضع المضمر تنبيها على أن المنعوتين بالتقوى والصبر موصوفون بالإحسان "(٣).

موسى عليه السلام:

قال تعالى : ( وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الآخِرِينَ سَلامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ )(٤).

وفى هذه الآيات يذكر سبحانه وتعالى ما أنعم به على موسى وهارون ومن آمن

---

١) سورة يوسف ٩٠.
٢) انظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان، جـ١٣، ص٤٤، مختصر تفسير الخازن، جـ٢، ص٦٥٢، تفسير الرازى جـ١٨، ص٢٠٨ ، مراح لبيد جـ١ ، ص٤١٧.
٣) تفسير روح المعانى ، جـ١٣ ، ص٤٩ ، تفسير أبى السعود ، جـ٣ ، ص ١٣٧.
٤) سورة الصافات ١١٤ - ١٢١.

معهم حيث نجاهم من قهر فرعون وقومه. وكان فرعون قد بلغ غاية الطغيان والجبروت . فقتل الأبناء واستحيا النساء واستعبد بنى إسرائيل واستعملهم فى أخس الأشياء ، ثم بعد هذا كله نصر الله موسى وهارون ومن آمن معهم على فرعون وقومه فغلبوهم وأخذوا أرضهم وأموالهم وما كانوا جمعوه طول حياتهم[١].

قال تعالى : ( وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ . وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ )[٢].

كما قال تعالى : ( وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ )[٣].

" والكلمة الحسنى التى تمت هى قول الحق سبحانه وتعالى (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ)[٤]"[٥].

ولقد علل سبحانه وتعالى تفريج تلك الكربة عن موسى وهارون عليهما السلام بإحسانهما حيث قال فى سورة الصافات ( إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ) .

## المطلب الخامس

## الأجر العظيم

ومن ثمار الإحسان الدنيوية الأجر العظيم الذى عبر عنه القرآن بكلمة حسنة .

١) انظر : تفسير ابن كثير ، جـ٤ ، ص ١٩.
٢) البقرة. ٤٩ ـ ٥٠.
٣) الأعراف. ١٣٧.
٤) القصص. ٥ ـ ٦.
٥) خواطر حول القرآن الكريم للشيخ متولى الشعراوى ، جريدة اللواء الاسلامى ، السنة الرابعة ، العدد ٣٥٤.

قال تعالى : ( وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ )(١).

مناسبة الآية:

إن أحياء العرب كانوا يبعثون إلى مكة أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبى صلى الله عليه وسلم فإذا جاء الوافد سأل الذين كانوا يقعدون على طرقات مكة من الكفار فيقولون هو ساحر كاهن كذاب مجنون وإذا لم تلقه خير لك فيقول الوافد أنا شر وافد إن رجعت إلى قومى من دون أن أدخل مكة فألقاه. فيدخل مكة فيرى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألهم عنه فيخبرونه بصدقه وأمانته وأنه نبى مبعوث من الله عز وجل"(٢).

" والمراد من قوله تعالى ( لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ) للذين أحسنوا ثواب إحسانهم فى هذه الدنيا حسنة وهى النصر والفتح والرزق الحسن وغير ذلك مما أنعم الله به على عباده فى الدنيا "(٣).

ويدل على صحة هذا التفسير قوله تعالى ( وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ) يعنى وما أعد الله للمحسنين فى الجنة خير مما يحصل لهم فى الدنيا .

كما قال تعالى : ( وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ )(٤).

مناسبة الآية :

قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت هذه الآية فى ستة من الصحابة ، صهيب وبلال وعمار وخباب وعابس وجبير ، موالى لقريش فجعلوا يعذبونهم ليردوهم عن

---

١) سورة النحل. ٣٠.
٢) مختصر تفسير الخازن، جـ٢ ، ص ٧١٢ ، انظر : تفسير الرازى ، جـ٢٠ ، ص ٢٤.
٣) مختصر تفسير الخازن، جـ٢ ، ص ٧١٢.
٤) النحل. ٤١.

الإسلام ،أما صهيب فقال : أنا رجل كبير إن كنت لكم لم أنفعكم وإن كنت عليكم لم أضركم فافتدى منهم بماله ، فلما رآه أبوبكر قال : ربح البيع يا صهيب ، وقال عمر : نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه ، وهو ثناء عظيم يريد لو لم يخلق الله النار لأطاعه فكيف ظنك به وقد خلقها ؟ وأما سائرهم فقد قالوا بعض ما أراد أهل مكة من كلمة الكفر والرجوع عن الإسلام فتركوا عذابهم ثم هاجروا، فنزلت هذه الآية "(١) .

وقال قتادة : " المراد أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ظلمهم المشركون بمكة وأخرجوهم حتى لحق طائفة منهم بالحبشة ثم بوأهم الله دار الهجرة وجعل لهم أنصارا من المؤمنين "(٢) .

ولقد اختلف المفسرون فى ( الحسنة ) التى وعد الله عباده المحسنين فى الدنيا على خمسة أقوال :

الأول : أنها نزول المدينة والثانى : الرزق الحسن والثالث : النصر على عدوهم والرابع : ما استولوا عليه من فتوح البلاد وصار لهم فيها من الولايات ، والخامس: ما بقى لهم فيها من الثناء وصار لأولادهم من الشرف(٣) .

والذى يراه الباحث أنه لامانع من حمل الآية على جميع الأمور السابقة إذ لا وجه لتخصيص أحد الأمور ، ثم إن الأمور السابقة قد تحققت بالفعل للصحابة بفضل الله تعالى .

عن عمر أنه كان إذا أعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال : خذ بارك الله لك

---

١) تفسير الرازى ، جـ٢٠ ، ص ٣٤ـ ٣٥، انظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، جـ١٤ ، ص٦٦ - ٦٧ ، الكشاف، جـ٢ ، ص ٤١٠ .

٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم ، جـ٦ ، ص ٣٧٢٣ .

٣) انظر : المصدر السابق ، جـ٦ ، ص ٣٧٢٣ ، تفسير فتح القدير للشوكانى ، جـ٣ ، ص١٦٤ .

فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر لك في الآخر أكبر "[١].

وبعد أن ذكر الله تعالى الحسنة كجزاء دنيوى للمحسنين ذكر أن أجر الآخرة أكبر ( وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ ) أي أن أجر الآخرة أكبر من أن يعلمه أحد قبل أن يشاهده[٢].

وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من أن المراد من الحسنة الأجر الدنيوى العاجل.

كما قال تعالى في موضع آخر ( قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوْا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وأَرْضُ اللَّهِ واسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ )[٣].

مناسبة الآية:

"نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه حين عزموا على الهجرة إلى أرض الحبشة. ومعناها التأنيس لهم والتنشيط على الهجرة"[٤].

ولقد اختلف المفسرون في المراد من قوله تعالى: ( لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ) فمن جعل الجار والمجرور أي قوله ( في هذه الدنيا )صلة لأحسنوا قال: المعنى للذين عملوا الأعمال الحسنة في هذه الدنيا على وجه الإخلاص حسنة عظيمة في الآخرة وهي الجنة.

ومن جعل الجار والمجرور صلة لحسنة قال: المعنى الذين أحسنوا فلهم في هذه الدنيا أمن وصحة وكفاية[٥].

---

١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، جـ١٤، ص ٦٦-٦٧، تفسير الرازي، جـ٢٠، ص٣٥.
٢) انظر: تفسير فتح القدير، جـ٣، ص ١٦٤.
٣) سورة الزمر. ١٠.
٤) التسهيل لعلوم التنزيل، جـ٣، ص ١٩٢.
٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن الكريم، جـ٨، ص ٥٦٨٤.

ولقد رجح الشوكانى[(١)] وابن جزى الكلبى[(٢)] القول الأول الذى يفيد أن للذين أحسنوا فى الدنيا حسنة فى الآخرة وهى الجنة .

والذى يراه الباحث أن الآية تحتمل الوجهين لكن الأرجح - والله أعلم - أن المراد من الحسنة هنا الأجر الدنيوى العاجل وذلك لأن الله سبحانه وتعالى إذا أخبر عن الأجر الدنيوى أطلق لفظ الحسنة وإذا أخبر عن الأجر الأخروى أطلق لفظ الحسنى التى تفيد المبالغة فى الحسن وشتان بين حسنة الدنيا وحسنى الآخرة وهى الجنة[(٣)] .

ثم إن الباحث يرى أن مدلول الحسنة أعم مما ذهب إليه بعض العلماء حيث حملوا الحسنة فى الدنيا على الأمن والصحة والكفاية . وإن كانت هذه الأمور الثلاثة هى أفضل ما يحوزه الإنسان فى الحياة الدنيا .

عن عبيدالله بن محصن الأنصارى[(٤)] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من أصبح منكم معافى فى جسده آمنا فى سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا "[(٥)] .

ومما يجدر التنبيه إليه أن قوله تعالى : ( وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَاسِعَةٌ ) فيه إشارة إلى أن أسباب التقوى والإحسان إن لم تتيسر فى أرض وجبت الهجرة إلى أرض يتيسر ذلك فيها ، فالهجرة سنة الأنبياء والصالحين ولا عذر للإنسان فى التفريط[(٦)] . قال تعالى : ( إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا "[(٧)] .

١) انظر : فتح القدير ، جـ٤ ، ص٤٥٤ .
٢) انظر : التسهيل لعلوم التنزيل ، جـ٣ ، ص ١٩٢ .
٣) انظر : ص ٦-٨ من هذا البحث . مدلول الحسنة فى القرآن .
٤) عبيدالله بن محصن الأنصارى الخثعمى له صحبة ، قال ابن عبدالبر أكثرهم يصحح صحبته قيل اسمه عبدالله وذكره البخارى فيمن اسمه عبيدالله ، انظر : اسد الغابة ، جـ٣ ، ص٤٢٦ ، تهذيب التهذيب ، جـ٥ ، ص ٣٩٠ .
٥) سنن ابن ماجة ، كتاب الزهد ، باب القناعة ، جـ٢ ، ص ١٣٨٧ .
٦) انظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، جـ٢٣ ، ص١٢٩ ، الكشاف ، جـ٣ ، ص٣٩١ ، تفسير الرازى جـ٢٦ ، ٢٥٣ ، تفسير أبى السعود ، جـ٤ ، ص ٤٦١ .
٧) سورة النساء . ٩٧ .

## المبحث الثاني
## الثمار الأخروية

ويشتمل هذا المبحث على ثلاثة مطالب هي :-

المطلب الأول : الأمن يوم يفزع الناس .

المطلب الثاني : الخلود في الجنة والتمتع بنعيمها .

المطلب الثالث : النظر إلى الله سبحانه وتعالى .

### المطلب الأول
### الأمن يوم يفزع الناس

قال تعالى : ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ )(١) .

والمراد من هذه الآية أن من جاء الله تعالى بتوحيده والإيمان به وقول لا إله إلا الله موقنا به قلبه فله من هذه الحسنة عند الله خير يوم القيامة وذلك الخير أن يدخله الله الجنة ويؤمنه من فزع الصيحة وهي النفخ في الصور(٢) .

ولعل سائلا يسأل كيف نفى سبحانه الفزع هنا وقد قال قبله " فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ "(٣) والجواب : إن الفزع الأول هو ما لا يخلو منه أحد عند الإحساس بشدة تقع أو عند مشاهدة الأهوال. وإن كان المحسن يأمن وصول أي ضرر إليه .

وأما الفزع الثاني : فهو الخوف من العذاب فالمحسنون آمنون منه(٤) .

---

١) سورة النمل. ٨٩.

٢) انظر : تفسير الطبري ، جـ٢٠ ، ص ١٥.

٣) سورة النمل. ٨٧.

٤) انظر : مختصر تفسير الخازن ، جـ٢ ، ص ٩١٢.

ولقد علل سبحانه وتعالى هذا الأمن من الفزع يوم القيامة بالإحسان حيث قال : ( بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ )[١].

ولقد أشارت هذه الآية إلى شرطي العبادة المقبولة عندالله تعالى وهما : الإخلاص والمشروعية أو الإحسان، ثم بينت أن من جمع بين هذين الشرطين فله الأجر العظيم عندالله تعالى ثم مع هذا النعيم لايلحقه خوف ولاحزن. وهذا هو نهاية السعادة فالمحسنون آمنون من العذاب فى الآخرة وغير حزانى على مافاتهم فى الدنيا[٢].

فالإحسان هو مرتبة الأولياء .. ومن كانت طريقته الإحسان أحسن الله جزاءه .

قال تعالى : ( أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ )[٣].

<u>من هو الولي:</u>

عن ابن عباس وغيره[٤]، أن الأولياء هم الذين إذا رُؤوا ذُكر الله لرؤيتهم[٥] يريد إذا رؤوا فإن سمتهم وهيئتهم تذكر بالله تعالى .

وقيل فى تعريف الولى " هو الذى يتولى الله بالطاعة ويتولاه الله بالكرامة "[٦].

وأولياء الله الذين يشهد لهم كتاب الله بالولاية هم المؤمنون الصالحون المتقون

---

١) سورة البقرة. ١١٢.

٢) انظر : تفسير الرازى ، جـ٤ ، ص ٥٠.

٣) سورة يونس. ٦٢ - ٦٤.

٤) هو سعيد بن جبير ، انظر :الكشاف ، جـ٢ ، ص١٩٥.

٥) تفسير المنار ، جـ١١ ، ص ٤١٩.

٦) الكشاف ، جـ٢ ، ص ١٩٥ ، تفسير التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، جـ١١ ، ص ٢١٨.

قال تعالى : ( ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ) وهؤلاء المؤمنون هم الذين يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله تعالى .

عن أبى مالك الأشعرى [(١)] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا فرغ من صلاته - ذات يوم - أقبل على الناس بوجهه فقال أيها الناس إسمعوا واعقلوا واعلموا أن لله عز وجل عبادا ليسوا بأنبياء ولاشهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله . فجاء رجل من الأعراب من قاصية الناس وألوى بيده إلى نبى الله صلى الله عليه وسلم فقال: يانبى الله ناس من الناس ليسوا أنبياء ولاشهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله إنعتهم لنا - يعنى صفهم لنا - فسر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لسؤال الأعرابى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم ناس من أفناء الناس ونوازع القبائل لم تصل بينهم أرحام متقاربة تحابوا فى الله وتصافوا يصنع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها فيجعل وجوههم نورا وثيابهم نورا ، يفزع الناس يوم القيامة ولايفزعون وهم أولياء الله الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون " [(٢)] .

## المطلب الثانى
## الخلود فى الجنة والتمتع بنعيمها

ومن ثمار الإحسان فى الآخرة الخلود فى الجنة والتمتع بنعيمها .

قال تعالى : ( ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ) [(٣)] .

---

١) أبو مالك الأشعرى صحابى جليل يعد فى الشاميين ، قدم فى السفينة مع الأشعريين على النبى صلى الله عليه وسلم وهو مشهور فى كنيته ، مختلف فى اسمه ، فقيل اسمه كعب بن مالك وقيل كعب بن عاصم وقيل عبيد وقيل عمرو وقيل الحارث. انظر : اسد الغابة ، ج٥ ، ص ٢٧٢ .

٢) مسند الإمام أحمد ، ج٥ ، ص ٣٤٣ .

٣) سورة آل عمران . ١٧٢ .

مناسبة الآية :

"روى أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وقالوا إنا قتلنا أكثرهم ولم يبق منهم إلا القليل فلم تركناهم فهمُّوا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يرهب الكفار ويريهم من نفسه ومن أصحابه قوتهم فندب أصحابه إلى الخروج فى طلب أبى سفيان وقال لا أريد الآن أن يخرج معى إلا من حضر يومنا بالأمس فخرج فى سبعين من الصحابة حتى بلغوا حمراء الأسد وهى من المدينة على ثمانية أميال فألقى الله الرعب فى قلوب المشركين وانهزموا فنزلت"(١).

كما روى عن الصحابة الذين خرجوا مع الرسول أنه كان فيهم من يحمل صاحبه على عنقه ساعة ثم كان المحمول يحمل الحامل ساعة أخرى وكان فيهم من يتوكأ على صاحبه ساعة ويتوكأ عليه صاحبه ساعة(٢). فرغم الجراحات المؤلمة البالغة لبى الصحابة نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتثاقلوا إلى الأرض وهذا السلوك يدل على غاية الإحسان عندهم .

وكلمة " من " فى قوله تعالى ( لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ) للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد وذلك لأن المستجيبين كلهم محسنون متقون(٣) .

والأجر العظيم الذى وعد الله عباده المحسنين هو الأجر الأخروى وهو الجنة(٤) .

---

١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، جـ٤ ، ص ١٤١ ، تفسير الرازى ، جـ٩ ، ص ١٠٠ ، الكشاف ، جـ١ ، ص ٤٨٠ ، البيضاوى ، ص ٩٦ .

٢) انظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، جـ٤ ، ص ١٤١ .

٣) انظر : تفسير الكشاف ، جـ١ ، ص ٤٨٠ ، البيضاوى ، ص٩٦ ، المنار ، جـ٤ ، ص ١٩٤ .

٤) انظر : تفسير النسفى ، جـ١ ، ص ٢٧٢ .

كما قال تعالى : ( فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ )(١).

مناسبة الآية :

" هذه الآية والآيات الثلاث السابقة لها روى أنها نزلت فى النجاشى وأصحابه بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن أبى طالب والمهاجرين معه وأحضر القسيسين والرهبان فأمر جعفرا أن يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن "(٢).

وقيل نزلت فى ثلاثين أو سبعين رجلا من قوم النجاشى وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم سورة مريم فبكوا وآمنوا (٣).

تفسير الآية : " فجزاهم الله تعالى وأعطاهم من الثواب بقولهم الذى عبروا به عن إيمانهم وإخلاصهم بساتين وحدائق فى دار النعيم تجرى من تحت أشجارها الأنهار يخلدون فيها فلا هى تسلب منهم ولاهم يرغبون عنها ويتركونها ، وذلك النوع من الثواب جزاء جميع المحسنين فى سيرتهم وأعمالهم من أهل الإيمان "(٤).

كما قال تعالى : ( مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ )(٥).

أى لم يكن لأهل مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن حولهم من سكان البوادى

---

١) سورة المائدة. ٨٥.
٢) تفسير أبى السعود ، جـ٢ ، ص ٨٢.
٣) انظر : تفسير البيضاوى ، ص ١٦٠ ، تفسير أبى السعود ، جـ٢ ، ص ٨٢.
٤) تفسير المنار ، جـ٧ ، ص ١٢.
٥) سورة التوبة. ١٢٠.

أن يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وذلك لأنهم إذا كانوا مع الرسول لايصيبهم عطش أو تعب أو جوع فى سبيل إقامة دين الله ونصرته وهدم الكفر ، ولايطئون أرضا يغيظ الكفار وطؤهم إياها ولايصيبون من عدو الله شيئا فى أموالهم وأنفسهم وأولادهم إلا كتب الله لهم بذلك كله الثواب العظيم فى الآخرة فالله تعالى لايترك مجازاة المحسن على إحسانه فلا يضيع للمحسن أجر[١] .

وقد خص أهل المدينة ومن حولهم بالذكر لأنهم قد استنفروا فلم ينفروا بخلاف غيرهم من العرب فإنهم لم يستنفروا ، ثم إن أهل المدينة ومن حولهم بمحضر ومشهد من الرسول صلى الله عليه وسلم فكيف يسوغ لهم أن يروا النبى وهو يحمل الأعباء الثقال ثم يقفون منه موقف المتفرج ولايحملون عنه بعض مايحمل. إن ذلك وإن لم يقض به الدين قضت به المروءة وأوجبته حقوق الجار على الجار ،فكيف وقد فرضه الدين[٢] .

إنه لايهنأ لمسلم-تمكن الإيمان من قلبه- طعام ولايسوغ له شراب وهو يرى النبى صلى الله عليه وسلم يخوض غمرات القتال ثم يقعد عن الجهاد .
روى أن أبا خيثمة[٣] بلغ بستانه وكان له امرأة حسناء فرشت له فى الظل وبسطت له الحصير وقربت إليه الرطب والماء البارد فنظر فقال : ظل ظليل ورطب يافع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحّل ناقته وأخذ سيفه ورمحه ومرّ كالريح ، فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه إلى الطريق فإذا براكب يزهاه السراب. فقال كن أباخيثمة فكان

---

١) انظر : تفسير الطبرى ، جا١ ، ص ٤٧.
٢) انظر : فتح القدير للشوكانى ، ج٢ ، ص ٤١٥، التفسير القرآنى للقرآن،ج٣، ص ٩١٥.
٣) أبوخيثمة الأنصارى السالمى اسمه عبد الله بن خيثمة وقيل مالك بن قيس ، وهو خزرجى . شهد أحدا مع النبى صلى الله عليه وسلم وبقى إلى أيام يزيد بن معاوية . انظر : أسد الغابة ، ج٥ ، ص ٩٣ - ٩٤.

هو ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له"[١].

"وفي قوله تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ) تنبيه على أن الجهاد إحسان أما في حق الكفار فلأنه سعي في تكميلهم بأقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون، وأما في حق المؤمنين فلأنه صيانة لهم من سطوة الكفار واستيلائهم"[٢].

**ما على المحسنين من سبيل:**

لقد أمر الله عز وجل الصحابة بأن يصحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السراء والضراء وأن يكابدوا معه الأهوال برغبة ونشاط واغتباط ثم بين سبحانه وتعالى أنه في حالة عجزهم عن الجهاد بسبب المرض أو الشيخوخة وما شابه ذلك فلا تثريب عليهم ولامؤاخذة ولهم الحسنى أي الجنة ما داموا مخلصين.

قال تعالى : ( لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ )[٣].

وتفسير الآية : ليس على أهل الزمانة وأهل العجز عن السفر والغزو ولا على المرضى ولا على من لايجد نفقة يتبلغ بها إلى مغزاه إثم إذا نصحوا لله ورسوله في مغيبهم عن الجهاد[٤].

"والمراد من قوله : ( إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ) أي إذا كانت قلوبهم سليمة عامرة بالإيمان ... فهم مع المجاهدين بمشاعرهم كلها يدعون لهم بالنصر ويتمنون لهم الغلب والسلامة ويخلفونهم في أهلهم ويقومون على رعاية أبنائهم وأزواجهم وقضاء حوائجهم ورفع الضرر عنهم"[٥].

---

١) تفسير البيضاوي، ص ٢٧٠.
٢) المصدر السابق، ص ٢٧٠.
٣) سورة التوبة. ٩١.
٤) انظر : تفسير الطبري، جـ١٠، ص ١٤٥.
٥) التفسير القرآني للقرآن، جـ٣، ص ٨٦٧.

والمراد من قوله ( مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ) أى لا إثم على المحسنين بسبب القعود عن الجهاد وإنما الإثم يقع على المسيئين .

قال القرطبى : " هذه الآية أصل فى رفع العقاب عن كل محسن "(١) .

عن أنس رضى الله عنه " أن النبى صلى الله عليه وسلم كان فى غزاة فقال: إن أقواما بالمدينة خلفنا ما سلكنا شعبا ولا واديا إلا وهم معنا فيه حبسهم العذر "(٢) .

قال تعالى : ( لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا )(٣) .

مناسبة الآية :

قال ابن عباس رضى الله عنهما هم القاعدون عن بدر والخارجون إليها ، وهو الظاهر الموافق لتاريخ النزول "(٤) .

إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يلزم الصحابة بالخروج إلى بدر ولكنه ندبهم إلى الخروج ندبا فخرج من خرج وقعد الباقون فنزل قوله تعالى ( وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ) .

والحسنى : أى المثوبة الحسنى وهى الجنة(٥) .

لقد استحق الفريقان المثوبة الحسنى وهى الجنة بسبب إحسانهم المتمثل فى حسن عقيدتهم وخلوص نياتهم . والتفاوت بينهم ثابت فى زيادة العمل المقتضى لمزيد

---

١) الجامع لأحكام القرآن الكريم ، جـ٥ ، ص ٣٠٦٦ .
٢) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب الجهاد ، باب من حبسه العذر ، جـ٦ ، ص٤٦ـ٤٧ .
٣) سورة النساء ، ٩٥ .
٤) تفسير أبى السعود ، جـ١ ، ص ٥٧٠ .
٥) انظر : تفسير الطبرى ، جـ٥ ، ص١٤٦ ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، جـ٥ ، ص ١٤٦ ، الجامع لأحكام القرآن الكريم ، جـ٣ ، ص١٩١٤ ، تفسير أبى السعود ، جـ١ ، ص ٥٧١ .

الثواب.

وصف الجنتين اللتين أعدهما الله تعالى للمتقين جزاء إحسانهم :

قال تعالى : ( وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. ذَوَاتَا أَفْنَانٍ. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ )[١].

والمراد من قوله ( هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ) أن جزاء من أحسن بطاعة الله أن يحسن الله إليه بالجنة[٢].

"ويحتمل أن يكون الإحسان هنا هو الذى سأل عنه جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك "[٣] وذلك هو مقام المراقبة والمشاهدة فجعل جزاء ذلك الإحسان بهاتين الجنتين، ويقوى هذا أنه جعل هاتين الجنتين الموصوفتين هنا لأهل المقام العلى، وجعل جنتين دونهما لمن كان دون ذلك ، فالجنتان المذكورتان أولا للسابقين والجنتان المذكورتان ثانيا بعد ذلك لأصحاب اليمين حسبما ورد فى الواقعة "[٤].

وهذا الإحسان الذى يفاض من الله سبحانه وتعالى على المؤمنين فى الجنة هو جزاء إحسانهم فى الدنيا وخوفهم مقام ربهم .

---

١) الرحمن . ٤٦ ـ ٦٠.

٢) انظر : الوجيز فى تفسير القرآن العزيز ، جـ٢ ، ص ٣٤٤ ، البيضاوى ، ص٧٠٨ ، فتح القدير، للشوكانى ، جـ٥ ، ص ١٤٢.

٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ، حديث ١ ، جـ١ ، ص٣٧.

٤) التسهيل لعلوم التنزيل ، جـ٤ ، ص ٨٦.

قال تعالى : ( إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ )(١).

كما قال تعالى : ( إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ، وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ، كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ، إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ )(٢).

" وإذا كان هؤلاء المحسنون قد أحسنوا العمل فإن هذا النعيم الذى هم فيه لايعدله إحسان المحسنين مهما بالغوا فى الإحسان وإنما هو فضل من الله عليهم ومضاعفة للجزاء الحسن الذى كانت أعمالهم الحسنة مدخلا إليه "(٣).

الجنة ونعيمها في السنة المطهرة:

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يقول الله عز وجل : أعددت لعبادى الصالحين ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر واقرؤا إن شئتم ( فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)(٤) "(٥).

كما صح عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " ينادى مناد : إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا ، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا ، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا ، فذلك قول الله عز وجل ( وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ

١) سورة الذاريات ، ١٥ - ١٦.
٢) سورة المرسلات. ٤١ - ٤٤.
٣) التفسير القرآنى للقرآن ، جـ٧ ، ص ٦٩٥.
٤) سورة السجدة. ١٧.
٥) سنن الدارمى ، كتاب الرقاق ، باب ما أعد الله لعباده الصالحين ، جـ٢ ، ص٣٣٥ ، وأخرج نحوه مسلم فى كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، حديث ٢ ، جـ٤ ، ص ٢١٧٤.

تَعْمَلُونَ)[1]" [2].

كما ثبت عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لايقطعها واقرؤا إن شئتم (وظِلٍّ مَمْدُودٍ)[3]"[4].

كما ثبت عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مافى الجنة أحد إلا له زوجتان إنه ليرى مخ ساقهما من وراء سبعين حلة ما فيها من عزب"[5].

كما ثبت عن زيد بن أرقم[6] قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الرجل من أهل الجنة ليعطى قوة مائة رجل فى الأكل والشرب والجماع والشهوة " فقال رجل من اليهود : إن الذى يأكل ويشرب تكون منه الحاجة فقال : " يفيض من جلده عرق فإذا بطنه قد ضمر "[7].

كما صح عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( إن فى

---

١) سورة الأعراف. ٤٣.

٢) صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب فى دوام نعيم أهل الجنة ، حديث ٢٢ ، جـ٤ ، ص٢١٨٢ ، وأخرج نحوه الدارمى فى كتاب الرقاق ، باب من يدخل الجنة ينعم لا يبؤس ، جـ٢ ، ص ٣٣٢.

٣) سورة الواقعة. ٣٠.

٤) سنن ابن ماجة ، كتاب الزهد ، باب صفة الجنة ،جـ٢ ،ص ١٤٥٠ ، وأخرجه الدارمى فى سننه كتاب الرقاق ، باب فى أشجار الجنة ، جـ٢ ، ص ٣٣٨ .

٥) سنن الدارمى ، كتاب الرقاق ، باب فى صفة الحور العين ، جـ٢ ، ص٣٣٦ ، وأخرجه مسلم فى صحيحه بدون "ما فيها من عزب" كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب فى صفات الجنة وأهلها ، حديث ١٧ ، جـ٤ ، ص ٢١٨٠.

٦) زيد بن أرقم بن زيد الأنصارى الخزرجى ، هو الذى نقل حديث ابن سلول" لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل" إلى رسول الله وشكك بعض الصحابة فى إخباره لكن الله صدق أذنه ، يقال أول مشاهده المريسيع ، سكن الكوفة وتوفى بها سنة ثمان وستين . انظر : أسد الغابة ، جـ٢ ، ص١٢٤.

٧) سنن الدارمى كتاب الرقاق ، باب فى أهل الجنة ونعيمها ، جـ٢ ، ص ٣٣٤.

الجنة لسوقا [١] يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثوا فى وجوههم وثيابهم فيزدادوا حسنا وجمالا • فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا • فيقول لهم أهلوهم : والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا • فيقولون : وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا " [٢].

ومن تمام نعمة الله تعالى على المحسنين فى الجنة الرضوان •

صح عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : " قال النبى صلى الله عليه وسلم : "إن الله يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك ، والخير فى يديك ، فيقول هل رضيتم ؟ فيقولون وما لنا لانرضى يارب وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : يارب وأى شىء أفضل من ذلك ؟ فيقول أحلّ عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا " [٣].

## المطلب الثالث

## النظر إلى الله سبحانه وتعالى

قال تعالى : ( لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ) [٤].

إختلف المفسرون فى المراد من قوله ( لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ) ، فقال بعضهم الحسنى هى الجنة والزيادة هى النظر إلى الله تعالى •

---

١) المراد بالسوق مجمع لهم ، يجتمعون كما يجتمع الناس فى الدنيا فى السوق•

٢) صحيح مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب فى سوق الجنة وماينالون فيها من النعيم والجمال ، حديث ١٣ ، جـ٤ ، ص ٢١٧٨•

٣) فتح البارى ، صحيح البخارى ، كتاب التوحيد ، باب كلام الرب مع أهل الجنة ،جـ١٣ ،ص٤٨٧، وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الجنة وصفة نعيمها ،باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبدا ، حديث ٩ ، جـ٤ ، ص ٢١٧٦•

٤) سورة يونس• ٢٦•

وقال آخرون الحسنى واحدة من الحسنات بواحدة والزيادة التضعيف .

وقال آخرون الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة. وقال آخرون الزيادة مغفرة من الله ورضوان (٢) .

ولقد ذكر الطبرى بعد أن ساق الأقوال المختلفة السابقة أن أولى الأقوال بالصواب تفسير الحسنى بالجنة والزيادة أن يكرمهم بالنظر إليه وأن يعطيهم غرفا من لآلىء وأن يزيدهم غفرانا ورضوانا . لأن الله عمّ بقوله (وزيادة) الزيادات على الحسنى فلم يخصص منها شيئا دون شيء (٣) .

ولقد ذهب أهل السنة إلى أن المراد من قوله (وزيادة) رؤية الله تبارك وتعالى (٣) .

إن الأكل والشرب والجماع الذى يتمتع به أهل الجنة إنما هو جزاء الأعمال البدنية وأما الأعمال القلبية من المعرفة والإخلاص فلا جزاء لها سوى الإلتذاذ بلقاء الله تعالى والإستغراق فى بحار الجمال والجلال (٤) .

فالزيادة هى النظر إلى وجه الله الكريم وهو أعلى مراتب الكمال الروحانى الذى لايصل إليه المتقون المحسنون العارفون إلا فى الآخرة.

أدلة أهل السنة على ثبوت رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة:

أولا : القرآن الكريم :

قال تعالى : ( وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ) (٥) .

أى أن وجوه المؤمنين المخلصين يوم القيامة بهية متهللة من عظيم المسرة

---

١) انظر : تفسير الطبرى ، جـ١١ ، ص ٧٣ ـ ٧٦ .

٢) انظر : المصدر السابق ، جـ١١ ، ص ٧٦ .

٣) انظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، جـ١١ ، ص ٧٣ ، تفسير الرازى ، جـ١٧ ، ص ٨١ ، التسهيل لعلوم التنزيل ، جـ٢ ، ص٩٢ ، الجلالين ، ص١٧٢ ، تفسير المنار ، جـ١٢ ، ص٢٨٧ .

٤) انظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، جـ٢٠ ، ص٢١ .

٥) سورة القيامة . ٢٣ .

ومعنى كونها ناظرة إلى ربها أنها تراه تعالى مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه[(١)].

كما قال تعالى فى حق الكافرين ( كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ )[(٢)].

أى أن الكفار لايرون الله تعالى يوم القيامة ، فالرؤية خاصة بالمؤمنين يوم القيامة والحجاب فى هذه الآية مجاز عن عدم رؤية الكافرين لربهم[(٣)].

ثانيا : السنة المطهرة:

ولقد ورد فى السنة أحاديث كثيرة تثبت الرؤية منها :

عن صهيب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إذا دخل أهل الجنة الجنة قال : يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال : فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل" ثم تلى هذه الآية ( لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ )[(٤)]"[(٥)].

كما ثبت عن أبى هريرة أن الناس قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم هل نرى ربنا يوم القيامة فقال النبى صلى الله عليه وسلم هل تمارون فى رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ قالوا لا يارسول الله . قال : فهل تمارون فى الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا لا . قال : فإنكم ترونه كذلك "[(٦)].

---

١) انظر : روح المعانى ، ج٢٩ ، ص١٤٤ ، الجلالين ، ص٤٩٤.
٢) المطففين. ١٥.
٣) انظر : روح المعانى ، ج٣٠ ، ص ٧٣ ، الجلالين ، ص ٥٠٥.
٤) سورة يونس. ٢٦.
٥) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب إثبات رؤية المؤمنين فى الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ، حديث ٢٩٧ ، ج١ ، ص ١٦٣.
٦) سنن الدارمى ، كتاب الرقاق ، باب النظر إلى الله تعالى ، ج٢ ، ص ٣٢٦.

ثالثا : العقــل:

إن المعروف عند المسلمين أن كلمة الحسنى فى قوله ( الحسنى وزيادة ) هــى الجنة وما فيها من المنافع وإذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من الزيادة أمـرا مغايرا لكل مافى الجنة من المنافع وإلا لزم التكرار ٠ فالزيادة ما هى إلا الرؤية[1].

إنكار المعتزلة رؤية المؤمنين لله عز وجل فى الآخرة:

يعتقد المعتزلة أن رؤية المؤمنين ربهم سبحانه وتعالى فى الآخرة محالــة ولذلك فإنهم يفسرون الآيات التى تفيد ثبوت رؤية الله فى الآخرة على غير وجهها٠

فحينما تعرض الزمخشرى المعتزلى لتفسير قوله تعالى ( وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَــى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ )[2] ٠ قال : " والمعنى لايتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم كما كانوا فى الدنيا لايخشون ولايرجون إلا إياه "[3].

فلما كانت رؤية الله تعالى فى الآخرة محالة عند الزمخشرى صرف الآية عن وجهها وحملها ما لاتحتمل من المعانى٠

وحينما تعرض الزمخشرى لتفسير قوله تعالى : ( كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِــذٍ لَمَحْجُوبُونَ )[4].

قال : " وكونهم محجوبين عنه تمثيل للإستخفاف بهم وإهانتهم لأنه لايؤذن علــى الملوك إلا للوجهاء المكرمين لديهم ولايحجب عنهم إلا الأدنياء المهانون عندهم"[5].

وكذلك يرى المعتزلة أن الزيادة فى قوله تعالى : ( لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَــى وَزِيَادَةٌ )[6].

---

١) انظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، جـ١١ ، ص ٧٣ ، تفسير الرازى ، جـ١٧، ص٨١٠
٢) سورة القيامة٠ ٢٣٠
٣) الكشاف ، جـ٤ ، ص ١٦٥٠
٤) سورة المطففين٠ ١٥٠
٥) الكشاف ، جـ٤ ، ص ١٩٦٠
٦) سورة يونس٠ ٢٦٠

يجب أن تكون من جنس المزيد عليه ورؤية الله تعالى بعد تسليم جوازها ليست من جنس نعيم الجنة فالمراد من الزيادة ما يزيد على المثوبة من التفضل[(١)].

بطلان التفسير المعتزلي للزيادة:

" إن الزيادة إذا كان المزيد عليه مقدرا بمقدار معين وجب أن تكون من جنسه كما لو قال الرجل لغيره أعطيتك عشرة أمنان من الحنطة وزيادة. أما إذا كان غير مقدر كما لو قال أعطيتك الحنطة وزيادة لم يجب أن تكون الزيادة من جنس المزيد عليه والمذكور فى الآية لفظ الحسنى وهى الجنة وأنها مطلقة فالزيادة عليها شئ مغاير لكل مافى الجنة "[(٢)].

---

١) انظر : الكشاف ، جـ٢ ، ص ١٨٨ ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، جـ١١ ، ص ٧٣.

٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، جـ١١ ، ص ٧٣.

## المبحث الثالث
## الثمار الدنيوية والأخروية

ويشتمل هذا المبحث على ثلاثة مطالب وهى :

المطلب الأول : محبة الله تعالى للمحسنين .

المطلب الثانى : معية الله تعالى للمحسنين.

المطلب الثالث: رحمة الله تعالى للمحسنين.

## المطلب الأول
## محبة الله تعالى للمحسنين

ولقد ذكر سبحانه وتعالى فىكتابه الكريم أنه يحب المحسنين فى خمسة مواضع . وسوف يتناول الباحث هذه المواضع بالبيان حسب مايقتضيه المقام .

### الموضع الأول

( وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ "[1].

وفى هذه الآية يخبر سبحانه وتعالى أنه يحب المحسنين الذين يبذلون أموالهم بسخاء فى سبيل الله .

مناسبة الآية:

عن أبى أيوب الأنصارى قال :"نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه قال بعضنا لبعض سرا : إن أموالنا ضاعت وإن الله قد

---

١) سورة البقرة. ١٩٥.

أعز الإسلام فلو أقمنا فى أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها ؟ فأنزل الله يرد علينا ما قلناه "(١) ٠

فالآية تدل على النهى عن الإستسلام للهلكة وذلك بترك النفقة فى سبيل الله عند وجوب ذلك(٢) ٠

ويدخل تحت عموم هذه الآية كل مايمكن أن يسمى إهلاك للنفس مثل اليأس من رحمة الله ٠

قيل للبراء بن عازب(٣) فى هذه الآية :" أهو الرجل يحمل على الكتيبة؟ فقال لا : ولكنه الرجل يصيب الذنب فيلقى بيديه ويقول قد بالغت فى المعاصى ولافائدة من التوبة فييأس من الله فينهمك بعد ذلك فى المعاصى "(٤) ٠

وكذلك يدخل تحت عموم الآية التارك غزو المشركين وجهادهم فى حال وجوب ذلك عليه فهو ملق بيديه إلى التهلكة ٠

وهذه الآية وإن كانت تنتظم أمورا عدة إلا أن الأغلب فى تفسير الآية الحث على بذل المال فى سبيل الله(٥) ٠

إن الأمم لاتخدم رسالتها بالبخل وكراهية الإنفاق فى سبيل الله فالحرب تستهلك قناطير مقنطرة من الذهب والفضة فى إعداد القذائف وإحسان توجيهها وتدريب الجنود والشعوب على مواجهتها وتحمل آثارها ٠

---

١) المستدرك على الصحيحين ، كتاب التفسير ، جـ٢ ، ص ٢٧٥ ، وأخرجه بنحوه أبود اود فى سننه ، كتاب الجهاد ، باب فى قوله تعالى " ولاتلقوا بأيديكم إلى التهلكة " جـ٣ ، ص٢٧٠

٢) انظر : تفسير الطبرى ، جـ٢ ، ص ١١٩٠

٣) البراء بن عازب بن الحارث الأنصارى الأوسى ، رده رسول الله عن بدر لصغره وأول مشاهده أحد وقيل الخندق ، غزا مع رسول الله أربع عشرة غزوة ، نزل الكوفة وابتنى بها دارا ومات أيام مصعب بن الزبير ، سنة اثنتين وسبعين ٠ انظر : أسد الغابة ، جـ١ ، ص ٢٠٥ ، الإصابة فى تمييز الصحابة ، جـ١ ، ص ١٤٧٠

٤) الجامع لأحكام القرآن الكريم ، جـ٢ ، ص ٧٣٦٠

٥) انظر : تفسير الطبرى ، جـ٢ ، ص ١١٩٠

ولن يسلم لنا ـ نحن المسلمين ـ ديننا ولن تبقى لنا بلادنا إلا إذا توسعنا في الإنفاق الحربي وأحسنا تهيئة كل شيء لكسب المعركة[١] .

الموضع الثاني :

" وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ • فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ واللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ "[٢] .

وفي هذه الآية يخبر سبحانه وتعالى عن حبه للذين يجاهدون في سبيل الله تعالى ويلجأون إلى الله بالدعاء من أجل غفران ذنوبهم وتثبيتهم ونصرهم على عدوهم • وهذه الآية تشير إلى حقيقة الإحسان التي تتطلب الصمود والبسالة إلى الرمق الأخير كما تبين دائرة الإحسان الرحبة التي تشمل الفرد والمجتمع والدولة • إنه لن تقوم تربية راشدة في المجتمع إلا إذا غرسنا الإحسان في النفوس على أنه من محاب الله تعالى[٣] .

الموضع الثالث:

( وسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ والأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ • الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ والْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ والْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ واللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ )[٤] .

---

١) انظر : المحاور الخمسة للقرآن الكريم ، ص ١٩٧ .
٢) سورة آل عمران . ١٤٧ ـ ١٤٨ .
٣) انظر : المحاور الخمسة للقرآن الكريم ، ص ١٩٨ .
٤) سورة آل عمران . ١٣٣ ـ ١٣٤ .

الموضع الرابع:

( ولا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ واصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ )[١].

وفى هذه الآية يخبر سبحانه وتعالى عن حبه للمحسنين الذين يقابلون الإساءة بالعفو والإحسان .

قال ابن عباس : " إذا عفوت فأنت محسن وإذا كنت محسنا فقد أحبك الله "[٢].

وهذه الآية خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ـ الذى شاهد من خيانات اليهود لأمانة الكلمة وشرف العهد ما وصل حاضرهم بماضيهم ـ بأن يقبل هذه الجماعة القليلة التى أسلمت من اليهود وألا يأخذها بجريرة الكثرة منهم الذين كانوا على عداوة دائمة وحسد للنبى صلى الله عليه وسلم[٣].

الموضع الخامس :

( لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وأَحْسَنُوا واللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ )[٤].

وفى هذه الآية يخبر سبحانه وتعالى عن حبه للمحسنين الذين يتلقون أمر الله بالقبول والتصديق والعمل به ، ويثبتون على التصديق والعمل ولايقفون عند هذا الحد ولكن يتقربون إلى الله بنوافل الأعمال .

---

١) سورة المائدة، ١٣ .
٢) تفسير الرازى ، جـ١١ ، ص١٩٢ ، مراح لبيد ، جـ١ ، ص ١٩٦ .
٣) انظر : التفسير القرآنى للقرآن ، جـ٢ ، ص ١٠٥٥ .
٤) المائدة، ٩٣ .

مناسبة الآية :

" روى أبوبكر الأصم[(١)] أنه لما نزل تحريم الخمر قال أبوبكر يارسول الله كيف بإخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر وأكلوا القمار وكيف بالغائبين عنا فى البلاد لايشعرون بتحريم الخمر وهم يطعمونها فنزلت "[(٢)].

قال الطبرى : " فالإتقاء الأول هو الإتقاء بتلقى أمر الله بالقبول والتصديق والدينونة به والعمل،والإتقاء الثانى بالثبات على التصديق وترك التبديل والتغيير، والإتقاء الثالث هو الإتقاء بالإحسان والتقرب بنوافل الأعمال "[(٣)].

المراد من محبة الله تعالى للمحسنين

إن المحسنين هم خلفاء الله فى الأرض يقيمون سنته ويظهرون بأنفسهم وأعمالهم حكمته ولذلك فقد استحقوا محبة الله تعالى .

قال الرازى : "ومحبة الله تعالى للعبد عبارة عن إرادة إكرامه وإعزازه وتعظيمه، والحكم له بالثواب والجنة وذلك نهاية المطلوب "[(٤)].

وقال أبو السعود : " فإن محبة الله تعالى للعبد عبارة عن رضاه عنه وإرادة الخير به فهى مبدأ لكل سعادة "[(٥)].

فضل محبة الله للمحسنين:

عن أنس قال : " كان صبى على ظهر الطريق فمرّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم ومعه ناس فلما رأت أم الصبى القوم خشيت أن يُوطأ إبنها فحملته

---

١) أبوبكر الأصم هو عقبة بن عبدالله الأصم البصرى،قال فيه أبوحاتم لين الحديث ليس بقوى، وقال النسائى ليس بثقة وقال ابن عدى بعض أحاديثه مستقيمة وبعضها مالايتابع عليه . انظر : تهذيب التهذيب ، جـ٧ ، ص ٢٤٤.
٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، جـ٧ ، ص ٣٤.
٣) تفسير الطبرى ، جـ٧ ، ص ٢٤.
٤) تفسير الرازى ، جـ٩ ، ص ٢٨.
٥) تفسير أبى السعود ، جـ١ ، ص ٤٢٩.

فقالت إبني إبني، قال القوم يارسول الله ما كانت هذه ليلقى إبنها فى النـــار فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا الله يلقى حبيبه فى النار "(١).

كما صح عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن اللـه قال: من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحب إلـىّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببتـــه كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها، ورجلـــه التى يمشى بها، وإن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه، وما ترددت عــــن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته "(٢).

"وفى قوله (من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب) تهديد شديد لأن من حاربـه الله أهلكه وهو من المجاز البليغ لأن من كره من أحب الله خالف أمره ومن خالف الله عانده ومن عانده أهلكه، وإذا ثبت هذا فى جانب المعاداة ثبت فى جانـب الموالاة فمن والى أولياء الله أكرمه الله "(٣).

أما المراد من قوله: (كنت سمعه ... وبصره ... ويده ... ورجله ...) فقد "اتفـق العلماء ممن يعتد بقوله أن هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد وتأييده وإعانتـه، حتى كأنه سبحانه ينزل نفسه من عبده منزلة الآلات التى يستعين بها "(٤).

عن ابن عمر أن عمر خرج إلى المسجد يوما فوجد معاذ بن جبل عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبكى، فقال: مايبكيك يامعاذ؟ قال: يبكينى

---

١) المستدرك على الصحيحين، كتاب الإيمان، جـ١، ص ٥٨.
٢) صحيح البخارى، كتاب الرقاق، باب التواضع، جـ٥، ص ٢٣٨٥.
٣) فتح البارى، جـ١١، ص ٣٤٢ ـ ٣٤٣.
٤) المصدر السابق، جـ١١، ص ٣٤٤.

حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : " اليسير من الرياء شرك ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة ، إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا وإن حضروا لم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة "(١) .

## المطلب الثاني

## معية الله تعالى للمحسنين

ولقد ذكر سبحانه وتعالى معيته للمحسنين فى موضعين من كتابه وسوف يتناول الباحث هذين الموضعين بشىء من البيان :

الموضع الأول :

( إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ )(٢) .

قال الطبرى فى تفسير هذه الآية :

" يقول تعالى ذكره إن الله يامحمد مع الذين اتقوا الله فى محارمه فاجتنبوها وخافوا عقابه عليها فأحجموا عن التقدم عليها وهو مع الذين يحسنون رعاية فرائضه والقيام بحقوقه ولزوم طاعته فيما أمرهم ونهاهم عنه "(٣) .

وقوله تعالى ( الَّذِينَ اتَّقَوْا ) إشارة إلى التعظيم لأمر الله تعالى وقوله ( وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ) إشارة إلى الشفقة على خلق الله . وكمال سعادة الإنسان فى هذين الأمرين أى التعظيم لأمر الله تعالى والشفقة على خلقه(٤) .

---

١) المستدرك على الصحيحين ، كتاب الإيمان ، جـ١ ، ص٤ .
٢) سورة النحل . ١٢٨ .
٣) تفسير الطبرى ، جـ١٤ ، ص ١٣٤ .
٤) انظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، جـ١٤ ، ص١٣٣ ، مراح لبيد ، جـ١ ، ص ٤٧٠ ، فتح القدير جـ٣ ، ص ٢٠٤ .

قال بعض المشايخ " كمال الطريق صدق مع الحق وخلق مع الخلق "[١].

الموضع الثاني :

( وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ )[٢].

وفى هذه الآية أطلق سبحانه المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل مايجب مجاهدته من النفس الأمارة بالسوء والشيطان وأعداء الدين[٣].

قال الطبرى : " ليس الجهاد فى الآية قتال الكفار فقط بل هو نصر الدين والرد على المبطلين وقمع الظالمين ... ومنه مجاهدة النفوس فى طاعة الله وهو الجهاد الأكبر "[٤].

فإذا قهر الإنسان أهواء نفسه فهو مجاهد محسن .. وإذا انتصر لمظلوم فهو مجاهد محسن .. وإذا قال كلمة الحق ليدفع بها باطلا أو يسفه بها ضلالا فهو مجاهد محسن .. وإذا حمل السلاح وحارب تحت راية لا إله إلا الله فهو مجاهد محسن . فميادين الجهاد متعددة.

والمراد من قوله ( لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ) أى لنوفقنهم إلى سبل السير إلينا والوصول إلى جنابنا[٥].

فمن جاهد نفسه فى طاعة الله تعالى وفقه الله إلى طاعته ويسر له طريق الوصول إليه .

---

١) تفسير الرازى ، جـ٢٠ ، ص ١٤٥.
٢) سورة العنكبوت . ٦٩.
٣) انظر : الكشاف ، جـ٣ ، ص ٢١٣.
٤) الجامع لأحكام القرآن الكريم ، جـ٨ ، ص ٥٠٨١.
٥) انظر : تفسير البيضاوى ، ص ٥٣٤ ، تفسير أبى السعود ، جـ٤ ، ص ٢٦٧ ، فتح القدير جـ٤ ، ص ٢١٢.

قال إبراهيم بن أدهم[(١)] " هى - يعنى قوله ( والَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ) - فى الذين يعملون بما يعلمون "[(٢)] .

وقيل : " إن الذى نرى من جهلنا بما لانعلم إنما هو من تقصيرنا فيما نعلم"[(٣)] .

معية الله تعالى ومعناها :

ولقد جاءت معية الله تعالى فى بعض المواضع من كتابه عز وجل للناس جميعا ، كما جاءت معيته فى مواضع أخرى لأصناف مخصوصين .

أما معية الله تعالى للناس جميعا فوردت فى قوله تعالى :

( أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَافِى السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ مايَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ولَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَٰلِكَ ولَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم )[(٤)] .

وفى قوله : ( يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ ولايَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَايَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ )[(٥)] .

والمراد من هذه المعية العامة ، معية العلم والإحاطة بشؤون العباد فالله سبحانه وتعالى يحصيها عليهم وسوف ينبئهم بها ويحاسبهم عليها يوم القيامة[(٦)] .

---

١) إبراهيم بن أدهم بن منصور العجلى ، أبو إسحق البلخى الزاهد ، سكن الشام وهو ثقة مأمون صحيح الحديث . قال ابن حبان فى الثقات عنه : كان صابرا على الجهد والفقه والورع الدائم والسخاء الوافر إلى أن مات فى بلاد الروم سنة إحدى وستين ، انظر : تهذيب التهذيب ، جـ١ ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم ، جـ٨ ، ص ٥٠٨٠ ، فتح القدير ، جـ٤ ، ص ٢١٢ .

٣) الكشاف ، جـ٣ ، ص ٢١٣ .

٤) المجادلة ، ٧ .

٥) سورة النساء ، ١٠٨ .

٦) انظر : تفسير القرآن الكريم للشيخ شلتوت ، ص ٦٤٥ .

وأما معية الله تعالى فى كتابه لأصناف مخصوصين كالمحسنين والمتقين والصابرين فقد وردت فى نحو قوله تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ )[1] . وقوله : ( إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ )[2] .

ومعية الله تعالى للمتقين المحسنين معية معللة بصفتى التقوى والإحسان ، ومعناها أن كل من يجتنب ما ينبغى تركه ويحسن فعل ما يجب فعله فهو فى معية الله وحفظه وكلاءته[3] .

قال الطبرى : " وهو سبحانه معهم - يعني مع المحسنين - بالنصرة والمعونة والحفظ والهداية ومع الجميع بالإحاطة والقدرة وبين المعيتين بون "[4] .

ومعية الله للمحسنين حاصلة فى الدنيا والآخرة . فقد ذكر الخازن أن الله تعالى مع المحسنين بالنصرة والمعونة فى دنياهم وبالمغفرة والجنة فى عقباهم[5] .

ولقد فسر الخطيب معية الله للمحسنين بأنها معية القرب من ألطاف الله والتعرض لنفحات رحمته وإحسانه[6] .

## المطلب الثالث

## رحمة الله تعالى للمحسنين

قال تعالى : ( وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ )[7] .

وهذه الآية أشارت إلى أمرين الأول : مجانبة الفساد فى الأرض .

---

١) سورة النحل . ١٢٨ .
٢) سورة البقرة . ١٥٣ .
٣) انظر : تفسير القرآن الكريم للشيخ شلتوت ، ص ٦٤٥ .
٤) الجامع لأحكام القرآن الكريم ، جـ٨ ، ص ٥٠٨١ .
٥) انظر : مختصر تفسير الخازن ، جـ٢ ، ص ٩٣٥ .
٦) انظر : التفسير القرآني للقرآن ، جـ٤ ، ص ٤٠٢ .
٧) سورة الأعراف . ٥٦ .

والثانى : التوجه إلى الله تعالى بالدعاء جامعين بين حالى الخوف والرجاء .

ولقد اعتبرت الآية الذين يلتزمون بهذين الأمرين من المحسنين الذين هم أهل لرحمات الله تعالى فى الدنيا والآخرة.

ومعنى قوله تعالى : ( وَلَاتُفْسِدُوا فِى ٱلْأَرْضِ ) " لاتفسدوا شيئا فى الأرض فيدخل فيه المنع من إفساد النفوس بالقتل وبقطع الأعضاء ، وإفساد الأموال بالغصب والسرقة ووجوه الحيل، وإفساد الأديان بالكفر والبدعة ، وإفساد الأنساب بسبب الإقدام على الزنا واللواطة وسبب القذف ، وإفساد العقول بسبب شرب المسكرات "(١) .

والمراد من قوله ( بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ) أى بعد أن أصلحها الله بإرسال الرسل وإنزال الكتب وتقرير الشرائع(٢) .

والمراد من قوله ( وادْعُوهُ خَوْفاً وطَمَعاً ) أى ادعوه حال كونكم جامعين بين الخوف والرجاء ، فالخوف والرجاء جناحان يسير بهما المؤمن فى طريقه إلى الله تعالى .

قال تعالى (نَبِّئْ عِبَادِى أَنِّى أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ.وأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيم )(٣) .

وقال : ( وَيَدْعُونَنَا رَغَباً ورَهَباً )(٤) .

المراد من الرحمة :

ورحمة الله عز وجل عبارة عن الإفضال والإنعام على عباده وإيصال الخير لهم ودفع الضرر عنهم(٥) .

---

١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، جـ٨ ، ص ١٢٠ - ١٢١ ، تفسير الرازى ، جـ١٤ ، ص ١٣٩ .
٢) انظر : فتح القدير ، جـ٢ ، ص ٢١٣ ، تفسير أبى السعود ، جـ٢ ، ص ٢٥٦ .
٣) سورة الحجر . ٤٩ - ٥٠ .
٤) سورة الأنبياء . ٩٠ .
٥) انظر : مختصر تفسير الخازن ، جـ١ ، ص ٤٢٣ .

وذهب القرطبي إلى أن الرحمة هنا بمعنى الإحسان[(١)] . ولقد تبع محمد رشيد رضا القرطبي فيما ذهب إليه فقال : " والصواب أن معناها - يعني معنى الرحمة - الإحسان العام لأنها في هذا المقام صفة فعل لاصفة ذات إذ لامعنى لقرب الصفات الإلهية الذاتية من المخلوقين فيكون المعنى إن إحسان الله قريب من المحسنين ويؤكده ما فيه من التناسب بين الجزاء والعمل "[(٢)] .

والذي يراه الباحث أن إحسان الله تعالى إلى الإنسان أعم من الرحمة والرحمة في هذه الآية مقصودة .

قال صلى الله عليه وسلم : " الراحمون يرحمهم الرحمن ، إرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء "[(٣)] .

## معنى قرب الرحمة من المحسنين:

قال الخازن : " وكون الرحمة قريبة من المحسنين لأن الإنسان في كل ساعة من الساعات في إدبار عن الدنيا وإقبال على الآخرة وإذا كان كذلك كان الموت أقرب إليه من الحياة وليس بينه وبين رحمة الله التي هي الثواب في الآخرة إلا الموت وهو قريب من الإنسان "[(٤)] .

وهذا القول يشير إلى أن الرحمة العظيمة تصل المحسن في الآخرة ومما يؤكد ذلك ماصح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن لله مائة رحمة . أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام ، فبها يتعاطفون .

---

١) انظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ، جـ٤ ، ص ٢٦٦٣ .
٢) تفسير المنار ، جـ٨ ، ص ٤١٢ - ٤١٣ .
٣) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب الرحمة ، جـ٥ ، ص ٢٣١ .
٤) مختصر تفسير الخازن ، جـ١ ، ص ٤٢٣ ، انظر : تفسير الطبري ، جـ٨ ، ص ١٤٢ ، تفسير الرازي ، جـ١٤ ، ص ١٤٣ .

وبها يتراحمون ، وبها تعطف الوحش على ولدها ، وأخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة "(١).

ولاينفى قول الخازن ثبوت الرحمة للمحسنين فى الدنيا .

قال تعالى : ( وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ )(٢).

عن سلمان الفارسى : أنه كان فى عصابة يذكرون الله فمر بهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجاءهم قاصدا حتى دنا منهم فكفوا عن الحديث إعظاما لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ما كنتم تقولون فإنى رأيت الرحمة تنزل عليكم فأحببت أن أشارككم "(٣).

ورحمة الله تعالى لعباده واسعة فقد صح عن ابن عمر بن الخطاب أنه قال: "قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبى فإذا امرأة من السبى تبتغى إذا وجدت صبيا فى السبى أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته ، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار ؟" قلنا لا والله ! وهى تقدر على أن لاتطرحه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لَلَّهُ أرحم بعباده من هذه بولدها "(٤).

كما ثبت عن ابن عمر قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته فمرّ بقوم ، فقال : من القوم ؟ فقالوا : نحن المسلمون . وامرأة

---

١) صحيح مسلم ، كتاب التوبة ، باب سعة رحمة الله تعالى ، حديث ، ١٩ ، جـ٤ ، ص٢١٠٨.
٢) سورة الشورى. ٢٨.
٣) المستدرك على الصحيحين ، كتاب الإيمان ، جـ١ ، ص ١٢٢.
٤) صحيح مسلم ، كتاب التوبة ، باب فى سعة رحمة الله تعالى ، حديث ٢٢ ، جـ٤ ، ص٢١٠٩.

تَحْصِبُ تنورها ، ومعها ابنلها فإذا ارتفع وهج التنور ، تنحت به ، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : أنت رسول الله ؟ قال "نعم" قالت : بأبى أنت وأمى أليس الله بأرحم الراحمين ؟ قال "بلى" قالت : أ وليس الله بأرحم بعباده من الأم بولدها ؟ قال : " بلى" قالت : فإن الأم لاتلقى ولدها فى النار ! فأكب رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكى، ثم رفع رأسه إليها فقال : " إن الله لايعذب من عباده إلا المارد المتمرد الذى يتمرد على الله وأبى أن يقول لا إله إلا الله "(١).

إن رحمة الله تعالى ثابتة فى الدنيا والآخرة أما فى الدنيا فللمؤمن والكافر وأما فى الآخرة فهى خاصة بالمؤمنين(٢).

ولقد ذكر النيسابورى زعم المعتزلة أن رحمة الله لاتحصل للكافر والفاسق بارتكاب كبيرة ، ثم ردّ هذا الزعم بقوله إن المحسن من صدر عنه الإحسان ولو من بعض الوجوه فكل من آمن بالله تعالى وأقر بالتوحيد والنبوة فقد أحسن وكان أهلا لرحمة الله تعالى .

ثم إن الكافر أيضا فى رحمة الله ونعمته فى الدنيا بدليل قوله تعالى (وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ)(٣) (٤).

---

١) سنن ابن ماجة ، كتاب الزهد ، باب مايترجى من رحمة الله يوم القيامة ، حديث ٤٢٩٧ ، جـ٢ ص ١٤٣٦.

٢) انظر : تفسير الطبرى ، جـ١ ، ص ٤٣ ، تفسير ابن كثير ، جـ١ ، ص ٢١ ، تفسير البيضاوى ، ص٣.

٣) سورة البقرة. ١٢٦.

٤) انظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، جـ٨ ، ص١٢٣.

# الخاتمة

## الخاتمـــــــــة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على رسوله الأميـــن

وبعد : فهذه هى أهم النتائج والتوصيات التى توصلت إليها من خلال هذا البحـــث

أولا : أهم النتائج:

١) تدور مادة الإحسان فى مختلف مشتقاتها حول معنى الجمال والإتقان والإجـــادة والحسنة هى النعمة التى ينالها الفرد وتطلق على الخير والطاعة والمعـــروف . والحسن حالة معنوية وحسية جميلة تدعو إلى قبول الشىء وترغب الناس فيه وتكون فى الأقوال والأفعال والذوات والمعانى والمحسن هو المخلص فى عمله المرضى لربـه المتقن لصنعته والباذل للمعروف والخير والذى يدفع السيئة بالحسنة ولايظهر منه إلا كل حسن وطيب .

٢) الإحسان فى صورته العليا صفة رب العالمين لأن الإساءة تنتج عن الجهل والعجـــز والقصور وما إلى ذلك من أوصاف مستحيلة على الله .

٣) إنه لامحسن على الحقيقة إلا الله ، فقد خلق الله الإنسان فى أحسن صورة واستخلفه لعمارة الأرض بعد أن أقدره على عمارتها واستخلاص خيراتها وسخر له مافـــى السموات وما فى الأرض وتعهده بإرسال الرسل وإنزال الكتب كلما تعثر أو انحـرف فى طريقه إلى الله ، ثم إن الله سبحانه وتعالى فتح باب التوبة لكل مقبل عليه.

٤) إن القرآن الكريم هو الدستور الذى يحوى الأصول الأساسية للإسلام فى العقائـــد والعبادات والأخلاق والمعاملات . أما السنة فهى البيان النظرى والتطبيق العملى للقرآن الكريم .

٥) إن القرآن الكريم يفسر على مدى الزمن- بمعنى أن وجوه إعجازه تتكشف علـــى مر الأيام والعصور - فليس فهم القرآن حكرا على السابقين ... مع اعتزازنـــــا

العظيم بالتراث المجيد الذى خلفه لنا سلفنا الصالح من علماء التفسير والحديث ولايريد الباحث من هذا الكلام التساهل فى حمل الآيات القرآنية على الإكتشافات العلمية فإن هذا العمل منزلق خطر وقع فيه بعض العلماء أمثال محمد عبده وطنطاوى جوهرى ، مع يقيننا بأنه لاتتصادم حقيقة علمية مع آية قرآنية .

٦- إن الأنبياء إنما بعثوا بالإحسان إلى الخلق وهدايتهم ونفعهم فى معاشهم ومعادهم.

٧- إن الإحسان هو مرتبة الأولياء ، فالمحسنون هم خلفاء الله فى الأرض يقيمون سنته ويظهرون بأنفسهم وأعمالهم حكمته ولذلك فقد استحقوا محبة الله تعالى.

٨- الإحسان قيمة كبرى من القيم التى ينبغى أن يتحلى بها المسلم لينفع مجتمعه ويفيد أمته ، وهى قيمة طالما حثت عليها التعاليم الإسلامية وتخلق بها المسلمون الأوائل مهتدين بهدى القرآن وبهدى النبى الأمين ثم بسيرته صلى الله عليه وسلم التى أمروا بالتأسى بها .

٩- للإحسان مكانة عظيمة فى الإسلام ومما يؤكد ذلك ورود الإحسان فى القرآن الكريم تارة مقرونا بالإيمان وأخرى بالإسلام وثالثة بالعمل الصالح . وكذلك ورود الإحسان فى القرآن الكريم مقرونا بالقيم الروحية العليا مثل التقوى والصبر والعدل .

١٠- إن الاحسان المطلوب من المؤمنين يتعدى المعونة المادية للفقراء والمحتاجين إلى التهذيب فى المعاملة وفى النطق وفى المخاصمة وفى المواقف التى تتخذ قبل الآخرين .

١١- إن الإحسان شرط فى قبول العبادة . فلا تقبل العبادة بدون الإحسان ونعنى

بالإحسان شيئين : الأول / الإخلاص ٠ والثانى : أن يكون العمل الذي يتقرب به الإنسان إلى الله تعالى مشروعا٠ أى عملا صالحا ،أو حسنا فى ذاته٠

١٢- يستحب للمسلم أن يراعى فى عبادته الحسن الوصفى اللازم للحسن الذاتى ٠ فإحسان العبادة يقتضى إتقانها ومراعاتها بآدابها المصححة والمكملة ومراقبة الحق فيها واستحضار عظمته وجلاله حالة الشروع وحالة الإستمرار٠

١٣- والإحسان فى العمل هو أن يقارب شروطه المثلى شأن الحسن فى كل شئ وأحسن العمل أقربه إلى كمال تحقيق المعيار الذى يقتضيه الدين ٠ فالدين يفرض على كل عامل أن يتقن عمله بأن يقوم به على نحو يحقق فائدته ، وإذا باشر الإنسان عمله دون مبالاة بنتائجه أسفر ذلك عن فساد عظيم ٠

١٤- إن الأداء الحسن مطلوب فى كل شئ حتى فى قضاء الضرورة٠

١٥- إن كلمة الدعوة هى أحسن كلمة تقال فى الأرض ولكن مع العمل الصالح الذى يصدق الكلمة ومع الإستسلام لله الذى تتوارى معه الذات ٠

١٦- ودرء السيئة بالحسنة يكون غالبا فى المعاملات الشخصية بين المتماثلين فأما فى دين الله فلا ، إن المستعلى الغاشم لايجدى معه إلا الدفع الصارم والمفسدون فى الأرض لايجدى معهم إلا الأخذ الحاسم٠

١٧- إن أولى الناس بالإحسان الوالدين ، والمراد من الإحسان إليهما على وجه الإجمال أن يحبهما من صميم القلب ويراعى دقائق الأدب والخدمة ويبذل وسعه فى رضاهما ولايمنع أعز أوقاته وكرائم أمواله عنهما ويجتهد فى تنفيذ وصاياهما ويذكرهما فى صالح دعائه٠

١٨- إن التوجيه إلى البر والإحسان يبدأ بالوالدين ثم بذوى القربى ثم يمتد منها إلى رعاية الأسرة الإنسانية الكبيرة ، فدائرة الإحسان تتسع لتشمل كل فرد في الدولة الإسلامية حتى أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن فى حكمهم .

١٩- لقد أوصى الإسلام بأهل الكتاب خيرا ولقد امتثل المسلمون الأوائل وصايا الإسلام فى الإحسان إلى أهل الكتاب غير أن صنيعهم هذا لم يقابل بحمد ولاتقدير ، فلم يكف اليهود فى المدينة عن الكيد للدولة الإسلامية فقد كانوا عقارب وحيات تضمر المكر والخيانة.

٢٠- إنه لن يسلم للعرب ولجمهور المسلمين دينهم ولن تبقى لهم بلادهم إلا إذا أحسنوا تهيئة كل شئ لكسب المعركة.

٢١- إن الجهاد الإسلامى حرب شرعية عادلة تهدف الخير للإنسانية ، شريفة فى بدئها ووسائلها وانتهائها ولاتستهدف فتحا ماديا أو توسعا إقليميا أو استعمارا بغيضا .

٢٢- إن أسباب التقوى والإحسان إن لم تتيسر فى أرض وجبت الهجرة إلى أرض يتيسر ذلك فيها فالهجرة سنة الأنبياء والصالحين ولاعذر للإنسان فى التفريط .

٢٣- إن المؤمن المحسن ليشعر بالسعادة العظيمة إذا واسى محروما أو نصر ضعيفا أو آمن مروعا قلقا أو آوى هائما أو أحصن عرضا أو حقن دما .

٢٤- إن جميع الرغائب الأرضية التى يتعلق بها كثير من الناس ويظنون أنها تحقق لهم السعادة هى مجرد متاع لاوزن له أمام ما أعده الله للمحسنين فى الآخرة.

٢٥- ثبوت رؤية المحسنين ربهم فى الجنة بالأدلة النقلية والعقلية.

ثانيا : التوصيــــات:

١) يوصى الباحث بأن تشكل لجان من العلماء من أجل دراسة الفكر الصوفى وتنقيته مما نسب إليه من فلسفات عقيمة .

إن التصوف الإسلامى الخالص هو الذى لايخرج فى مفهومه عن الإحسان الذى عبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " هذا التصوف هو الذى ينبغى أن نحمل عليه أنفسنا وندعو الناس إليه .

إنه من الواجب علينا أن نقيم دولة الإسلام أولا فى أنفسنا ، فإذا قامت دولة الإسلام فى أنفسنا سهل إقامتها فى أرض الواقع " إِنَّ اللَّهَ لَايُغَيِّرُ مَابِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِم "(١) .

٢) إن التأخر الذى لحق المسلمين فى هذا العصر هو نتيجة طبيعية لمجانبية الإحسان بمفهومه المعنوى والمادى الواسع ولذلك فإن الباحث يوصى العلماء بأمرين :

الأول : تنبيه الشعوب إلى ضرورة البناء العقائدى والأخلاقى.

والثانى: تنبيه الشعوب إلى الإعتماد على الذات واستغلال خيرات العالم الإسلامى وإحسان توجيهها .

فالعالم الإسلامى طافح بالخيرات مشحون بالقوى غير أن سنة الله فى الكون قضت أن على الإنسان السعى ، فإن الأرض لاتنشق عن خيرها ولايهبط النعيم من السماء دون سعى الإنسان . إن استغلال الإنسان لخيرات العالم إحسان ، وعدم استغلاله لها إساءة وكفران لهذه النعم ، وهو محاسب على هذا القصور .

هذه هى مجمل النتائج والتوصيات التى توصلت إليها من خلال هذا البحث وإنى لأرجو الله سبحانه وتعالى أن ينفع بها وأن يجعل خير أعمالنا خواتيمها .

---

١) سورة الرعد . ١١ .

# الفهارس

أولاً : فهرس الآيات القرآنية .

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية .

ثالثاً: فهرس الأعلام .

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع .

خامساً: فهرس الموضوعات .

## أولا : فهرس الآيـــات القرآنيـــة

| الرقم | الآيــة | رقمها | السورة | الصفحــة |
|---|---|---|---|---|
| ١ | إنما نحن مستهزؤن الله يستهزىء بهم | ١٤ـ ١٥ | البقرة | ٩٥ |
| ٢ | وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات | ٢٢ | " | ٤٥ |
| ٣ | الذين ينقضون عهد الله | ٢٧ | " | ١٩٤ |
| ٤ | هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعا | ٢٩ | " | ٤٩ |
| ٥ | وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض | ٣٠ | " | ٢٧ ، ٣٩ |
| ٦ | وعلم آدم الأسماء كلها | ٣١ | " | ٣٠ |
| ٧ | وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم | ٣٤ | " | ٢٧ ، ٣٠ |
| ٨ | وإذ نجيناكم من آل فرعون | ٤٩ـ ٥٠ | " | ٢٩٩ |
| ٩ | أفتطمعون أن يؤمنوا لكم | ٧٥ | " | ٦٠ |
| ١٠ | وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل | ٨٣ | " | ١٣٥ |
| ١١ | وقولوا للناس حسنا | ٨٣ | " | ١١٣ |
| ١٢ | ودّ كثير من أهل الكتاب لويردونكم | ١٠٩ | " | ٢٥٥ |
| ١٣ | وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو | ١١١ـ١١٢ | " | ٢٥٤ |
| ١٤ | بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن | ١١٢ | " | ١٣،٩٩،٣٠٥ |
| ١٥ | ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى | ١٢٠ | " | ٢٥٥ |
| ١٦ | ومن كفر فأمتعه قليلا | ١٢٦ | " | ٣٣٣ |
| ١٧ | كونوا هودا أو نصارى تهتدوا | ١٣٥ | " | ٩٤ |
| ١٨ | صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة | ١٣٨ | " | ٩٤ |
| ١٩ | وكذلك جعلناكم أمة وسطا | ١٤٣ | " | ٧١ ، ١١٢ |
| ٢٠ | إن الله مع الصابرين | ١٥٣ | " | ٣٢٩ |
| ٢١ | يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص | ١٧٨ | " | ٢٣٠ |
| ٢٢ | فمن كان منكم مريضا أو على سفر | ١٨٤ | " | ٦٧ |
| ٢٣ | وعلى الذين يطيقونه فدية | ١٨٤ | " | ٦٧ |
| ٢٤ | يريد الله بكم اليسر | ١٨٥ | " | ٦١ |
| ٢٥ | أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم | ١٨٧ | " | ٦٨ |
| ٢٦ | هن لباس لكم وأنتم لباس لهن | ١٨٧ | " | ١٥٥ |
| ٢٧ | يسئلونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس | ١٨٩ | " | ٤٤ ، ١٢٧ |
| ٢٨ | وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم | ١٩٠ | " | ٢٦٢ |
| ٢٩ | وأنفقوا فى سبيل الله | ١٩٥ | " | ١٠٨ ، ٣٢٠ |
| ٣٠ | والله لايحب الفساد | ٢٠٥ | " | ١٠٩ |

| الرقم | الآيـــــة | رقمها | السورة | الصفحة |
|---|---|---|---|---|
| ٣١ | كان الناس أمة واحدة | ٢١٣ | البقرة | ٥٦ |
| ٣٢ | ويسئلونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير | ٢٢٠ | " | ٢٠١ |
| ٣٣ | ولأمة مؤمنة خير من مشركة | ٢٢١ | " | ٢٨٢ |
| ٣٤ | للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر | ٢٢٦-٢٢٧ | " | ١٧٤ |
| ٣٥ | الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان | ٢٢٩ | " | ١٧١ |
| ٣٦ | فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف | ٢٣١ | " | ١٧٢ |
| ٣٧ | وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به | ٢٣١ | " | ١٢١ |
| ٣٨ | وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن | ٢٣٢ | " | ١٧٣ |
| ٣٩ | حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى | ٢٣٨ | " | ٦٣ |
| ٤٠ | من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا | ٢٤٥ | " | ٨٨ |
| ٤١ | ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه | ٢٥٨ | " | ١٢٤ |
| ٤٢ | يؤتى الحكمة من يشاء | ٢٦٩ | " | ١٢٢ |
| ٤٣ | ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا | ٢٦٩ | " | ١٢١ |
| ٤٤ | للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله | ٢٧٣ | " | ٢٠٤ |
| ٤٥ | وأحل الله البيع وحرم الربا | ٢٧٥ | " | ٢٤٨ |
| ٤٦ | يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا | ٢٧٨-٢٧٩ | " | ٢٤٩ |
| ٤٧ | وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة | ٢٨٠ | " | ٢٤٩،٢٣ |
| ٤٨ | واتقوا الله ويعلمكم الله | ٢٨٢ | " | ٢٩٤،١٢٢ |
| ٤٩ | وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله | ٢٨٤-٢٨٦ | " | ٦٢ |
| ٥٠ | لايكلف الله نفسا إلا وسعها | ٢٨٦ | " | ١٥٨ |
| ٥١ | ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا | ٢٨٦ | " | ز |
| ٥٢ | زين للناس حب الشهوات من النساء | ١٤ | آل عمران | ٢٨٣ |
| ٥٣ | قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا | ١٥ | " | ٢٨٤ |
| ٥٤ | ومكروا ومكر الله | ٥٤ | " | ٩٥ |
| ٥٥ | لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون | ٩٢ | " | ١٩٦ |
| ٥٦ | ولله على الناس حج البيت | ٩٧ | " | ٦٩ |
| ٥٧ | إن تمسسكم حسنة تسؤهم | ١٢٠ | " | ٦ |
| ٥٨ | وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة | ١٣٣-١٣٤ | " | ٣٢٢ |
| ٥٩ | الذين ينفقون فى السراء والضراء | ١٣٤ | " | ٢٣،٢١ |
| ٦٠ | والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم | ١٣٥ | " | ٢٠ |
| ٦١ | وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا | ١٤٧-١٤٨ | " | ٣٢٢،١٠٨ |

| الرقم | الآيـــــة | رقمها | السورة | الصفحـــة |
|---|---|---|---|---|
| ٦٢ | ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك | ١٥٩ | آل عمران | ١١٣ |
| ٦٣ | الذين استجابوا لله والرسول | ١٧٢ | | ٣٠٦ |
| ٦٤ | يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم | ١ | النساء | ١٥٣،٣٠ |
| ٦٥ | وآتوا اليتامى أموالهم | ٢ | " | ٢٠٢ |
| ٦٦ | فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة | ٣ | " | ١٥٦ |
| ٦٧ | وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح | ٦ | " | ٢٠٠ |
| ٦٨ | وليخش الذين لوتكركوا من خلفهم ذرية | ٩ | " | ٢٠٢ |
| ٦٩ | إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما | ١٠ | " | ٢٠٢ |
| ٧٠ | وعاشروهن بالمعروف | ١٨ | " | ١٦٤ |
| ٧١ | يا أيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء | ١٩ | " | ١٥٤ |
| ٧٢ | ولاتعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن | ١٩ | " | ١٥٤ |
| ٧٣ | يريد الله أن يخفف عنكم | ٢٨ | " | ٦١ |
| ٧٤ | إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم | ٣١ | " | ٧٩ |
| ٧٥ | الرجال قوامون على النساء | ٣٤ | " | ١٦٠ |
| ٧٦ | واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا | ٣٦ | " | ٢٨٨،١٣٦،١٢٩ |
| ٧٧ | وبالوالدين إحسانا وبذى القربى | ٣٦ | " | ٢٢٦،٢٢٠،٢٠٩،٢٠٥ |
| ٧٨ | إن الله لايظلم مثقال ذرة | ٤٠ | " | ٨٤ |
| ٧٩ | وإن تك حسنة يضاعفها | ٤٠ | " | ٨٨ |
| ٨٠ | ومن الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه | ٤٦ | " | ٦٠ |
| ٨١ | فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة | ٥٤ | " | ١٢١ |
| ٨٢ | لايستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر | ٥٩ | " | ٣١١ |
| ٨٣ | فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم | ٦٥ | " | ٢٣١ |
| ٨٤ | إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم | ٩٧ | " | ٣٠٣ |
| ٨٥ | إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق | ١٠٥ | " | ٢٥٧ |
| ٨٦ | يستخفون من الناس ولايستخفون من الله | ١٠٨-١٠٩ | " | ٣٢٨،٢٥٧ |
| ٨٧ | وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا | ١١٨-١١٩ | " | ٢٧٣ |
| ٨٨ | من يعمل سوء يجز به | ١٢٣ | " | ٨٢ |
| ٨٩ | ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله | ١٢٥ | " | ٩٩ |
| ٩٠ | وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا | ١٢٨ | " | ١٦٨ |
| ٩١ | وأحضرت الأنفس الشح | ١٢٨ | " | ١٦٩ |
| ٩٢ | إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا | ١٣٥ | " | ٢٤٥ |
| ٩٣ | يخادعون الله وهو خادعهم | ١٤٢ | " | ٩٥ |

| الرقم | الآيـــــة | رقمها | السورة | الصفحـــة |
|---|---|---|---|---|
| ٩٤ | إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار | ١٤٥ | النساء | ٨٥ |
| ٩٥ | رسلا مبشرين ومنذرين | ١٦٥ | " | ٥٤ |
| ٩٦ | يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم | ١٧١ | " | ٧٠ |
| ٩٧ | وتعاونوا على البر والتقوى | ٢ | المائدة | ١٨٥ |
| ٩٨ | فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم | ٣ | " | ٧٣ |
| ٩٩ | اليوم أحل لكم الطيبات | ٥ | " | ٢٥٢ |
| ١٠٠ | وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحدكم من الغائط | ٦ | " | ٦٣ |
| ١٠١ | مايريد الله ليجعل عليكم فى الدين من حرج | ٦ | " | ٦٠ |
| ١٠٢ | ولايجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا | ٨ | " | ٢٥٨ |
| ١٠٣ | ولاتزال تطلع على خائنة منهم | ١٣ | " | ٣٢٣،٢٥٤ |
| ١٠٤ | إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور | ٤٤ | " | ٥٥ |
| ١٠٥ | ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون | ٤٤ | " | ٢٣٢ |
| ١٠٦ | ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون | ٤٥ | " | ٢٣٢ |
| ١٠٧ | وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم | ٤٦ | " | ٥٦ |
| ١٠٨ | ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون | ٤٧ | " | ٢٣٢ |
| ١٠٩ | وأنزلنا إليك الكتاب بالحق | ٤٨ | " | ٥٨ |
| ١١٠ | وأن احكم بينهم بما أنزل الله | ٤٩ | " | ٢٣١ |
| ١١١ | أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما | ٥٠ | " | ٢٣٣ |
| ١١٢ | فأثابهم الله بما قالوا جنات | ٨٥ | " | ٣٠٨ |
| ١١٣ | ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح | ٩٣ | " | ٣٢٣ |
| ١١٤ | وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين | ٤٨ | الأنعام | ٥٤ |
| ١١٥ | لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار | ١٠٣ | " | ٢٤ |
| ١١٦ | ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله | ١٠٨ | " | ١١٥ |
| ١١٧ | إن الذين يكسبون الإثم يسيجزون ماكانوا يقترفون | ١١٣ | " | ٨٨ |
| ١١٨ | وهو الذى أنشأ جنات معروشات | ١٤١ | " | ٥٠ |
| ١١٩ | قل لا أجد فيما أوحى إلىّ محرما على طاعم | ١٤٥ | " | ٧٣ |
| ١٢٠ | قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم | ١٥١ | " | ١٣٦ |
| ١٢١ | ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن | ١٥٢ | " | ١٩٩ |
| ١٢٢ | من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها | ١٦٠ | " | ٨٧ |
| ١٢٣ | ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها | ١٦٠ | " | ٨٩ |

| الرقم | الآيـــــــة | رقمها | السورة | الصفحة |
|---|---|---|---|---|
| ١٥٣ | ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا | ١٠٣ | يونس | ٢٩٥ |
| ١٥٤ | ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم | ١٤٠ | يونس | ٤٠ |
| ١٥٥ | إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم | ٣٨ | هود | ٩٦ |
| ١٥٦ | هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها | ٦١ | " | ٤٠ |
| ١٥٧ | ولاتركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار | ١١٣ | " | ٢ |
| ١٥٨ | وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل | ١١٤ | " | ٧٧،٢ |
| ١٥٩ | واصبر فإن الله لايضيع أجر المحسنين | ١١٥ | " | ١٤،٢ |
| ١٦٠ | ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما | ٢٢ | يوسف | ٢٩٢ |
| ١٦١ | وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه | ٢٣ | " | ١٨٠ |
| ١٦٢ | قال معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى | ٢٣ | " | ١٨٠ |
| ١٦٣ | ولقد راودته عن نفسه فاستعصم | ٣٢ | " | ١٨١ |
| ١٦٤ | ربّ السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه | ٣٣ | " | ١٨١،١١١ |
| ١٦٥ | إنا نراك من المحسنين | ٣٦ | " | ٦ |
| ١٦٦ | وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض | ٥٦ | " | ٢٩٧ |
| ١٦٧ | نصيب برحمتنا من نشاء | ٥٦ | " | ٩٠ |
| ١٦٨ | ولانضيع أجر المحسنين | ٥٦ | " | ٥ |
| ١٦٩ | قالوا أئنك لأنت يوسف | ٩٠ | " | ٢٩٨ |
| ١٧٠ | إنه من يتق ويصبر فإن الله لايضيع أجر المحسنين | ٩٠ | " | ١٤ |
| ١٧١ | وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن | ١٠٠ | " | ٤ |
| ١٧٢ | ولكل قوم هاد | ٧ | الرعد | ٥٤ |
| ١٧٣ | والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل | ٢١ | " | ١٣٠ |
| ١٧٤ | والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم | ٢٢ | " | ١٤ |
| ١٧٥ | والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه | ٢٥ | " | ١٩٤ |
| ١٧٦ | وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه | ٤ | إبراهيم | ٥٧،٥٤ |
| ١٧٧ | وآتاكم من كل ما سألتموه | ٣٤ | " | ٤٨ |
| ١٧٨ | إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون | ٩ | الحجر | ٥٨،٥٥ |
| ١٧٩ | ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حماء مسنون | ٢٦ | " | ٢٩ |
| ١٨٠ | وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا | ٢٨-٢٩ | " | ٢٩ |
| ١٨١ | نبيء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم | ٤٩-٥٠ | " | ٣٣٠ |
| ١٨٢ | والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع | ٥ | النحل | ٥٠ |

| الرقم | الآيـــــــــة | رقمها | السورة | الصفحـــــة |
|---|---|---|---|---|
| ٢١٤ | قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن | ١١٠ | الإسراء | ٢٤ |
| ٢١٥ | إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات | ٣٠ | الكهف | ١٢ |
| ٢١٦ | وأما السفينة فكانت لمساكين | ٧٩ | " | ٢٠٥ |
| ٢١٧ | وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين | ٨٠ | " | ٢٨٣ |
| ٢١٨ | أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه | ١٠٥ | " | ٨٤ |
| ٢١٩ | فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا | ١١٠ | " | ٩٧ |
| ٢٢٠ | وآتيناه الحكم صبيا | ١٢ | مريم | ١٢١ |
| ٢٢١ | واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا | ٤١ـ٤٨ | " | ١٢٤ |
| ٢٢٢ | يا أبت لم تعبد ما لايسمع ولايبصر | ٤٢ | " | ١٤٠ |
| ٢٢٣ | وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا | ٧٣ـ٧٤ | " | ٢٨٤ |
| ٢٢٤ | وألقيت عليك محبة منى | ٣٩ | طه | ٥٣ |
| ٢٢٥ | فقولا له قولا لينا | ٤٤ | " | ١١٣ |
| ٢٢٦ | منها خلقناكم وفيها نعيدكم | ٥٥ | " | ٢٨ |
| ٢٢٧ | ونضع الموازين القسط ليوم القيامة | ٤٧ | الأنبياء | ٨٦ |
| ٢٢٨ | قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم | ٦٨ـ٧٠ | " | ٢٩٦ |
| ٢٢٩ | فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة | ٥ | الحج | ٣٣ |
| ٢٣٠ | ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض | ٤٠ | " | ٢٦٠ |
| ٢٣١ | أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها | ٤٦ | " | ٤٩ |
| ٢٣٢ | ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء | ٦٣ | " | ٤٥ |
| ٢٣٣ | وما جعل عليكم فى الدين من حرج | ٧٨ | " | ٦٠ |
| ٢٣٤ | ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين | ١٢ـ١٤ | المؤمنون | ٣٢ |
| ٢٣٥ | ثم خلقنا النطفة علقة | ١٤ | " | ٣٢ |
| ٢٣٦ | فخلقنا العلقة مضغة | ١٤ | " | ٣٣ |
| ٢٣٧ | ثم أنشأناه خلقا آخر | ١٤ | " | ٣٣ |
| ٢٣٨ | وأنزل من السماء ماء بقدر | ١٨ | " | ٤٥ |
| ٢٣٩ | ثم أرسلنا رسلنا تترا | ٤٤ | " | ٥٤ |
| ٢٤٠ | ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض | ٧١ | " | ٥٢ |
| ٢٤١ | إدفع بالتى هى أحسن السيئة | ٩٦ | " | ١١٦،٧ |
| ٢٤٢ | ولايأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى | ٢٢ | النور | ١٩٦ |
| ٢٤٣ | وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون | ٣١ | " | ٧٤ |
| ٢٤٤ | ولاتكرهوا فتياتكم على البغاء | ٣٣ | " | ٢٢١ |

| الرقم | الآيــــــة | رقمها | السورة | الصفحة |
|---|---|---|---|---|
| ٣٣٧ | وفي السماء رزقكم وما توعدون | ٢٢ | الذاريات | ٤٥ |
| ٣٣٨ | هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين | ٢٤ـ٢٨ | " | ٢١٦ـ٢١٧ |
| ٣٣٩ | وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون | ٥٦ | " | ٤٢،٩٣ |
| ٣٤٠ | ولله مافي السموات وما في الأرض | ٣١ | النجم | ٩٠ |
| ٣٤١ | ليجزى الذين أساؤا بما عملوا | ٣١ـ٣٢ | " | ٢٠ |
| ٣٤٢ | أم لم ينبأ بما في صحف موسى | ٣٦ـ٤٢ | " | ٥٦ |
| ٣٤٣ | خلق الإنسان علمه البيان | ٣ـ٤ | الرحمن | ٣٠ |
| ٣٤٤ | ولمن خاف مقام ربه جنتان | ٤٦ ـ ٦٠ | " | ٣١٢ |
| ٣٤٥ | وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس | ٢٥ | الحديد | ٤٨ |
| ٣٤٦ | الذين يظاهرون منكم من نسائهم | ٢ | المجادلة | ١٧٥ |
| ٣٤٧ | ألم تر أن الله يعلم مافي السموات وما في الأرض | ٧ | " | ٣٢٨ |
| ٣٤٨ | وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا | ٧ | الحشر | ٥٤ |
| ٣٤٩ | لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين | ٨ | الممتحنة | ١٣٩ |
| ٣٥٠ | لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين | ٨ـ٩ | " | ٢٥٢ |
| ٣٥١ | وصوركم فأحسن صوركم | ٣ | التغابن | ٣٥ |
| ٣٥٢ | إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم | ١٤ | " | ٢٨٣ |
| ٣٥٣ | فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف | ٢ | الطلاق | ١٧٢ |
| ٣٥٤ | لينفق ذو سعة من سعته | ٧ | " | ١٥٨ |
| ٣٥٥ | يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا | ٦ | التحريم | ١٧٥ |
| ٣٥٦ | ماترى في خلق الرحمن من تفاوت | ٣ | الملك | ٢٦ |
| ٢٥٧ | ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح | ٥ | " | ٤٤ |
| ٣٥٨ | هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا | ١٥ | " | ٤٥ |
| ٣٥٩ | خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه | ٣٠ ـ ٣٤ | الحاقة | ٢٠٧ |
| ٣٦٠ | إن الإنسان خلق هلوعا | ١٩ـ٢١ | المعارج | ٥٢ |
| ٣٦١ | وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة | ٢٣ | القيامة | ٣١٦،٣١٨ |
| ٣٦٢ | ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا | ٨ | الإنسان | ٢٧١ |
| ٣٦٣ | إن المتقين في ظلال وعيون | ٤١ـ٤٤ | المرسلات | ٣١٣ |
| ٣٦٤ | الذى خلقك فسواك فعدلك | ٧ | الإنفطار | ٣٥ |
| ٣٦٥ | ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون | ١ ـ ٥ | المطففين | ٢٤٢ |
| ٣٦٦ | كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون | ١٥ | " | ٣١٧ـ٣١٨ |
| ٣٦٧ | قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى | ١٤ـ١٩ | الأعلى | ٥٦ |
| ٣٦٨ | إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى | ٢٠ | الليل | ١٠٠ |

## ثانيا : فهرس الأحاديث النبوية

## ثالثا : فهرس الأعلام

## رابعـــا : فهرس المصـــادر والمراجـــع

**القرآن الكريـــم:**


١) آثار الحرب في الفقه الإسلامي : دراسة مقارنة ، د/وهبة الزحيلي ، المكتبة الحديثة ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ .

٢) الأحكام السلطانية في الولايات الدينية : تأليف أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصـــري البغدادي الماوردي ( ٣٧٠ - ٤٥٠هـ ) ، خرّج أحاديثه وعلق عليها خالد عبداللطيف السبع العلمـــي ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٣) أحكام القرآن : لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي ، دار الفكر ، تحقيق علي محمد البيجاوي ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٤) إحياء علوم الدين : تصنيف الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالـــي ، المتوفى سنة ٥٠٥هـ ، دار المعرفة بيروت ، بدون تاريخ.

٥) أخبار عمر وعبدالله بن عمر : تأليف علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي ، دار الفكر بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م.

٦) أخلاقنا الإجتماعية : مصطفى حسني السباعي، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢هـ .

٧) أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن : د. مصلح سيد بيومي ، المكتبة التوفيقية ، الطبعـة الثالثة ، ١٣٧٩هـ - ١٩٧٩م.

٨) أسد الغابة في معرفة الصحابة : لعز الدين بن الأثير ، أبي الحسن علي بن محمـــد الجزري (٥٥٥ - ٦٣٠هـ ) دار الفكر ، بدون تاريخ .

٩) الإسلام الدين الفطري الأبدي : المبلغ الإسلامي سماحة العلامة أبوالنصر مُبشـر الطرازي الحسيني ، كبير علماء تركستان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

١٠) الإسلام كما ينبغي أن نعرفه : د. محمد شامة ، مكتبة وهبة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١١) إسلامنا : السيد سابق، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

١٢) الإسلام وتربية الإنسان : إبراهيم سعادة ، مكتبة المنار ، الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٣) الإصابة فى تمييز الصحابة : تأليف شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على بن محمد بن على الكنانى العسقلانى المصرى الشافعى المعروف بابن حجر رحمه الله (٧٧٣ - ٨٥٢) ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٤) إقتصادنا : محمد باقر الصدر ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، الطبعة الرابعة عشر ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١٥) أنبياء الله : أحمد بهجت ، دار الريان للتراث ، الطبعة الرابعة عشر ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٦) الإيمان ، أثره فى حياة الإنسان : د. حسن الترابى ، منشورات العصر الحديث ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٤م.

١٧) الإيمان، أركانه حقيقته نواقضه : د. محمد نعيم ياسين ، ١٣٩٨هـ - ١٩٨٧م ، الطبعة الأولى .

١٨) الإيمان والحياة : د. يوسف القرضاوى ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة السابعة ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١٩) البداية والنهاية : لابن كثير ، مكتبة المعارف ، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

٢٠) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخبار فى شرح جوامع الأخبار : الشيخ / عبدالرحمن بن ناصر السعدى ، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ١٤٠٥هـ .

٢١) تاريخ الطبرى المسمى تاريخ الأمم والملوك : لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، (٢٢٤ - ٣١٠هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار سويدان ، بيروت ، بدون تاريخ .

٢٢) التصاريف ، تفسير القرآن بما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه : يحيى بن سلام ، ٧٤٢ - ٨١٥ ، قدمت له وحققته هند شلبى ، الشركة التونسية للتوزيع ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٩م .

٢٣) التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام : محمد الغزالى ، دار الكتب الحديثة ، بدون تاريخ .

٢٤) تفسير أبى السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : دار الفكر ، بدون تاريخ .

٢٥) تفسير ابن باديس فى مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير : للإمام العلامة عبدالحميد بن باديس ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ، جمع وترتيب وإعداد وتعليق محمد الصالح رمضان ، أستاذ / بوزارة التربية الجزائرية ، وتوفيق محمد شاهين/أستاذ بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .

٢٦) التفسير الإسلامى للتاريخ : عماد الدين خليل ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٥م .

٢٧) تفسير البحر المحيط : محمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى ، دار الفكر العربى ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٢٨) تفسير البيضاوى المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل : للإمام ناصر الدين أبو الخير عبد الله الشيرازى البيضاوى ، دار الفكر ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

٢٩) تفسير التحرير والتنوير : لسماحة الشيخ العلامة الامام محمد بن الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤م .

٣٠) تنفسير الجلالين : للإمامين الجليلين العلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلى والشيخ المتبحر جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر السيوطى ، مطبعة محمد على صبح وأولاده ، مصر ، بدون تاريخ .

٣١) تفسير روح البيان : تأليف الإمام إسماعيل حقى البروسوى ، المتوفى ١١٣٧هـ ، دار الفكر ، بدون تاريخ .

٣٢) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان : العلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمّي النيسابوري ، المطبوع بهامش تفسير الطبري ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٣٣) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب : للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣٤) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير ، دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٣٥) تفسير القرآن الكريم : للشيخ الاكبر العارف بالله العلامة محي الدين بن عربي ، دار الاندلس ( ت / ٦٣٨هـ ) ، تحقيق وتقديم د / مصطفى غالب ، الطبعة الثانية ١٩٧٨م.

٣٦) تفسير القرآن الكريم : الإمام الأكبر محمود شلتوت ، دار الشروق ، الطبعة العاشرة ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٣٧) التفسير القرآني للقرآن : عبدالكريم الخطيب ، دار الفكر العربي ، بدون تاريخ .

٣٨) تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن الكريم : لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ، دار الريان للتراث ، بدون تاريخ .

٣٩) التفسير القيم : للإمام ابن القيم ، ٦٩١ - ٧٥١هـ ، جمعه محمد إدريس الندوي ، حققه : محمد حامد الفقي دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٤٠) التفسير والمفسرون : د. محمد حسين الذهبي ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

٤١) تفسير المنار : للامام السيد محمد رشيد رضا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢م.

٤٢) تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل : تأليف الإمام الجليل العلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، بدون تاريخ.

٤٣) التفسير الواضح : د. محمد محمود حجازى، مطبعة الإستقلال الكبرى، الطبعة الرابعة، بدون تاريخ.

٤٤) تهذيب التهذيب : لابن حجر العسقلانى، المتوفى سنة ٨٥٢هـ، طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة فى الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٥هـ.

٤٥) ثقافة الداعية : د. يوسف القرضاوى، الإتحاد الاسلامى للمنظمات الطلابية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٤٦) جامع البيان فى تفسير القرآن : لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى، دار المعرفة بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٤٧) الجامع الصغير فى أحاديث البشير البشير النذير : للحافظ جلال الدين السيوطى، دار الكتب العلمية الطبعة الرابعة، بدون تاريخ.

٤٨) الجهاد والحقوق الدولية فى الإسلام : تأليف ظافر القاسمى، دار العلم للملايين، بيروت الطبعة الأولى، نيسان، ابريل، ١٩٨٢م.

٤٩) الحسنة والسيئة : للإمام العلامة تقى الدين ابن تيمية، تحقيق: د. محمد جميل غازى، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

٥٠) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى : للأستاذ آدم ميتز أستاذ اللغات الشرقية بجامعة بازل، بسويسرة، ترجمة الأستاذ عبدالهادى أبوريدة، الطبعة الرابعة، بدون تاريخ.

٥١) الحلال والحرام فى الإسلام : د. يوسف القرضاوى، الطبعة السابعة، المكتب الإسلامى، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٥٢) الخلق الكامل : تأليف محمد أحمد جاد المولى بك، المفتش بوزارة المعارف، مطبعة حجازى، الطبعة الأولى، ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.

٥٣) خلق المسلم : محمد الغزالى، دار العلم، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م.

٥٤) دراسات قرآنية : محمد قطب ، دار الشروق ، بدون تاريخ .

٥٥) الدستور القرآني والسنة النبوية في شئون الحياة : تأليف محمد عزة دروزة ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة الثانية .

٥٦) الذريعة إلى مكارم الشريعة : الراغب الاصفهاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت بدون تاريخ .

٥٧) رسالة مع القضاة : العلامة الشيخ سليمان بن محمد بن عبد الله الحميضي عني بطبعه ونشره : عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، دار إحياء التراث العربي ، قطر ، ١٩٨٧م .

٥٨) رسول الله في القرآن الكريم : حسن كامل الملطاوي ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ .

٥٩) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني : للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، المتوفى سنة ١٢٧٠هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٦٠) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين : للإمام المحدث الحافظ محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي ، تحقيق : عبد الله أحمد أبو زينة ، المكتبة العلمية ، بدون تاريخ .

٦١) زاد المسير في علم التفسير : للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي المتوفى سنة ٥٩٧هـ ، حققه وكتب هوامشه ، محمد بن عبد الرحمن عبد الله ، خرج أحاديثه أبو هاجر السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٦٢) السلوك الإجتماعي في الإسلام : حسن أيوب ، دار التراث العربي ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٦٣) سنن إبن ماجة : للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني، إبن ماجة ( ٢٠٧ - ٢٧٥هـ ). حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه : محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.

٦٤) سنن أبي داود : للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدري ( ٢٠٢ - ٢٧٥ هـ )، إعداد وتعليق : عزت عبيد دعاس وعادل السيد ، دار الحديث ، الطبعة الأولى، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٦٥) سنن الترمذي : لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٦٦) سنن الدارقطني : لشيخ الإسلام الحافظ الإمام علي بن عمر الدارقطني دار عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٦٧) سنن الدارمي : الإمام الكبير أبومحمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي المتوفى سنة ٢٥٥. دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ.

٦٨) سنن النسائي : بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، إعتنى به ورقمه ووضع فهارسه عبدالفتاح أبوغده ، دار البشائر الإسلامية ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٦٩) السيرة النبوية لابن هشام : لابن هشام، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها : مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شبلي، دار القلم، بيروت ، بدون تاريخ.

٧٠) السيرة النبوية دراسة تحليلية في ضوء القرآن والسنة : د. مروان محمد مصطفى شاهين، د. مصطفى محمد السيد أبوعمارة ، الطبعة الأولى، دار الطباعة المحمدية ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٧١) شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام : للحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر الكناني العسقلاني القاهري ، ٧٧٣هـ - ٨٥٢هـ ، مكتبة الرسالة الحديثة ، بدون تاريخ.

٧٢) صحيح البخارى : للإمام أبى عبدالله محمد بن إسماعيل البخارى الجعفرى ، ضبطه ورقمه وذكر تكرار مواضعه وشرح ألفاظه وجمله وخرج أحاديثه فى صحيح مسلم ووضع فهارسه : د/ مصطفى ديب البُغَا ، دار التراث النبوى ، بدون تاريخ •

٧٣) صحيح مسلم : للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى ، سنة ٢٠٦ - ٢٦١هـ ، وقف على طبعه وتحقيق نصوصه وتصحيحه وترقيمه ، وعدّ كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه ملخص شرح الإمام النووى " مع زيادات عن أئمة اللغة : خادم الكتاب والسنة محمد فؤاد عبدالباقى ، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م•

٧٤) صحيح مسلم بشرح النووى : دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م•

٧٥) صور من سماحة الإسلام : د • عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن على الربيعة مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م•

٧٦) العقائد الإسلامية : السيد سابق ، دار الكتاب العربى ، بدون تاريخ•

٧٧) عقيدة المؤمن : أبوبكر الجزائرى ، دار الكتب السلفية ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م•

٧٨) علل وأدوية : محمد الغزالى ، دار التوفيق النموذجية ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م•

٧٩) غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى: • يوسف القرضاوى ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م•

٨٠) فتح البارى : بشرح صحيح الإمام أبى عبدالله محمد بن إسماعيل البخارى للإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى ، حققه ، محب الدين الخطيب ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه : محمد فؤاد عبدالباقى ، أشرف على الطبع قصى محب الدين الخطيب ، دار الريان للتراث ، المكتبة السلفية ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ•

٨١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير : تأليف محمد بن علي الشوكاني ، دار الفكر ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٨٢) فتح المنعم شرح صحيح مسلم : د. موسى شاهين لاشين ، دار التراث العربي ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ.

٨٣) الفقه الإسلامي وأدلته : د. وهبة الزحيلي ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٨٤) فقه السنة : السيد سابق ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ.

٨٥) فقه السيرة : محمد الغزالي ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة السابعة ، ١٩٧٦م.

٨٦) الفوائد : تأليف ابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ ، تخريج وحواشي : أحمد راتب عرموش ، دار النفائس ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٨٧) في الثقافة الإسلامية : د. أحمد نوفل ، محمد عبدالغني المصري ، محمود أحمد عويضة ، دار عمان للنشر والتوزيع ، عمان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٨٨) في ظلال القرآن : سيد قطب ، دار الشروق ، الطبعة السابعة ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٨٩) قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم : للفقيه المفسر الجامع الحسين بن محمد الأفغاني دار العلم للملايين ، حققه ورتبه وأكمله وأصلحه : عبدالعزيز سيد الأهل ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٥م.

٩٠) القاموس المحيط : للفيروز آبادي ، دار الفكر ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٩١) قبسات من الرسول : محمد قطب ، مكتبة وهبة ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٢م.

٩٢) قبس من نور محمد : د. محمد فائق الملط ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٩٣) لباب النقول فى أسباب النزول : جلال الدين السيوطى ، دار إحياء العلوم ، بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٩٤) لسان العرب : لابن منظور ، تحقيق الأساتذة : عبد الله على الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، وهاشم محمد الشاذلى ، دار المعارف ، بدون تاريخ.

٩٥) كبرى اليقينيات الكونية : د. محمد سعيد رمضان البوطى ، مطبعة مسودى ، القدس ، الطبعة السادسة ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٩٦) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل : محمد بن أحمد بن جزى الكلبى ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.

٩٧) كتاب الخراج : للقاضى أبى يوسف يعقوب بن إبراهيم ( ١١٣ - ١٨٢ هـ ) حققه : د/ إحسان عباس ، دار الشروق بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٩٨) كتاب الموطأ : للإمام مالك بن أنس رضى الله عنه ، دار الفكر ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٩٩) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل : لأبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.

١٠٠) كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة : نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى ( ت ٨٠٧هـ ) تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمى ، مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٠١) نظام القضاء فى الإسلام : من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامى ، طباعة ونشر دار الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١٠٢) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار : للشيخ الإمام المجتهد العلامة الربانى قاضى قضاة القطر اليمانى محمد بن على بن محمد الشوكانى ، المتوفى سنة ١٢٥٥هـ ، دار الجيل ، بيروت ١٩٧٣م.

١٠٣) مبادىء الإسلام : لأبى الأعلى المودودى ، دار الأنصار ، بدون تاريخ.

١٠٤) المجتمع المتكافل فى الإسلام: د. عبدالعزيز الخياط ، مكتبة الأقصى ، مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

١٠٥) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : الحافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى (ت ٨٠٧هـ) ، بتحرير الحافظين الجليلين العراقى وابن حجر ، دار الكتاب العربى ، بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

١٠٦) مجموعة فتاوى شيخ الإسلام احمد بن تيمية : جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمى ، الحنبلى رحمه الله ، وساعده فيه ابنه محمد وفقه الله ، طبع بإشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين ، بدون تاريخ.

١٠٧) محاسن الجود والكرم : جمع وترتيب أحمد حسين كعكو ، مكتبة قباء بحلب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ.

١٠٨) المحاور الخمسة للقرآن الكريم : الشيخ محمد الغزالى ، دار الصحوة للنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

١٠٩) المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز : للقاضى أبى محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسى (٤٨١ - ٥٤٦هـ) تحقيق : المجلس العلمى بفاس ، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

١١٠) مختار الصحاح : للشيخ الإمام محمد بن أبى بكر بن عبدالقادر الرازى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان بدون تاريخ.

١١١) مختصر تفسير القرآن الكريم للخازن ، المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل : إختصار محمد قطب ، دار المسيرة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م.

١١٢) مختصر زاد المعاد : للإمام ابن قيم الجوزية ، محمد بن عبدالوهاب ، صححه وقابله على أصوله الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن الجبرين والشيخ محمد بن عبدالله السمهري ، نشر المطابع الأهلية الأوفست بالرياض ، بدون تاريخ .

١١٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : للإمام السلفي العلامة ابن قيم الجوزية ٦٩١ - ٧٥١ ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٧٢م - ١٣٩٢هـ .

١١٤) مراح لبيد : التفسير المنير لمعالم التنزيل المسمى مراح لبيد ، الشيخ محمد نووي الجاوي ، سيد علماء الحجاز ، دار إحياء الكتب العربية لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه ، بدون تاريخ .

١١٥) المستدرك على الصحيحين في الحديث : للحافظ أبي عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بالحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

١١٦) مسند الامام احمد بن حنبل : دار الفكر ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

١١٧) المسند للامام الحافظ أبي بكر عبدالله بن الزبير الحميدي ، نشر وتوزيع رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، بدون تاريخ .

١١٨) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : وضعه محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

١١٩) المعجم الوسيط : قام بإخراج هذه الطبعة ، د/إبراهيم أنيس ، د/عبدالحليم منتصر ، د/عطية الصوالحي ، محمد خلف الله أحمد ، وأشرف على الطبع ، حسن على عطية ، محمد شوقي أمين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ .

١٢٠) مع الطب في القرآن الكريم : تقديم د. محمد ناظم نسيمي ، تأليف د. عبدالحميد دياب ، ود. أحمد قرقوز ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

١٢١) المفردات في غريب القرآن : لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، ٥٠٢هـ ، دار المعرفة ، بيروت .

١٢٢) مكارم الأخلاق في القرآن الكريم : الفريق يحيى المعلمي ، دار الإعتصام ، الطبعة الثالثة .

١٢٣) مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب في علم التصوف : للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

١٢٤) مناهج الدعوة وأساليبها : المستشار الدكتور علي جريشة ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م .

١٢٥) من توجيهات الإسلام : للإمام الأكبر محمود شلتوت ، دار القلم العربي ، بدون تاريخ .

١٢٦) من مفاهيم القرآن في العقيدة والسلوك : د . محمد البهي ، مكتبة وهبة ، ١٩٧٣م .

١٢٧) في رحاب القرآن الكريم : إختيار وتعليق : محمد الأنور أحمد البلتاجي ، دار التراث العربي ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

١٢٨) موسوعة أخلاق القرآن الكريم : د . أحمد الشرباصي ، دار الرائد العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

١٢٩) هذا الدين : سيد قطب ، دار الشروق ، بدون تاريخ .

١٣٠) الوجيز في تفسير القرآن العزيز : الإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي المتوفى سنة ٤٦٨ ، المطبوع بهامش التفسير المنير لمعالم التنزيل المسمى مراح لبيد ، دار إحياء الكتب العربية .

## الـــــدوريـــات

١٣١) أضواء الشريعة : مجلة دورية تصدرها كلية الشريعة بالرياض ·
أ ) مقال " الإنسان بين المسؤولية والتكريم " بقلم د /أبو اليزيد العجمى ، العدد ١٣ ، ١٤٠٢هـ ·
ب) مقال " البعد الغائب عن حياة المسلم المعاصر - الحاجة إلى وجدان اسلامى " بقلم د /أبواليزيد العجمى ، العدد ١٤ ، ١٤٠٢هـ ·

١٣٢) جريدة اللواء الإسلامى : السنة السابعة ، العدد ( ٣٥٤ ) مقال بعنوان " خواطر حول القرآن الكريم " للشيخ متولى الشعراوى ·

١٣٣) جريدة المسلمون : مقال للشيخ الشعراوى بعنوان " الإحسان وسيلة متكاملة للتكافل الإجتماعى " السنة الرابعة ، العدد ١٩١ ·

١٣٤) مجلة منار الإسلام : العدد الخامس ، السنة الحادية عشرة ، مقال " الإحسان فى القرآن الكريم " د / سعد ظلام ، عميد كلية اللغة العربية بالأزهر ·

١٣٥) مجلة الوعى الاسلامى : العدد ٢٥٧ ،١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م ، مقال " الإحسان من قيم المجتمع المسلم " للأستاذ عاطف شحادة زهران ·

## خامســـا : فهرس المواضيـــع

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

# السيرة الذاتية للباحث

الإسم : رياض محمود جابر قاسم

مكان الميلاد : قطاع غزة-مخيم الشاطئ

تاريخ الميلاد : ١٩٦١/٨/٩٠

الجنسية : فلسطيني

مراحل الدراسة:

* أنهيت دراستي الإبتدائية والإعدادية والثانوية في محل إقامتي في مدينة غزة وذلك عام ١٩٧٩م.
* ثم التحقت بالجامعة الاسلامية في قطاع غزة- كلية أصول الدين- عام ١٩٧٩م وحصلت منها على البكالوريوس عام ١٩٨٤م بتقدير عام ممتاز.
* عملت بعد التخرج معيدا بالجامعة الإسلامية في قطاع غزة من ١٩٨٤/٩/٧م إلى ١٩٨٧/١٢/١م . حيث تم ابتعاثي إلى جامعة أم درمان الإسلامية للحصول على درجة الماجستير في قسم التفسير وعلوم القرآن.
* نجحت في امتحانات السنة التمهيدية للماجستير ، قسم التفسير وعلوم القرآن - بتقدير " جيد جدا " في الدور الأول بتاريخ ١٩٨٨/٤/٢٦م.